

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الله النويني

السفر السابع

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م

معين جروب
التاريخ
لأهل التاريخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد تم بمعونة الله وحسن توفيقه تصحيح السفر السابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب .

وقد بذلنا وسعنا ، وغاية جهدنا ، في سبيل إظهاره للقراء سليما من التحريف والتصحيف ، اللذين ملئت بهما أصوله التي بين أيدينا ، وهي نسخة واحدة ، مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٠ تاريخ — فلم ندع فيه — بحسب الطاقة — لفظا محترفا إلا أصلحناه ، ولا كلاما ناقصا غير متصل الأجزاء إلا رجعنا إليه في مظانه وأكناه ولا علما من الأعلام إلا عينا بتحقيقه وضبطه ، ولا لفظا غريبا إلا فسرناه ، ولا عبارة غامضة المعنى إلا أوضحنا الغرض منها ، ولا بيتا يستغلق فهمه على القارئ إلا شرحناه ونسبناه إلى قائله ، ولا اسم مكان أو بلد إلا نقلنا باختصار ما كتبه العلماء عنه ، ولا لفظا يلتبس على القارئ إلا ضبطناه بما يزيل التباسه .

ومما هو جدير بالذكر والشكر هذه العناية الكبيرة التي كان يبذلها عن طيب نفس ذلك المدير الحازم ، والمربي الفاضل ، حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد أسعد بك برادة مدير دار الكتب المصرية ، فقد كان حفظه الله يختلف إلينا

(د)

في أكثر الأيام ، ويبذل لنا من نصائحه الغالية وارشاداته القويمة ما يبعث في نفوسنا
الجد في العمل ، والسعي في إتقانه ، ولا يفوتنا في هذه الكلمة أن نشكر أيضا
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير السيد محمد علي البيلالوى مراقب إحياء
الآداب العربية بالدار لما كان يبذله لنا من الإعانة على عملنا بمعلوماته الثمينة عن
البحوث ومراجعتها ، والكتب وأغراضها ومكان الفائدة منها ، والله نسأل أن
يجعل عملنا خالصا لوجهه إنه قريب مجيب ما

د.صحيحه

أحمد الزين

كتاب

السفر السابع

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

يتضمن ما يشتمل عليه من الأبواب والفصول

ورسائل الكتاب وخطب البلغاء

الباب الرابع عشر

صفحة

من القسم الخامس من الفن الثاني في الكتابة وما تفرع من أصناف الكتاب

أصل الكتابة ... ١

وأما شرفها ... ١

وأما فوائدها ... ٢

ثم الكتابة بحسب من يحترفون بها على أقسام ... ٤

ذكر كتابة الإنشاء وما اشتملت عليه من البلاغة والايجاز الخ ... ٤

فأما البلاغة ... ٤

وأما الفصاحة ... ٦

ذكر صفة البلاغة ... ٧

ومن أمثالهم في البلاغة ... ٩

فصول من البلاغة ... ١٠

جمل من بلاغات العجم وحكمها ... ١١

صفة الكاتب وما ينبغى أن يأخذ به نفسه ... ١٢

وأما ما ينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه ... ١٣

صفحة

وأما ما قيل في حسن الخط وجودة الكتابة ومدح الكتاب والكتاب ...	١٤
ذكر شيء مما قيل في آلات الكتابة ...	١٩
ذكر شيء مما قيل في القلم ...	٢٠
ذكر ما يحتاج الكاتب الى معرفته من الأمور الكلية ...	٢٧
وأما الأمور الخاصة التي تزيد معرفتها قدره الخ ...	٣٥
فأما علوم المعاني والبيان والبديع ...	٣٥
وأما الحقيقة والمجاز ...	٣٧
وأما التشبيه ...	٣٨
وأما الاستعارة ...	٤٩
فصل فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله ...	٥٢
فصل في أقسام الاستعارة ...	٥٦
وأما الكناية ...	٥٩
وأما التعريض ...	٦٠
وأما التمثيل ...	٦٠
وأما الخبر وأحكامه ...	٦١
وأما التقديم والتأخير ...	٦٣
فصل في مواضع التقديم والتأخير — أما التقديم ...	٦٩
وأما التأخير ...	٧٠
وأما الفصل والوصل ...	٧٠
وأما الحذف والاضمار ...	٧٥
فصل في حذف المبتدا والخبر ...	٧٧
فصل — الإضمار على شريطة التفسير الخ ...	٧٩
وأما مباحث إن وإنما . أما إن ...	٨٠
وأما إنما ...	٨٣

فصل - اذا دخل ما وإلا على الجملة المشتملة على المنصوب الخ ...	٨٤
وأما النظم ...	٨٧
وأما التجنيس - فمنه المستوفى التام ...	٩٠
ومنه المختلف ...	٩١
ومنه المذيل ...	٩١
ومنه المركب ...	٩٢
ومن أنواع المركب المرفق ...	٩٢
ومنه المزدوج ...	٩٣
ومن أجناس التجنيس المصحف ...	٩٣
ومنه المضارع ...	٩٤
ومنه المشقوش ...	٩٤
ومنه تجنيس الاشتقاق ...	٩٥
ومما يشبه المشتق ...	٩٥
ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف ...	٩٦
ومنها التجنيس المخالف ...	٩٧
ومنها تجنيس المعنى ...	٩٧
وأما الطباق ...	٩٨
وأما المقابلة ...	١٠١
وأما السجع ...	١٠٣
وأما الترصيع ...	١٠٤
وأما المتوازي ...	١٠٤
وأما المطرف ...	١٠٥
وأما المتوازن ...	١٠٥
فصل في الفقر المسجوعة ومقاديرها ...	١٠٧

صفحة

وأما رد العجز على الصدر	١٠٩
وأما الإعانات	١١٣
وأما المذهب الكلامي	١١٤
وأما حسن التعليل	١١٥
وأما الائتفات	١١٦
وأما التمام	١١٨
وأما الاستطراد	١١٩
وأما تأكيد المدح بما يشبه الذم	١٢١
وأما تأكيد الذم بما يشبه المدح	١٢٢
وأما تجاهل العارف	١٢٣
وأما الهزل الذي يراد به الجد	١٢٤
وأما الكنايات	١٢٤
وأما المبالغة	١٢٤
وأما عتاب المرء نفسه	١٢٥
وأما حسن التضمين	١٢٦
وأما التلميح	١٢٧
وأما إرسال المثل	١٢٧
وأما إرسال مثاين	١٢٨
وأما الكلام الجامع	١٢٨
وأما اللف والنشر	١٢٩
وأما التفسير	١٢٩
وأما التعديد	١٣٠
وأما تنسيق الصفات	١٣١
وأما الإيهام	١٣١

١٣٣	وأما حسن الابتداءات
١٣٥	وأما براعة التخليص
١٣٥	وأما براعة الطلب
١٣٥	وأما براعة المقطع
١٣٦	وأما السؤال والجواب
١٣٦	وأما صحة الأقسام
١٣٧	وأما التوشيح
١٣٨	وأما الإيغال
١٤٠	وأما الإشارة
١٤٠	وأما التذييل
١٤١	وأما الترديد
١٤١	وأما التفويف
١٤٢	وأما التسهم
١٤٣	وأما الاستخدام
١٤٤	وأما العكس والتبديل
١٤٤	وأما الرجوع
١٤٥	وأما التغاير
١٤٦	وأما الطاعة والعصيان
١٤٧	وأما التسميط
١٤٧	وأما التشطير
١٤٨	وأما التطريز
١٤٨	وأما التوشيع
١٤٩	وأما الاغراق
١٤٩	وأما الغلق

١٥٠	وأما القسم
١٥١	وأما الاستدراك
١٥١	وأما المؤتلفة والمختلفة
١٥٢	وأما التفريق المفرد
١٥٣	وأما الجمع مع التفريق
١٥٣	وأما التقسيم المفرد
١٥٤	وأما الجمع مع التقسيم
١٥٤	وأما التزاوج
١٥٤	وأما السلب والإيجاب
١٥٥	وأما الاطراد
١٥٦	وأما التجريد
١٥٧	وأما التكميل
١٥٨	وأما المناسبة
١٦٠	وأما التفريع
١٦٣	وأما نفى الشيء بإيجابه
١٦٤	وأما الإيداع
١٦٤	وأما الإدماج
١٦٤	وأما سلامة الاختراع
١٦٥	وأما حسن الاتباع
١٦٦	وأما الذم في معرض المدح
١٦٦	وأما العنوان
١٦٩	وأما الإيضاح
١٦٩	وأما التشكيك
١٧٠	وأما القول بالموجب

وأما القلب ...	١٧١
وأما التندير ...	١٧٢
وأما الإستجبال بعد المغالطة ...	١٧٣
وأما الافتنان ...	١٧٣
وأما الإيهام ...	١٧٤
وأما حصر الجزئى والحاقة بالكلى ...	١٧٤
وأما المقارنة ...	١٧٥
وأما الإبداع ...	١٧٥
وأما الانفصال ...	١٧٧
وأما التصرف ...	١٧٧
وأما الاشتراك ...	١٧٨
وأما التهمك ...	١٧٩
وأما التدبيج ...	١٨٠
وأما الموجه ...	١٨١
وأما تشابه الأطراف ...	١٨١
وأما ما يتصل بذلك من خصائص الكتابة فالإقتباس الخ ...	١٨٢
وأما الاستشهاد بالآيات ...	١٨٣
وأما الحل ...	١٨٣
ذكر ما يتعين على الكاتب استعماله والمحافظة عليه والتمسك به وما يجوز	
في الكتابة وما لا يجوز ...	١٨٥
وإذا كتب في التهناني بالفتوح ...	١٩٣
وأما التقاليد والمناشير والتواقيع وما يتعلق بذلك ...	٢٠١
ذكر شئ من الرسائل المنسوبة الى الصحابة رضى الله عنهم والتابعين	
وشئ من كلام المصدر الأول وبلاغتهم — فمن ذلك الرسالة	
المنسوبة الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه الى على وما يتصل	
بها من كلام عمر بن الخطاب وجواب على رضى الله عنهم ...	٢١٣

صفحة

- ومن كلام عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ٢٣٠
- ذكر شرح غريب رسالتها رضى الله عنها ٢٣٢
- ومن كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه ٢٣٣
- ومن كلام الأحنف بن قيس ٢٣٧
- ومن كلام أم الخير بنت الحريش البارقية ٢٤١
- خطبة الحجاج لما قدم البصرة ٢٤٤
- خطبته بعد وقعة دير الجماجم ٢٤٥
- ومن مكاتباته إلى المهلب بن أبى صفرة وأجوبة المهلب له ٢٤٦
- ومن كلام قطرى بن الفجاءة — خطبته فى ذم الدنيا ٢٥٠
- ومن كلام أبى مسلم الخراسانى ٢٥٣
- ومن كلام جماعة من أمراء الدولتين — خطبة ليوسف بن عمر ٢٥٥
- خطبة لخالد بن عبد الله القسرى ٢٥٥
- خطبة لأبى بكر بن عبد الله لما ولى المدينة ٢٥٦
- ذكر شىء من رسائل وفصول الكتاب والبلغاء المتقدمين والمتأخرين
والمعاصرين من المشاركة والمغاربة ٢٥٩
- ذكر شىء من رسائل فضلاء المغاربة ووزرائهم وكتابهم — فمن ذلك رسالة
ابن زيدون التى كتبها على لسان ولادة الى إنسان استمالها الى نفسه عنه ٢٧١
- وقال أيضا فى رقعة خاطب بها ابن جمهور ٢٩٠
- ومن كلام أبى عبد الله محمد بن أبى الخصال ٣٠٣
- ومن كلام الوزير الفقيه أبى القاسم محمد بن عبد الله بن الجحد ٣٠٤
- ومن كلام أبى عبد الله محمد بن الحياط ٣٠٦
- ومن كلام أبى حفص عمر بن برد الأصغر الأندلسى ٣٠٦
- ومن كلام أبى الوليد بن طريف ٣٠٨
- ومن كلام ذى الوزارتين أبى المغيرة بن حزم ٣١٠
- ومن كلام الوزير الكاتب أبى محمد بن عبد الغفور ٣١١

الكتب والمصادر التي رجعنا إليها في تصحيح هذا الجزء وقد رتبناها على حروف المعجم

إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ، أساس البلاغة للزمخشري ، الأملاني
لأبي علي القالي ، أقرب الموارد ، أدب الكتاب للصولي ، إرشاد الساري لشهاب الدين
القسطلاني .

البيان والتبيين للمحافظ .

تحرير التحبير لأبن أبي الإصبع ، تاج العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدي ،
تاريخ ابن جرير الطبري ، تاريخ أبي الفداء ، تهذيب التهذيب في أسماء الرجال للحفاظ
ابن حجر ، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي .

الجماسة لأبي تمام ، حسن التوسل إلى صناعة الترسل لشهاب الدين محمود الحلبي .
خزانة الأدب لأبن حجة الخوي ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال
للحزرجي .

دلائل الإعجاز للبرجاني ، ديوان أبي تمام ، ديوان أبي الطيب المتنبي ،
ديوان أبي نواس ، ديوان لبيد بن ربيعة ، ديوان البحتري ، ديوان أمري القيس ،
ديوان أبي فراس الحمداني ، ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه .

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبن بسام .

رسائل بديع الزمان الهمذاني .

زهر الآداب للحصري .

شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة .

شدور العقود لابن الجوزي ، شرح الباعونية ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، شرح رسائل بديع الزمان الهمداني ، شروح تلخيص المفتاح ، شرح ديوان أبي تمام الخطيب التبريزي ، شرح شواهد المباني . الشفاء للقاضي عياض ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ، شرح ديوان امرئ القيس للبطلاني .

صبح الأعشى للقلقشندي ، الصحاح للجوهري ، الصناعتين لأبي هلال العسكري .

العقد الفريد لابن عبد ربه ، العمدة لابن رشيق القيرواني .

فهرست ابن النديم .

القاموس المحيط للفيروزبادي .

لسان العرب لابن منظور .

المفضليات للضبي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي التميمي ، المثل السائر لابن الأثير الجزري ، مجمع الأمثال للميداني ، المحاسن والأضداد للجاحظ ، المشتبه في أسماء الرجال للحافظ الذهبي ، المصباح المنير للفيومي ، معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي ، معجم الأدباء لياقوت ، مختار الصحاح مغني اللبيب لابن هشام ، المقتضب من جمهرة النسب لياقوت ، المضاف والمنسوب للشعالبي ، محاضرة الأبرار لابن العربي ، معلقات العرب .

نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري .

وفيات الأعيان لابن خلكان ، الوافي بالوفيات للصفدي .

يتيمة الدهر للشعالبي .

الجزء السابع

من

نهاية الأرب في فنون الأدب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

①

الباب الرابع عشر من القسم الخامس من الفن الثاني في الكتابة وما تفرع من أصناف الكتاب

ولنبداً بأشتقاق الكتابة ، ولم نُمَيِّت الكتابة كتابة ، ثم نذكر شرفها وفوائدها ،
ثم نذكر ما عدا ذلك من أخبار المحترفين بها ، وما يحتاج كل منهم إليه ، فنقول
وبالله التوفيق والإعانة :

أصل الكتابة مشتق من الکتب وهو الجمع ، ومنه سُمِّيَ الكتاب كتاباً ، لأنه يجمع
الحروف ، وسُمِّيَت الكَتِيبَةُ كَتِيبَةً ، لأنها تَجْمَع الجِيشَ ، وقد ورد في المعارف : أن حروف
المُعْجَم أنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة ، وسندكر من ذلك
طرفاً عند ذكرنا لأخبار آدم عليه السلام في فن التاريخ ، فهذا اشتقاقها .

وأما شرفها — فقد نص الكتاب العزيز عليه ، فقال تعالى — وهو أول ما أنزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن بغار حراء^(١) في شهر رمضان المعظم — :
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾
وقال تعالى في وصف الملائكة : ﴿ كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ ، الى غير ذلك من الآي .

(١) حراء كتاب وكرحى ، والأخيرة ضعيفة أنكرها بعضهم ، ويؤنث فيمنع من الصرف : جبل بمكة
فيه غار تحنث أي تعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) في صحيح البخاري أن الذي أنزل من هذه الآي في حراء الى قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾
وما هنا موافق لرواية الحافظ أبي عمر الداني من حديث ابن عباس كما في إرشاد الساري . ج ١ ص ٨٥
ط بولاق باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن شرف الكتابة نزول الكتب المتقدمة مسطورةً في الصحف كما ورد في الصحف المنزلة على شيث وإدريس وإبراهيم وموسى وداود وغيرهم صلى الله عليهم كما أخبر به القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَنِيَّ الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَأَتَى الْأَلْوَحَ ﴾ ، وما ورد في الأخبار الصحيحة والأحاديث الصريحة أنه مكتوب على العرش وعلى أبواب الجنة ما صورته :
 لا إله إلا الله محمد رسول الله . وكفى بذلك شرفاً .

وأما فوائدها : فمنها رسم المصحف الكريم الموجود بين الدفتين في أيدي الناس ، ولولا ذلك لاختلّف فيه ودخل الغلط وتداخل الوهم قلوب الناس .
 ومنها رقم الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم التي عليها بُنيت الأحكام ، وتميّز الحلال من الحرام ، وضبط كتب العلوم المنقولة عن أعلام الإسلام وتواريخ من انقرض من الأنام فيما سلف من الأيام .

ومنها حفظ الحقوق ، ومنع تمرد ذوى العقوق ، بما يقع عليهم من الشهادات ويُستَطر عليهم من السجلات التي أمر الله تعالى بضبطها بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ ﴾ .

ومنها المكتبة بين الناس بحوائجهم من المسافات البعيدة ، إذ لا ينضبط مثل ذلك برسول ، ولا تُنال الحاجة به بمشافهة قاصد ، ولو كان على ما عساه عليه يكون من البلاغة والحفظ لوجود المشقة ، وبعد الشقة .

(١) في الأصل : «رسول» باللام ، ولعن الظاهر ما أثبت .

(٢) لعن قوله : «بد» زيادة من النسخ إذ قوله بعد : بمشافهة قاصد ، يعنى عنه . أولعها فيه .

ومنها ضبط أحوال الناس ، كمناشير الجند ، وتوابع العمال ، وإدارات أرباب
الصلوات في سائر الأعمال ، إلى ما يجري هذا المجرى ، فكان وجودها في سائر الناس
فضيلة ، وعدمها نقيصة إلا في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنها إحدى معجزاته
لأنه صلى الله عليه وسلم أمي^(١) [أي] بما أعجز البلغاء ، وأحرس الفصحاء ، وفل حد
المؤرخين من غير مدارس كتب ولا ممارسة تعليم ، ولا مراجعة لمن عُرف بذلك
وأشتهر به .

والكتابة العربية أشرف الكتابات لأن الكتاب العزيز لم يُرقم بغيرها خلافا
لسائر الكتب المنزلة . وهذه الكتابة العربية أول^(٢) من اخترعها على الوضع الكوفي
سكان مدينة الأنبار^(٣) ، ثم نُقل هذا القلم إلى مكة فعُرف بها ، وتعلمه من تعلمه ، وكثر
في الناس وتداولوه ، ولم تزل الكتابة به على تلك الصورة الكوفية إلى أيام الوزير
أبي علي^(٤) بن مقله ، فعربها تعرييا غير كاف ، ونقلها نقلا غير شاف ، فكانت كذلك
إلى أن ظهر علي^(٥) بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب ، فكمّل تعريبها ، وأحسن
تبويبها ، وأبدع نظامها ، وأكمل ألئامها ، وحلّلها بهجة وجمالا ، وأولاهها بل أولى
بها منة وإفضالا ، وألبسها من رقم أنامله حللا ، وجلاها للعيون فكان أول من أحسن
في ترصيعها وترصيفها عملا . ولا زال يتنوع في محاسنها ، ويتنوع^(٦) في ترصيع عقود

(١) هذه الزيادة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها .

(٢) في الأصل : « فأول » والقواعد تقتضي حذف الفاء ، ولعلها زيادة من النسخ .

(٣) هي مدينة على الفرات غربى بغداد ، بينهما عشرة فراسخ ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور ،
وأول من عمرها سابور بن هرمز ، ثم جدّها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس .

(٤) هو محمد بن علي بن الحسين بن مقله ، وأبو علي كنيته .

(٥) ويقال له : ابن السري أيضا لأن أباه كان بوابا ، والبواب يلزم ستر الباب ، فلذنت نسب إليه .

(٦) لعله : « ويتنوع » بالقاف المثناة ، أي يجود ويبالغ .

مَيَّامْنَهَا ، حَتَّى تَقَرَّرَتْ عَلَى أَجْمَلِ قَاعِدَةٍ ، وَتَحَرَّرَتْ عَلَى أَكْمَلِ فَائِدَةٍ ، وَسَتَرِيدَ مَا قَدَّمَناهُ
 مِنْ هَذِهِ الْفُصُولِ وَضُوحًا وَتَبَيَّنًا ، وَنُقِّمَ عَلَى تَفْصِيلِ تَجْمِيلِهَا وَبَسْطِ مَدْمُجِهَا أَدْلَةً وَبَرهَانًا .
 [ثُمَّ الْكِتَابَةُ بِحَسَبِ مَنْ] يَحْتَرِفُونَ بِهَا عَلَى أَقْسَامٍ : وَهِيَ كِتَابَةُ الْإِنْشَاءِ ، وَكِتَابَةُ
 الدِّيَوَانِ وَالتَّصَرُّفِ ، وَكِتَابَةُ الْحُكْمِ وَالشُّرُوطِ ، وَكِتَابَةُ النَّسَخِ ، وَكِتَابَةُ التَّعْلِيمِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
 عَدَّ فِي الْكِتَابَةِ كِتَابَةَ الشُّرُوطِ ، وَلَمْ يُرَدْ ذِكْرُهَا تَتْرِيهَا لِكِتَابَتِهَا عَنْهَا ، وَلَا حِكْمَةً فِي إِيرَادِهَا .
 وَلِنَبْدَأُ بِذِكْرِ كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا .

ذِكْرُ كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ وَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالْإِيْجَازِ
 وَالْجَمْعِ فِي الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ ، وَالتَّلْعِبِ بِالْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي
 وَالتَّوَصُّلِ إِلَى بَلُوغِ الْأَغْرَاضِ وَالْأَمَانِي

- وَلِنَبْدَأُ مِنْ ذَلِكَ بِوَصْفِ الْبَلَاغَةِ وَحَدِّدَهَا وَالْفَصَاحَةِ :
- فَأَمَّا الْبَلَاغَةُ — فَهِيَ أَنْ يَبْلُغَ الرَّجُلُ بِعِبَارَتِهِ كُنْهَ مَا فِي نَفْسِهِ . وَلَا يُسَمَّى
 الْبَلِغُ بَلِغًا إِلَّا إِذَا جَمَعَ الْمَعْنَى الْكَثِيرَ فِي اللَّفْظِ الْقَلِيلِ ، وَهُوَ الْمُسَمَّى إِيجَازًا .
- وَيَنْقَسِمُ الْإِيْجَازُ إِلَى قَسْمَيْنِ : إِيجَازِ حَذْفٍ ، وَهُوَ أَنْ يُحْذَفَ شَيْءٌ مِنَ الْكَلَامِ
 وَتَدُلُّ عَلَيْهِ الْقَرِينَةُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ وَالْمُرَادُ أَهْلُ الْقَرْيَةِ
 وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ الْإِيْرَ مِنْ آتَقٍ ﴾ وَالْمُرَادُ وَلَكِنْ الْبَرُّ مِنْ آتَقٍ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى :
 ﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ وَالْمُرَادُ مِنْ قَوْمِهِ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ
 يُطِيقُونَهُ ﴾ وَالْمُرَادُ لَا يُطِيقُونَهُ ، وَنَظَائِرُ هَذَا وَأَشْبَاهُهُ كَثِيرٌ .

(١) مَكَانُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ مَطْمَوسٌ بِالْأَصْلِ تَعَذُّرُ قِرَاءَتِهِ ، وَلَعَلَّ مَا أُشْبِهَتْهُ بِإِلَئِمِّ الْغُرُضِ الْمَقْصُودِ وَيَصَحُّ بِهِ
 التَّقْسِيمُ الْآتِي .

- (٢) الشَّرْطُ بِضَمِّ أَقْوَبِهِ وَفَتْحِ تَانِيَةِ : جَمْعُ شَرْطِيٍّ كَثَرَكِيٍّ وَبُكْهَنِيٍّ : طَائِفَةٌ مِنْ أَعْوَانِ الْوَلَاةِ سَمَوْا بِذَلِكَ
 لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِعَلَامَاتٍ يَعْرِفُونَ بِهَا .

وإيجاز قَصْر ، وهو تكثير المعنى وتقليل الالفاظ ، كقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مما جُمع فيه شرائط الرسالة : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ۖ وَسَمِعَ أَعْرَابَىٰ رَجُلًا يَتْلُوهَا فُجْرًا ۖ قَالَ : سَجَدْتُ لِصَاحِبَتِهِ ، ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ . وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ مِمَّا جُمِعَ فِيهِ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ جُمِعَ فِي ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ بَيْنَ الْعُنْوَانِ وَالْكِتَابِ وَالْحَاجَةِ بِوَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ جُمِعَ فِي هَذَا عَلَى لِسَانِ النَّمْلَةِ بَيْنَ النَّدَاءِ وَالتَّنْبِيهِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّحْذِيرِ وَالتَّخْصِصِ وَالْعُمُومِ وَالْإِشَارَةِ وَالْإِعْذَارِ ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ مَا حَكِيَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ جَارِيَةً تَتَكَلَّمُ فَقَالَ لَهَا : قَاتِلْكَ اللَّهُ ، مَا أَفْصَحَكَ ! فَقَالَتْ : أَوْ يَعُدُّ هَذَا فَصَاحَةً بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ جُمِعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ وَخَبَرَيْنِ وَبَشَارَتَيْنِ .

ولما سمع الوليدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَهُ لِحَلَاوَةٌ ، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَّلَاوَةٌ ، وَإِنْ أَسْفَلُهُ لَمُغْدِقٌ ، وَإِنْ أَعْلَاهُ لُمُثْمِرٌ ، مَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ .

- (١) فِي الْأَصْلِ : « وَالنَّص » وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَسْتَفَادُ مِنَ الْكَشَافِ ، وَالنَّهْيُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : (لَا يَحْطِمَنَّكُمْ) .
- (٢) فِي الْأَصْلِ : (إِنِّي لَهُ حَلَاوَةٌ) بِدُونِ لَامٍ ، وَمَا أَثْبَتْنَاهُ عَنِ الشَّافِعِيِّ ج ١ ص ٢٢٠ ط الْأَسَانَةِ وَالطَّلَاوَةُ بضم الطاء وفتحها : الرَوْتَقُ وَالْحَسَنُ .
- (٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَفِي بَعْضِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ ، وَمَعْنَاهُ الْكَثِيرُ الْمَاءُ ، وَفِي رِوَايَةٍ : (لَمُغْدِقٌ) كَمَا فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ . وَالْمُغْدِقُ بِكسر الدال : الرِيَانُ النَّدِي .

٥

١٠

١٥

٢٠

وسمع آخر رجلا يقرأ : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ فقال : أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام .

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان آسم جامع لكل ما كشف لك من قناع المعنى ، وهتك الحجاب عن الضمير ، حتى يفيض السامع إلى حقيقة اللفظ ويهجم على محموله كأنما كان .

وقيل لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ فقال : أن يكون اللفظ محيطا بمعناك كاشفا عن مغزاك ، وتخرجه من الشُّرْكة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرة . ويكون سليما من التكلف ، بعيدا من سوء الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأمل . وقال آخر : خير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ليسرع إلى الفهم تلقية ، وموجزا ليخفف على اللسان تعاوده .

وقال أعرابي : البلاغة التقرب من معنى البُغية ، والتباعد من وحشي الكلام وقرب المأخذ ، وإيجاز في صواب ، وقصد إلى الحجة ، وحسن الاستعارة . قال على رضي الله عنه : البلاغة الإفصاح عن حكمة مستغلفة^(١) ، وإبانة علم مشكل .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة إيضاح المتبسات ، وكشف عورات الجهالات ، بأحسن ما يمكن من العبارات .

وأما الفصاحة — فهي مأخوذة من قولهم : أفصح اللبن إذا أخذت عنه الرغوة . وقالوا : لا يسمى الفصيح فصيحاً حتى تخلص لغته عن اللكنة الأعجمية ولا توجد الفصاحة إلا في العرب . وعلماء العرب يزعمون أن الفصاحة في الألفاظ ، والبلاغة في المعاني ، ويستدلون بقولهم : لفظ فصيح ، ومعنى بليغ .

(١) في الاصل : « متغلفه » ولم نجده فيما لدينا من كتب اللغة .

ومن الناس من استعمل الفصاحة والبلاغة بمعنى واحد في الألفاظ والمعاني والأكثر عليه .

ذكر صفة البلاغة

٥ قيل لعمر بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار ، قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : فما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك ، قال : ليس هذا أريد ، قال : من لم يُحسن أن يسكت لم يُحسن أن يسمع ، ومن لم يُحسن أن يسمع لم يُحسن أن يسأل ، ومن لم يُحسن أن يسأل لم يُحسن أن يقول ، قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنا معشر النبيين بكاء » — أي قليلوا الكلام ، وهو جمع بكى — وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ، قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : فكأنك تريد تخير اللفظ في حسن إفهام ، قال : نعم ، قال : إنا إن أردت تقرير حجة الله في عقول المتكلمين ، وتخفيف المؤونة على المستمعين ، وتزيين المعاني في قلوب المستفهمين بالألفاظ الحسنة رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالمواعظ الناطقة عن الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب .

١٥ وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الوصل من الفصل . وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : ألا يؤتى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل .

(١) هو حفص بن سالم كما في زهر الآداب . ج ١ ص ٩٤ ط المطبعة الرحمانية .

(٢) كذا في الأصل . ولم تقف على هذه الرواية فيما لدينا من كتب الحديث ولا غيرها ، ونصه

٢٠ في كتاب النهاية لأن الأثير " نحن معشر الانبياء فينا بكاء " وقال في تفسير البكاء بفتح الباء : " أي قلة الكلام إلا فيما يحتاج اليه ، يقال : بكأت الناقة والشاة إذا قل لبنها فهي بكى . وبكىته .

وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قُرب طَرْفَاد ، وبعُد منتهاه .
وقيل لبعض البلغاء : من البليغ ؟ قال : الذي إذا قال أسرع ، وإذا أسرع أبدع
وإذا أبدع حرك كل نفس بما أودع .

وقالوا : لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه الى قلبك أسبق من
لفظه الى سمعك .

وسأل معاوية^(١) صُحارًا العبدى : ما هذه البلاغة ؟ قال : أن تجيب فلا تبطئ^(٢)
وتصيب فلا تخطئ .

وقال الفضل : قلت لأعرابي : ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز في غير عجز
والإطناب في غير خطل .

وقال قدامة : البلاغة ثلاثة مذاهب : المساواة وهو مطابقة اللفظ المعنى لا زائدا
ولا ناقصا ، والإشارة وهو أن يكون اللفظ كاللحمة الدالة ، والدليل وهو إعادة
الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، ليظهر لمن لم يفهمه ، ويتأكد عند من فهمه .
قال بعض الشعراء :

يكنى قليل كلامه وكثيره * بيت إذا طال النضال مصيب

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العمد : البلاغة تكون على أربعة
أوجه : تكون باللفظ والخط والإشارة والدلالة ، وكل وجه منها له حظ من البلاغة
والبيان ، وموضع لا يجوز فيه غيره ، ورب إشارة أبلغ من لفظ .

(١) في الأصل : (لطجار العدى) وهو خطأ من النسخ ، والتصويب عن العقد الفريد . ج ١ ص ٢١٤ ط
المطبعة العثمانية . (٢) كذا في الأصل ، وقد وردت هذه القصيدة في البيان والتبيين ج ١ ص ٤٤ ط
مطبعة الفتح الأدبية أكل مما هنا وأكثرت تفصيلا ؛ ولعل المؤلف اختصرها تبعا للعقد الفريد لابن عبد ربه
وجريا على عادته في هذا الكتاب من اختصار القصص والرسائل بقدر المستطاع ، ولم يرد إبرادها
في حواشي الكتاب لطولها .

وقال رجل للعتابي : ما البلاغة ؟ قال : كل ما أبلغك حاجتك ، وأفهمك معناه

(٤)

بلا إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ ، قالوا : قد فهمنا الإعادة والحُبسة ، فما معنى الاستعانة ؟ قال : أن يقول عند مقاطع الكلام : إسمع مني ، وأفهم عني ، أو يمسح ^(١) عُنُونَهُ ، أو يقتل أصابعه ، أو يكثر التفاتَه ، أو يسعل من غير سُعلة ، أو يبهز في كلامه ^(٢)

قال بعض الشعراء :

مليءٌ ببهزٍ والتفاتٍ وسُعلةٍ * ومسحةٍ عُثُونٍ وقَتْلِ الأصابع ^(٣)

ومن كلام أحمد بن إسماعيل الكاتب المعروف بنطاحه ، قال : البليغ من عرف السقيم من المعتل ، والمقيّد من المطابق ، والمشارك من المفرد ، والمنصوص من المتأول ، والإيماء من الإيحاء ، والفصل من الوصل ، والتلويح من التصريح .

ومن أمثالهم في البلاغة قولهم : يُقَلّ الحزُّ ويطبّق المَفْصِل ^(٤) . وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجز الذي يُقَلّ الكلام ويصيب نصوص المعاني بالجزار الرفيق الذي يقلّ حَزَّ اللحم ويصيب مفاصله ، وقولهم : يضع الهناء مواضع الثقب ، أي لا يتكلم إلا فيما يجب الكلام فيه . والهناء : القطران . والثقب : الحرب . وقولهم : قرطس فلان فأصاب الغرّة ، وأصاب عين القرطاس ^(٥) . كل هذه أمثال للصيب في كلامه الموجز في لفظه .

١٥

- (١) هو ما نبت على الذقن من الشعر وتحتة سفلا ، أو هو ما فضل من الخية بعد العارضين من باطنهما .
- (٢) في الأصل : (يبهز) بياء موحدة بعدها تاء مثناة ؛ ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة من معانيه ما يناسب المقام ، ولعله تحريف صوابه ما أثبتنا كما في العقد الفريد . ويهز : مطاوع بهز الحمل يهزه : أوقع عليه البهر بضم ، الباء وهو تابع النفس من الإعياء . (٣) في الأصل : (ناطحة) بنون بعدها ألف ، وهو خطأ من النسخ ، والتصويب عن كتاب الوافي ، ومعجم الأدباء ج ١ ص ٣٧٧ ط مطبعة هندية وهو أحمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحبيب أبو علي الكاتب الأنباري . (٤) في البيان والتبيين : (الحز) .
- (٥) في الأصل : « من » والمقام يقتضي الباء كما أثبتنا .
- (٦) يقال : قرطس فلان إذا رمى فأصاب القرطاس ، ويقال للرمية : مقرطسة .
- (٧) هو كل أديم ينصب للنضال ؛ وفيه خمس لغات : تليث القاف ، وبكعفر ، وكدرهم .

٢٠

فصول من البلاغة

قيل : لما قدم قُتَيْبَةُ بن مسلم نُحْرَاسَانَ واليا عليها ، قال : من كان في يده شيء من مال عبد الله بن حازم فليُنْبِذْهُ ، ومن كان في فيه فليَلْفِظْهُ ، ومن كان في صدره فليَنْفُثْهُ . فعَجِبَ الناس من حُسن ما فَصَّل .

وكتب المعتصم إلى ملك الروم جوابا عن كتاب تهَدَّدَ فيه : الجواب ما ترى
 لا ما تسمع ^(١) ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ ﴾ .

وقيل لأبْنِي السَّمَّالِ الأَسَدِيَّ أيام معاوية : كيف تركت الناس ؟ قال : تركتهم بين مظلوم لا ينتصف ، وظالم لا ينتهي . وقيل لشَيْبِ بن شَبَّةَ عند باب الرشيد : كيف رأيت الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا .

وقال حَسَّانُ بن ثابت في عبد الله بن عباس رضى الله عنهم :
 ١٠

إذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملقطات لا ترى بينها فضلا ^(٢)

كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع * لذي إربة في القول جدا ولا هزلا

قال سهل بن هارون : البيان ترْجُمانُ العقول ، وروض القلوب ، البلاغة ما فهمته العامة ، ورضيته الخاصة ، أبلغ الكلام ما سبق معناه لفظه ، خير الكلام ما قل وجل ، ودل ولم يمل ، خير الكلام ما كان لفظه فخلا ، ومعناه بكرا .
 ١٥

(١) الكافر بالإفراد قراءة الحرمين وأبي عمرو كما في تفسير الألوسي .

(٢) في الأصل : « ابن السماك الأسدي » ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من المظان ، ولعله تحريف صوابه . ما أثبتناه كما في شرح القاموس والشعر والشعراء في ترجمة النجاشي ، وفي المشتهر للذهبي : (أبو سمال) بدون تعريف .

(٣) كذا في الأصل بالضاد المعجمة . وفي رواية (فضلا) بالصاد المهملة كما في ديوان الشاعر
 ٢٠ والبيان والتبيين ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

وقال ابن المعتز : البلاغة أن تبلغ المعنى ولم تطل سَفَر الكلام ، خير الكلام ما أسفر عن الحاجة ، أبلغ الكلام ما يؤنس مَسَمَعه ، و يؤنس مَضِيَّه ^(١) ، أبلغ الكلام ما حَسُنَ إيجازه ، وقِلَ مجازُه ، وكثُرَ إيجازُه ، وتناسبت صدوره وأعجازه ، البلاغة ما أشار اليه البحتريُّ حيث قال :

وركن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد

جمل من بلاغات العجم وحكمها

قال أبرويز لكتابه : إذا فكرت فلا تعجل ، وإذا كتبت فلا تستعِن بالفضول فإنها علاوة على الكفاية ، ولا تقصرن عن التحقيق فإنها هُجْنَةٌ في المقالة ، ولا تلبس كلاما بكلام ، ولا تباعدك معنى عن معنى ، وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول . ووافق كلامه قول ابن المعتز : ما رأيت بليغا إلا رأيت له في المعاني إطالةً وفي الألفاظ تقصيرا . وهذا حثٌّ على الإيجاز . وقال أبرويز أيضا لكتابه : اعلم أن دوائم المقالات أربع إن التمس إليها خامسة ^(٢) لم توجد ، وإن نقص منها واحدة لم تتم وهي : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وخبرك عن الشيء ، فإذا طلبت فأنجح ، وإذا سألت فأوضح ، وإذا أمرت فأحكم ، وإذا أخبرت فحقق . وقال بهرام جُور : الحُكْم ميزان الله في الأرض . ووافق ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ وقال أنوشروان لابنه هُرْمُز : لا يكون عندك لعمل البر غاية في الكثرة ، ولا لعمل الإثم غاية في القلة . ووافق من كلام العرب قول الأَفْوه :

والخير تزداد منه ما لقيت به * والشر يكفيك منه قلما زاد

(١) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا : « و يؤنس مصيغه » وهو تحريف ، والتصويب عن زهر الآداب . يريد وصف الكلام بأنه عزيز نادر ، فالذي يضيع منه ويفوت يؤنس طالبه من أن يجد مثله .
(٢) كذا في الأصل . وكأنه يريد : إن التمس ضمَّ خامسة إليها . وفي رواية : « لها » .

وقال أزدشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبته ، وفحش حرصه ، ومن فحش حرصه ذلت نفسه ، وغلب عليه الحسد ، ومن غلب عليه الحسد لم يزل مغموما فيما لا ينفعه ، حزينا على ما لا يناله . وقال : من شغل نفسه بالملئ لم يخل قلبه من الأسي .

- وقال بعضهم : الحقوق أربعة : حق لله ، وقضاؤه الرضا بقضائه ، والعمل بطاعته ، وإكرام أوليائه ، وحق لنفسك ، وقضاؤه تعهدا بما يصلحها ويصحها ويحسم مواد الأذى عنها ، وحق للناس ، وقضاؤه عمومهم بالموادة ، ثم تخصيص كل أمرئ منهم بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحق للسلطان ، وقضاؤه تعريفه بما خفي عليه من منفعة رعية ، وجهاد عدو ، وعمارة بلد ، وسد ثغر . وقال بزرجمهر :
- إلزام الجهول الحجة يسير ، وإقراره بها عسير .

[صفة الكاتب^(١) وما ينبغي أن يأخذ به نفسه

- قال إبراهيم بن محمد الشيباني : من صفة الكاتب اعتدال القامة ، وصغر الهامة وخفة اللهازم^(٢) ، وكافة اللحية ، وصدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشائل وخطف الإشارة ، وملاحة الزى . وقال : من كمال آلة الكاتب أن يكون بهي الملبس ، نظيف المجاس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك^(٣) مستفهر المركب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية

(١) موضع هذه العبارة مطبوس بالأصل ، ولعل ما أثبتناه يطابق ما يأتي في أول الفصل .

(٢) اللهازم : أصول الحنك ، واحده لزيمة . يريد بتحفتها قلة الشعر النابت عليها بدليل ما بعده .

(٣) اسم مفعول من قولهم : فلان يستفهر الأفراس ، أى يستكرمها .

عظيم الهامة، فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة .
قال بعض الشعراء :

وشمول كأنما أعتصروها * من معاني شمائل الكتاب

هذا ما قيل في صفة الكاتب .



وأما ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه، فقد قال إبراهيم الشيباني :
أول ذلك حسن الخط الذي هو لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووحى
الفكر، وسلاح المعرفة، وأنس الإخوان عند الفرقة، ومحادثتهم^(١) على بُعد المسافة
ومستودع السر، وديوان الأمور .

وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ : إنه الخط الحسن .

وقد اختلف الكتاب في نقط الخط وشكله ، فمنهم من كرهه

قال سعيد بن حميد الكاتب :

لأن يشكل الحرف على القارئ أحب إلى من أن يعاب الكاتب بالشكل .
وعرض خط على عبد الله بن طاهر فقال : ما أحسنه لولا أنه أكثر شؤني^(٢)

ونظر محمد بن عباد إلى أبي عبيد وهو يقيّد البسملة فقال : لو عرفت ما شكلته .

ومنهم من حمده فقال : حلّوا عواطل الكتب بالتقييد ، وحصّنها من شبه
التصحييف والتحريف .

وقيل : إجماع الكتب يمنع من استعجامها^(٣) ، وشكلها يصونها عن إشكالها .

(١) في الأصل : (محازيتهم) وهو تحريف ، والتصويب عن صحيح الأعشى ج ٣ ص ٦ ط دار الكتب

المصرية . (٢) الشونيز والشينيز : الحبة السوداء ، وقيل دوفارسي الأصل . شبه نقط الحروف به .

(٣) في الأصل : (استعجامها) بالباء ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه المقام .

قال الشاعر ^(١) :

وكان أحرف خطه شجر ^(٢) * والشكل في أغصانه ثمره ^(٣) .

* *

وأما ما قيل في حسن الخط وجودة الكتابة ومدح الكتاب والكتاب .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الخط الحسن يزيد الحق وضوحا .

وقال : حسن الخط إحدى البلاغتين .

وقال عبيد الله بن العباس : الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط

سمط الحكمة ، به تُفصل شذورها ، وينتظم منشورها ، وقال أبو هلال العسكري :

الكتب عقل شوارد الكلم * والخط خيط في يد الحكم

والخط نظم كل متثر * منها وفصل كل منتظم

والسيف وهو بحيث تعرفه * فرض عليه عبادة القلم .

وقد اختلف الناس في الخط واللفظ ، فقال بعضهم : الخط أفضل من اللفظ

لأن اللفظ يفهم الحاضر ، والخط يفهم الحاضر والغائب .

قالوا : ومن أعجيب الخط كثرة اختلافه والأصل فيه واحد ، كاختلاف صور

الناس مع اجتماعهم في الصبغة . قال الصولي ^(٥) : سئل بعض الكتاب عن الخط متى

(١) هو أحمد بن اسماعيل نطاحة ، كما في أدب الكتاب .

(٢) في أدب الكتاب : « أضعافها » .

(٣) في الأصل : (ثمر) بدون هاء الضمير ، والصواب إثباتها كما في أدب الكتاب ليوافق البيت قبله

وهو : مستودع قراطسه حكما * كالروض ميز بينه زهره .

(٤) السمط بالكسر : خيط النظم ، وجمعه سموط .

(٥) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول ، وصول هذا رجل من الأتراك

إليه ينسب أبو بكر المتقدم لا إلى صول البلد المعروف .

يستحق أن يوصف بالجلودة ؟ قال : اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ،
وآستقامت سطورهُ ، وضاهى صعوده حدودهُ ، وتفتحت عيونه ، ولم تشتبه راءهُ ونونه ؛
وأشرق قرطاسهُ ، وأظلمت أنقاسهُ^(١) ، ولم تختلف أجناسهُ ، وأسرع الى العيون تصوره ،
والى القلوب ثمرهُ^(٢) ، وقُدّرت فصولهُ ، [وَأندمجت وُصولهُ^(٣) ، وتناسبَ دقيقهُ وجليلهُ] ؛
وتساوت أطناهُ ، وآستدارت أهدابهُ ، ونُخرج عن [نَمِطِ الورّاقين^(٤)] ، وبعد عن تصنع^(٥)
المحرّرين ؛ [وقام لكتابه مقام النسبة والحلية] وكان حينئذ كما قلتُ فى صفة الخط :

اذا ما تَخَلَّلَ قرطاسه * وساوره القلم الأرقش^(٦)

تَضَمَّنَ من خطّه حُلَّةً * كمثل الدنانير أو أنقش

حروف تكون لعين الكليل * نشاطا ويقرأها الأخفش^(٧)

وقال ابن المعتز :

إذا أخذ القرطاسَ خِلَتَ يمينه * تُفَتِّحُ نوراً أو تنظّم جوهراً

وقيل لبعضهم : كيف رأيت إبراهيم الصّولى ؟ فقال :

يؤلّف اللؤلؤَ المنشورَ منطّقه * وينظّم الدرّ بالأفلام فى الكتب

(١) جمع نقس بالكسر ، وهو المداد .

(٢) فى الأصل : (تثره) ولم نجده فيما لدينا من كتب اللغة بالمعنى المناسب لما هنا ، وما أثبتناه عن
أدب الكتاب ص . ط المطبعة السلفية .

(٣) موضع هذين الفقرتين مطموس بالأصل . وما نقلناه عن أدب الكتاب .

(٤) موضع هذه العبارة مطموس بالأصل لعدم قراءته . وما نقلناه عن أدب الكتاب .

(٥) الزيادة عن أدب الكتاب .

(٦) الأرقش من الأفاعى : ما فيه نقط سواد و بياض ، شبه به القلم فى قوّة فعله و بلوغ أثره ؛ أو هو
من رقص الكتاب اذا كتبه وزينه .

(٧) الأخفش : الضعيف البصر ، وهو من باب فرح .

(١)
وقال آخر:

أضحكت قرطاسك عن جنة * أشجارها من حكم مشمره
مسودة سطحا ومبيضة * أرضا كمثل الليلة المقمرة^(٢)

وقال آخر:

كتبت فلولا أنت هذا محلل * وذاك حرام قست خطك بالسحر
فوالله ما أدري أزهر نحيلة * بطرسك أم در يالوح على نحر
فان كان زهرا فهو صنع سخابة * وإن كان درًا فهو من لجج البحر

وقال آخر:

وكاتب يرقم في طريه * روضا به ترتع الحاظه
فالدّر ما تنظم أقلامه * والسحر ما تنثر الناطه

وقال آخر:

وشادين من بنى الكتاب مقدر * على البلاغة أحلى الناس إنشاء
فلا يجاريه في ميدانه أحد * يريك سخبان في الإنشاء إنشاء

وقال آخر:

إن هنر أقلامه يوما ليعمها * أنساك كل كمي هنر عامله^(٣)
وإن أمر على ريق أنامله^(٤) * أقر بالرق كتاب الأنام له



(١) هو أحمد بن اسماعيل المعروف بنطاحه كما في أدب الكتاب .

(٢) في أدب الكتاب : « أيضا » .

(٣) عامل الرمح وعاملته : صدره .

(٤) الصحيفة البيضاء ، وجلد رقيق يكتب فيه .

وقال أبو الفتح كُشاجمُ :

وَإِذَا نَمَمْتَ بِنَانِكَ خَطًّا * مُعْرِبًا عَنْ بِلَاغَةِ وَسَدَادِ
تَحِبُّ النَّاسَ مِنْ بَيَاضِ مَعَانٍ * تُجْتَنِّي مِنْ سَوَادِ ذَلِكَ الْمِدَادِ^(١)

وقال المشوق الشامي شاعر اليتيمة :

لَا يُخْطِرُ الْفَكْرَ فِي كِتَابَتِهِ * كَأَنَّ أَقْلَامَهُ لَهَا خَاطِرُ

الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ يَجْرِيَانِ مَعًا * لَا أَقُولُ فِيهِمَا وَلَا آخِرُ

قَالَ أَبُو عَثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْجَا حِظْ : الْكِتَابُ نَعَمُ الذُّخْرُ وَالْعُقْدَةُ^(٢) ، وَنَعَمُ الْجَلِيسُ
وَالْعَمْدَةُ ، وَنَعَمُ النَّشْرَةُ^(٣) وَالنُّزْهَةُ ، وَنَعَمُ الْمُسْتَغْلُ وَالْحِرْفَةُ ، وَنَعَمُ الْأُنَيْسُ سَاعَةُ الْوَحْدَةِ
وَنَعَمُ الْمَعْرِفَةُ بِبِلَادِ الْغُرْبَةِ ، وَنَعَمُ الْقَرِينُ وَالذَّخِيلُ ، وَالْوَزِيرُ وَالنَّزِيلُ ، وَالْكِتَابُ وَعَاءُ
مُلِيٍّ عُلَمَاءَ ، وَظَرْفُ حُشْيَ ظَرْفًا ، وَإِنَاءُ شَحْنٍ مُزَاحًا وَجِدًا ، إِنْ شِئْتَ كَانَ أَيْبَنَ مِنْ
سَحْبَانٍ وَائِلٍ ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ ، وَإِنْ شِئْتَ ضَحَكَتَ مِنْ نَوَادِرِهِ
وَعَجِبْتَ مِنْ غَرَائِبِ فَوَائِدِهِ ، وَإِنْ شِئْتَ أَهْتَكَ نَوَادِرُهُ ، وَإِنْ شِئْتَ شَجَّتْكَ مَوَاعِظُهُ
وَمَنْ لَكَ بَوَاعِظُ مُلْهِ ، وَبَزَاجِرُ مُغَرٍّ ، وَبِنَاسِكَ فَاتِكِ ، وَنَاطِقِيْ أَنْحَرَسَ ، وَبِبَارِدِ حَارِ
وَمَنْ لَكَ بِطَبِيبِ أَعْرَابِيٍّ ، وَبِرُومِيٍّ هِنْدِيٍّ ، وَفَارَسِيٍّ يُونَانِيٍّ ، وَبِقَدِيمٍ مُوَلَّدٍ ، وَبِمِيتٍ
مُتَمِّعٍ ، وَمَنْ لَكَ بِشَيْءٍ يَجْمَعُ لَكَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَّاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ

(١) كَذَا فِي يَتِيْمَةِ الدَّهْرِ ج ١ ص ٢٢٠ وَ ٢٢١ ط المِطْبَعَةُ الْخَفِيَّةُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْمَشُوق » ،
وَهُوَ لَقَبُ الشَّاعِرِ ، قَالَ فِي الْيَتِيْمَةِ : وَلَمْ أَتَحَقَّقْ اسْمَهُ . وَالصَّوَابُ فِي نِسْبَةِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَنَّهُمَا لِعَبْدِ الْمُحْسَنِ بْنِ
مُحَمَّدٍ الصُّوْرِيِّ كَمَا فِي الْيَتِيْمَةِ ج ١ ص ٢٣٥ .

(٢) هِيَ كُلُّ مَا يَسْتَوْتِقُ الْإِنْسَانُ بِهِ لِنَفْسِهِ وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْعُقْدَةِ بِمَعْنَى الْحَاظِ الْكَثِيرِ النَّخْلِ
وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا جَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَحْكَمَ أَمْرَهُ عِنْدَ نَفْسِهِ وَاسْتَوْتَقَ مِنْهُ .

(٣) النَّشْرَةُ بِالضَّمِّ : الرَّقِيسَةُ الَّتِي يَعالِجُ بِهَا الْمَجْنُونُ وَالْمَرِيضُ ، سَمِيَتْ نَشْرَةً لِأَنَّهُ يَنْشُرُ بِهَا عَنْهُ مَا كَانَ
خَامِرًا مِنَ الدَّاءِ ، أَيْ يَكْشِفُ وَيُزَالُ .

(٤) فِي الْمُحَاسَنِ وَالْأَضْدَادِ : (وَرُومِيٍّ) بِاسْقَاطِ الْبَاءِ ، وَلَعَلَّهُ أَظْهَرَ .

والرفيع والوضيع ، والغث والسمين ، والشكل وخلافه ، والجنس وضده ، وبعد : فمضى
 رأيت بستاناً يُحْمَلُ في رُدنٍ^(١) ، وروضة تُقَاب في حجرٍ؟ ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام
 الأحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى ، «آمن من الأرض»
 وأكتم للسر من صاحب السر ، وأضبط لحفظ الوديعة من أرباب الوديعة ، وأحضر
 لما استُحْفِظ من الأميين ، ومن الأعراب المعربين ، بل من الصبيان قبل اعتراض
 الأشغال ، ومن العُميان قبل التمتع بتمييز الأشخاص ، حين العناية تامة لم تُنْقَصْ
 والأذهان فارغة لم تُقْتَسَم^(٢) ، والإرادات وافرة لم تستعَب ، والطينة لينة فهي أقبل
 ما تكون للطابع ، والقضيب رطب فهو أقرب ما يكون للعُلوق ، حين هذه الخصال
 لم يلبس جديدها ، ولم تتفرق قواها ، وكانت كقول الشاعر :

أتاني هواداً قبل أن أعرف الحموى * فصادف قلبي فارغاً فتمسكنا

وقال ذو الرمة لعيسى بن عمر : أكتب شعري ، فالكتاب أعجب إلى من الحفظ
 لأن الأعرابي ينسى الكلمة قد تعب في طلبها يوماً أو ليلة ، فيضع موضعها كلمة
 في وزنها لم ينشدها الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام . قال : ولا أعلم
 جارا أبر ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا معلماً أخضع ، ولا صاحباً
 أظهر كفاية ، ولا أقل خيانة ، ولا أقل إبراماً وإملالاً ، ولا أقل خلافاً وإجراماً
 ولا أقل غيبة ، ولا أكثر أعجوبة وتصرفاً ، ولا أقل صلفاً وتكلفاً ، ولا أبعد من
 مرء ، ولا أترك لشغب ، ولا أزهد في جدال ، ولا أكف عن قتال من كتاب ،
 ولا أعلم شجرة أطول عمراً ، ولا أجمع أمراً ، ولا أطيب ثمرة ، ولا أقرب مجتنى^(٣)

(١) الردن بالضم : أصل الكم جمعه أردان . (٢) كذا في الأصل . ولعله : « تشعب » .

(٣) لم ينشدها الناس ، يريد أن الكلمة التي يضعها لم تسر في الناس ولم يرووها ، ولم يكن قبل قد
 أنشدها إياهم . وفي رواية : « ثم ينشدها » بالثاء المثناة .

(٤) كذا في الأصل . ولم ترد هذه العبارة ضمن كلام الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد .

ولا أسرع إدراكا، ولا أوجد في كل إبان^(١) من كتاب؛ ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده، وحضور ذهنه، وإمكان موجوده، يجمع من التدابير العجيبة، والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود الأذنان اللطيفة، ومن الأخبار عن القرون الماضية، والبلاد المتراخية، والأمثال السائرة، والأمم البائدة ما يجمع الكتاب؛ وقد قال الله تبارك اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾
فوصف نفسه تعالى جده بأن علم بالقلم، كما وصف به نفسه بالكرم، واعتد بذلك من نعمه العظام، وفي أياديه الجسام.



ذكر شيء مما قيل في آلات الكتابة

قال ابراهيم بن محمد الشيباني فيما يحتاج إليه الكاتب :

من ذلك أن يصلح الكاتب آتاه التي لا بد منها، وأداته التي لا تتم صناعته إلا بها، وهي دواته، فلينعِمَ رُبَّهَا وإصلاحها، ثم يتخير من أنابيب القصب أقله عُقْدًا^(٢) وأكثفه لحما، وأصلبه قشرا، وأعدله استواءا، ويجعل لقرطاسه سكينًا حادًا لتكون عونًا له على برى أقلامه، ويبريها من جهة نبات القصب، فان محلّ القلم من الكاتب كمحلّ الرمح من الفارس. وقد خَصَّ الفضلاءُ القلمَ بأوصاف كثيرة، ومزايا خطيرة فلنذكر منها طرفًا.

(١) إبان كل شيء : وقته وحينه الذي يكون فيه .

(٢) أنعم العمل : أجاده ، يقال : اذا عملت عملا فأنعمه .

(٣) في الأصل : من (الأنابيب) بزيادة «ال» والصواب حذفها كما تقتضيه القواعد .

ذكر شيء مما قيل في القلم

قال الله تعالى : ﴿ ت وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ وقال : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ .

- وقال الحكماء : القلم أحد اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرّ القلوب .
- وقالوا : عقول الرجال تحت أسنة أقلامها . ^(١) ينوء الأقلام بصوب غيث الحكمة .
- القلم صائغ الكلام ، يفرغ ما يجمعه القلب ، ويصوغ ما يسبكه اللب ^(٢) .
- وقال جعفر بن يحيى : لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم .
- وقال المأمون : لله در القلم كيف يحونك وشئ المملكة ! .
- وقال ثمامة بن أشرس : ما أثرت الأقلام ، لم تطمع في درسه الأيام . بالأقلام تدبر الأقاليم . كتاب المرء عنوان عقله ، ولسان فضله . عقل الكاتب في قلمه .
- وقال ابن المعتز : القلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدّم الإرادة كأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح نوار بستان .
- وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : منها جودة برى القلم وإطالة جلفته ^(٣) ، وتحريف قطته ، وحسن التأني لامتطاء الأنامل ، وإرسال المدة بعد إشباع الحروف ، والتحرز عند فراغها من الكسوف ، وترك الشكل على الخطأ والإعجام على التصحيف .

(١) النوء : النجم إذا مال للغيب ، جمعه أنواء ، ونوآن كعبد وعبدان . أو هو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع النجر وطلوع رقبه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى ذلك .

(٢) في الأصل : «يسيله» ، وهو تحريف ، والتصويب عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٣٧ ط دار الكتب المصرية ، وقائل هذه الكلمة أبو دلف العجلي .

(٣) الجلفة بكسر الجيم وتفتح وسكون اللام من القلم : ما بين مبراه إلى سنه .

وقال العتّابي : سألني الأصمعي في دار الرشيد : أي الأنايب للكتابة أصحّ وعليها
أصبر^(١) ؟ فقلت له : ما نشف بالهجير مأوّه ، وسترد من تلويحه غشاؤه بـ من التبرية
المنشور ، الدرّية الظهور ، الفضية الكسور ؛ قال : فأى نوع من البرى أصوب
وأكتب ؟ فقلت : البرية المستوية القطة التي عن يمين سنها برية تؤمن معها المحبة عند
المدة والمطة ، للهواء في شققها فتيق ، والريح في جوفها تحريق^(٢) ، والمداد في خرطومها
رفيق . قال العتّابي : فبقى الأصمعي شاخصا إلى ضاحكا ، لا يُجيب مسألة ولا جوابا .

وكتب علي بن الأزهر إلى صديق له يستدعي منه أقلاما : أما بعد : فإنما على
طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الأسم ، ولزمت لزوم الوسم^(٣) ، فخلت محل
الأنساب ، وجرّت مجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام الصخرية^(٤) أجرى في الكواغد^(٥)
وأمر في الجلود ، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس ، وألين في المعاطف^(٦)
وأشد تعريف الخط فيها ، ونحن في بلد قليل القصب رديئه . وقد أحببت في أن
تقدم في اختيار أقلام صخرية^(٧) ، ولتنوّق في آفتنائها قبلك ، وتطابها من مظائرها ومنابتها^(٨)
من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن نتيمن^(٩) باختيارك منها الشديدة الصلبة

(١) في الأصل : (يشف) وهو تحريف ، والتصويب عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١ :

ط دار الكتب المصرية . (٢) يريد أنها تنفذ فيها وتختلها .

(٣) الوسم : أثر الكي .

(٤) الصخرية بالضم نسبة إلى الصخرة ، وهي جوبة تنجب وسط الحرة ، وتكون أرضا لينة تطيف بها
حجارة ، والجمع صحر .

(٥) واحده كاغد بفتح الغين المعجمة : القراطيس ، وهو فارسي معرب .

(٦) في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ ط بولاق : (لتصريف) وكلاهما يستقيم به الكلام وإن اختلف

المراد في كل من الروايتين . (٧) في الأصل : (تخير) والمقام يقتضي ما أثبتنا كما في صبح الأعشى

ج ٢ ص ٤٤١ والعقد الفريد . (٨) في العقد الفريد : (تألق) ومؤداهما واحد . (٩) في العقد

الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ : (تيمم في اختيارك) الخ ، وهي أقرب بقرينة قوله بعد : « وان تقصد » .

(١)
التقية الجلود، القليلة الشحوم، الكثيرة اللحوم، الضيقة الأجواف، الرزينة المحمل
فإنها أبقى على الكتابة، وأبعد من الحفا، وأن تقصد بانتقاءك للرقاق القضبان
المقومات المتون، المثلّس المعاقد، الصافية القشور، الطويلة الأنايب، البعيدة ما بين
الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوام، المستحكمة يّسا وهي قائمة على
أصولها، لم تُعجل عن إبان ينعتها، ولم تؤخر إلى الأوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء
وعفن الأنداء، فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا قطعاً رقيقاً، ثم عبأت
منها حزمًا فيما يصونها من الأوعية، [ووجهتها مع من يؤدى الأمانة فى حراستها وحفظها
وإيصالها] وتكتب معها بعدتها وأصنافها بغير تأخير ولا توان، إن شاء الله تعالى .
وأهدى ابن الحرون إلى بعض إخوانه أقلاما وكتب إليه :

٩

١٠ إنه لما كانت الكتابة — أبقاك الله — أعظم الأمور، وقوام الخلافة، وعمود المملكة
أتخفّتك من آلتها بما يخفّ حملها، وتثقل قيمته، ويعظم نفعه، ويحلّ خطره، وهي
أقلام من القصب النابت فى الصحراء الذى نشف بجزر المجير [فى قشره] مأوه، وستره
من تلويحه غشاؤه، فهى كالآلى المكنونة فى الصدف، والأنوار المحجوبة فى السدف،
تبرية القشور، درية الظهور، فضية الكسور، قد كستها الطبيعة جوهرا كالوشى
المحبر، ورونقا كالديباج المنير .

١٥

- (١) فى الأصل : (الاحراف) وهو تحريف ، صوابه ما أثبتنا كما فى صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١ .
(٢) فى الأصل : (العاقب) وفيه نقص وتحريف ، والتصويب عن صبح الأعشى .
(٣) الخصر : البرد . (٤) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٤ ط بولاق .
(٥) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصمغ بن الحرون من أهل بغداد .
(٦) الكلمة عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٤٢ ط دار الكتب المصرية . (٧) السدف محرّكة :
ظلمة الليل . (٨) فى الأصل : (وفرند الديباج) الخ . وهو تحريف إذ لم نجد من معانى الفرند
ما يناسب السياق ؛ وما أثبتناه عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٢ (٩) المنير كمعظم : المعلم الملحم .

٢٠

ومن كتاب لأبي الخطاب الصابي — يصف فيه أقلاما أهداها في جملة أصناف — جاء منه :

وأضفتُ إليها أقلاما سليمةً من المعايير، مبرأةً من المثالب، بحمة المحاسن بعيدةً عن المطاعن، لم يُربها طول ولا قصر، ولم ينقصها ضعف ولا خور، ولم يشينها لين ولا رخاوة، ولم يعيبها كرازة ولا قساوة، فهذه آخذةٌ بالفضائل من جميع جهاتها، مستوفيةٌ للمادح بسائر صفاتها، صلبةٌ المعاجم، لينّةٌ المقاطع، موفيةٌ القدود والألوان، محمودةٌ المخبر والعيان، قد آستوى في الملاسة خارجها وداخلها، وتناسب في السلاسة عاليها وسافلها، نبتت بين الشمس والظل، واختلف عليها الحر والقر، فلتفتحها وقدانُ الهواجر، وسفعتها [سائم] شهر ناجر، ووقدتها الشفان بصرده، وقذفها الغمام ببرده، وصابتها الأنواء بصيها، وآستهلت عليها السحاب بشايبها، فاستمرت مرائرهما على إحكام، وآستحصد سحلهما بالإبرام، جاءت شتى الشيات، متغايرة الهيئات، متباينة المحال والبإدان، تختلف بتباعد ديارها، وتأتلف بكرم نجارها، فمن أنابيب ناسبت رماح الخط في أجناسها، وشاكلت الذهب في ألوانها، وضاهت

(١) الكرازة والكروزة بضم الكاف في الأخيرة : اليبس والانقباض .

(٢) في صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٢ : (وهي آخذة) ولعله أنسب .

(٣) في الأصل : (فلاخها) والصواب ما أثبتنا كما تفتضيه اللغة .

(٤) النكلة عن صبح الأعشى .

(٥) كل شهر في صميم الحر اسمه ناجر، لأن الأبل تنجر فيه، أي يشتد عطشها حتى تيبس جلودها .

(٦) الشفان : الريح الباردة مع المطر . والصرده : البرد، وهو فارسي معرب .

(٧) واحده شوبوب : وهو الدفعة من المطر .

(٨) الحبال المفتولة على أكثر من طاقة، واحده مرير ومريرة . شبه بها القصة في استحكامها وقوتها .

(٩) هو الحبل الذي يفتل على قوة واحدة . والإبرام : فتله على طاقين .

(١٠) مختلفة الألوان والنقوش .

الحرير في لمعانها ، بطيئة الحفا ، نمرة القوي ^(٢) لا يُسْطِطِها القَطُّ ، ولا يُشْعَثُ بها الخط ^(٤) ،
ومن مصرية بيض ، كأنها [قُبَاطِيٌّ ^(٥) مصر نقاء ، وغِرْقِيُّ البَيْض صفاء ، غذاها الصعيد من
ثراه بلبه] وسقاها النيل من نميره وعذبه ، فجاءت ملتئمة الأجزاء ، سليمة من الالتواء ،
تستقيم شقوقها في أطوالها ، ولا تنكّب عن يمينها ولا شمالها ، تقترن بها صفراء كأنها
معها عَقِيَانُ ^(٦) قُرْنٌ بلجين ، أو ورق خلط بعَيْنٍ ، تختال في صُفَرٍ ملاحفها ، وتميس
في مُذهبٍ ^(٧) مطارفها ، بلون غياب الشمس ، وصِبع ثياب ^(٨) الورس ، ومن منقوشة
تَرُوقُ العين ، وتونق النفس ، ويهدي حسنُها الأُرْيَحِيَّةَ إلى القلوب ، ويحلّ الطرب
لها حَبْوَةَ الحكيم اللبيب ، كأنها اختلاف الزهر اللامع ، وأصناف الثمر اللين ،
[ومن بحرية مَوْشِيَّةٍ ^(٩) اللَّيْطِ ^(١٠) رائقة التخليط ، كأن داخلها قطرة دم ، أو حاشية رداء

- ١٠ (١) في الأصل وفي صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٣ : (مضابطة) وهو خطأ من النسخ ولا معنى له
والتصويب عن زهر الآداب ج ٢ ص ٢٠٧ ط الرحمانية . (٢) في زهر الآداب : « قوية » .
(٣) في الأصل : « يشيطها » وهو تحريف ، ولم نر من معانيه ما يناسب المقام . والتصويب عن
زهر الآداب . (٤) يشعث : يفرق وينتشر . وعبارة زهر الآداب ج ٢ ص ٢٠٧ ط الرحمانية
« ولا يتشعب » بالباء الموحدة ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . (٥) الزيادة عن صبح الأعشى .
١٥ والقباطي بضم القاف وفتحها : ثياب رقيقة بيضاء تصنع في مصر . واحده قبضية بضم القاف . والفرق كزبرج
والغرقى : القشرة الملتزمة ببياض البيض ، أو هو البياض الذي يؤكل . (٦) العقيان بالكسر :
ذهب ينبت في الأرض وليس مما يستذاب من الحجارة ، أو هو الذهب الخالص . واللجين بفتح الجيم :
الفضة مادامت في تراب معدنها ، وهو مصغر لما كبر له كالثر يا . والورق : الدراهم المضروبة ، وفيه لغات :
تثايت الرائ ، وكحمل وكثقل . والعين : الدينار . (٧) المطارف : الأردنية من الخزدوات
الأعلام ، واحده مطرف . (٨) الورس : ثي ، أصفر يخرج على الرمث بين آخر الصيف
وأول الشتاء إذا أصاب الثوب لونه . أو هو نبات كالسمسم يزرع فيبقى عشر سنين في الأرض ، فإذا جف
عند إدراكه تفتحت خرائطه فيفيض فينتفض منه الورس .

(٩) الزيادة عن صبح الأعشى . والليط بالكسر : قشر القصب ، واحده ليطه ، أو هو اللون .

(١٠) في صبح الأعشى : « التخليط » والمعنى يستقيم على كل من الروايتين .

مَعْلَمٌ ، وَكَأَنَّ خَارِجَهَا أَرْقَمٌ ، أَوْ مَتْنٌ وَادٌ مُفْعَمٌ ، نَثَرَتْ أَلْوَانًا تُزْرَى بِوَرْدِ الْخُدُودِ ،
وَأَبَدَتْ قَامَاتٍ تُفْصِحُ بِأَوْدِ الْقُدُودِ .

وقد أكثر الشعراء القول في وصف القلم ، فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَشَّابَتُهُ * تَصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّ وَالْمَفَاصِلِ
لُعَابِ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ * وَأَرَى الْجَنَى أَشْتَارَتَهُ أَيْدٍ عَوَاسِلِ
لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا * بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ
فَصَبِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ * وَأَعْجَمُ إِنِّ خَاطِبَتُهُ وَهُوَ رَاجِلِ
إِذَا مَا أَمْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرِغَتْ * عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلِ
أَطَاعَتِهِ أَطْرَافُ الْقَنَاءِ وَتَقَوَّضَتْ * لِنَجْوَاهِ تَقْوِيضُ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ
إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الْجَلِيَّ وَأَقْبَلَتْ * أَعَالِيهِ فِي الْقَرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلِ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ وَسَدَّدَتْ * ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلِ
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مَرَهَفٌ * ضَنَى وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلِ
وَقَالَ آخِرُ :

(١٠)

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ غَضَبٍ * ثُمَّ اسْتَمَدُوا بِهَا مَاءَ الْمُنْيَاتِ
نَالُوا بِهَا مِنْ أَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعَدُوا * مَا لَمْ يَنْأَلُوا بِجَدِّ الْمَشْرِفِيَّاتِ
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَرِ :

١٥

قَلَمٌ مَا أَرَاهُ أَمْ فَلَكِ يَجْرِي بِمَا شَاءَ قَاسِمٌ وَيَسِيرُ^(٤)
خَاشِعٌ فِي يَدَيْهِ يَلْتَمِسُ قَرْطًا * سَاكِمًا قَبْلَ الْبِسَاطِ شَكُورٌ

(١) الأرى : غسل النحل ، وأصله عمل النحل العسل ، وسمي به الشهد كما سمي المكسوب كسبا .

واشتارته : استخرجته من الوقبة . (٢) هي ما عظم من سواقي الأودية ، واحده شعبة .

(٣) كذا في الأصل . وفي رواية : (الذكي) والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) في أدب الكتاب ص ٨٥ ط السلفية : «ويدور» .

٢٠

ولطيف المعنى جليل نحيف * وكبير الأفعال وهو صغير
كم منايا وكم عطايا وكم حنّ وعيش تَضُمُّ تلك السطور
تَقَشَّتْ بالدجى نهارا فما أدري أخطّ فيهن أم تصوير^(١)

وقال محمد بن عليّ :

٥ في كفه صارمٌ لانت مَضاربه * يسوسنا رغبا إن شاء أورهبنا
السيف والرمح خدام له أبدا * لا يبلغان له جدّا ولا لعبا
تجري دماء الأعادي بين أسطوره * ولا يُحس له صوت إذا ضربا
فما رأيت مدادا قبل ذاك دما * ولا رأيت حساما قبل ذا قصبا

وقال ابن الروميّ :

١٠ لعمرك ما السيف سيف الكميّ * بأخوف من قلم الكاتب
له شاهد إن تأملته * ظهرت على سره الغائب
أداء المنيّة في جانيه * فمن مثله رهبة الراهب
ألم ترفى صدره كالسنان * وفي الردف كالمرفف القاضب؟

^(٢)
وقال الرفاء :

١٥ أنحس ينبيك بإطراقه * عن كل ما شئت من الأمر
يُذرى على قرطاسه دمه * يُبدى لنا السرّ وما يدرى
كعاشق أخفى هواه وقد * نمت عليه عبرة تجرى
تبصره في كل أحواله * عريان يكسو الناس أو يعرى
يرى أسيرا في دواة وقد * أطلق أقواما من الأسر

(١) صوابه ، نسبة هذه الأبيات إلى أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، وهي من قصيدة وجه بها إلى أبي علي

محمد بن عليّ كما في أدب الكتاب ص ٨٠ ط السلفية .

(٢) هو أبو الحسن السريّ بن أحمد بن السريّ الكندي الرفاء الموصليّ الشاعر المعروف .

وقال آخر :

وذى عفاف راعى ساجد * أخو صلاح دمه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها * مجتهد فى خدمة البارى

وقال ابن الرومى :

إن يخدم القلم^(١) السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لا شئ يغالبه * مازال يتبع ما يجرى به القلم
كذا قضى الله للأقلام مذبذبى * أن السيوف لما مذبذبى خدم
وقال أبو الطيب الأزدى :

قلم قلم أظفار العدى * وهو كالإصبع مقصوص الظفر
أشبه الحية حتى أنه * كلما عمّر فى الأيدى قصّر

وقال أبو الحسن بن عبد الملك بن صالح الهاشمى :

وأسمر طاوى الكشح أنحس ناطق * له زمّان^(٢) فى بطون المهارق.



[ذكر ما يحتاج الكاتب الى معرفته من الأمور الكلية^(٣)

قال شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبي فى كتابه « حسن التوسل »
فأقول ما يبدأ به من ذلك حفظ كتاب الله تعالى ، ومداومة قراءته ، وملازمة درسه

(١) فى الأصل : (إن يخدم السيف القلم) وهو غير مستقيم الوزن .

(٢) الزمّان بفتح أوله وثانيه : مشى الدابة أو عدوها كأنها تطلع من النشاط ، استعاره للقلم والمهارق : الصحف ، واحده مهرق بضم الميم ، وهو معرب .

(٣) هذه التكملة المحصورة بين مربعين لم ترد بالأصل ، وبعد مراجعة هذا الكلام فى مظانه رأينا أنه منقول عن كتاب « حسن التوسل » فأثبتنا عنه هنا ما لا يستقيم الكلام بدونه ، والظاهر من قوله فيما سأتى : قال فهذه أمور كلية الخ ، وقوله : وذكر فى كتابه جملا الخ أنه نبه على هذا النقل فى أوله .

وتدبر معانيه حتى لا يزال مصقورا في فكره ، دائرا على لسانه ، ممثلا في قلبه ، ذا كرا له في كل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج الى الاستشهاد به فيها ، ويفتقر الى اقامة الأدلة القاطعة به عاينها ، وكفى بذلك معينا له في قصده . ومغنيا له عن غيره ، قال الله تعالى : مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ؛

وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس في محاوراتهم ومخاطباتهم مع قصور كل لفظ ومعنى عنه ، وعجز الإنس والجن عن الاتيان بسورة من مثله ؛

ومن ذلك أن سائلا قال لبعض العلماء : أين تجد في كتاب الله تعالى قولهم : الجار قبل الدار؟ قال : في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ فطلبت الجار قبل الدار ، ونظائر ذلك كثيرة . وأين قول العرب : «القتل أنفى للقتل» لمن أراد الاستشهاد في هذا المعنى من قوله عز وجل : ﴿ وَأَكْمُ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً ﴾ . وأكثر الناس على جواز الاستشهاد بذلك ما لم يحول عن لفظه ، ولم يغير معناه .

فمن ذلك ما روى في عهد أبي بكر رضى الله عنه : هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برّ وعدل فذلك ظني به ، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت بكم ، وإكل امرئ ما اكتسب من الإثم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

وروى أن عليا رضى الله عنه قال للأخيرة بن شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴾ .

وكتب في آخر كتاب الى معاوية : وقد علمت مواقع سيوفنا في جدارك وخالك وأخيك ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

وقول الحسن بن علي عليه السلام لمعاوية : ﴿ وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ وروى مثل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما . —

وكتب الحسن الى معاوية : أما بعد ، فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، ورسولا الى الناس أجمعين لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الى المنصور في صدر كتاب لما حاربته : ﴿ طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ ﴾ الى قوله : ﴿ مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ . ونقض عليه المنصور في جوابه عن قوله : « إنه ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم » بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ . ونقل عن الحسن البصري رحمه الله ما يدل على كراهية ذلك ، فقال حين بلغه أن الحجاج أنكر على رجل استشهد بآية : أَنَسَى نَفْسَهُ حين كتب الى عبد الملك ابن مروان : بلغني أن أمير المؤمنين عطس فشمته من حضر فرد عليهم ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ؟ وإذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون انكاره على الحجاج لأنه أنكر على غيره ما فعله هو . وذهب بعضهم الى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز أن يستشهد به إلا فما يضاف الى الله سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله سبحانه وتعالى .

ومن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز إقامة الحجّة ، وقطع النزاع ، وارتغام الخصم كما روى أن الحجاج قال لبعض العلماء : أنت تزعم أن الحسين رضى الله عنه من ذرية

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى على ذلك بشاهد من كتاب الله عز وجل ، وإلا قتلتك ، فقرأ : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ۖ إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ وَهُوَ ابْنُ بَنْتِهِ ۖ فَأَسْكَتَ الْحَاجَّ . وقد تقوم الآية الواحدة المشتبهة بها في بلوغ الغرض وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة ، والأدلة القاطعة ؛

وأقرب ما اتفق من ذلك أن صلاح الدين رحمه الله كتب الى بغداد كتابا يعدد فيه مواقفه في إقامة دعوة بني العباس بمصر ، فكتب جوابه بهذه الآية : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلِيلًا تَمَنَّوْا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

وكتب أمير المسلمين يعقوب بن عبد المؤمن الى الأذفونش^(١) ملك الفرنج جوابا عن كتابه اليه — وكان قد أبرق وأرعد فكتب في أعلاه — :

﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِمِجْنُوْدٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾
ومما جوزوا الاستشهاد به ما لا يقصد به إلا التلويح الى الآية دون أطراد الكلام نحو قول القاضي الفاضل مما كتب به الى الخليفة عن الملك الناصر صلاح الدين في الاستصراخ [وتحويل أمر الفرنج^(٢)] : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي ﴾ وهاهي في سبيلك مبذولة ، وأخى وقد هاجر اليك هجرة يرجوها مقبولة . وأما تغيير شيء من اللفظ أو إحالة معنى عما أريد به فلا يجوز ، وينبغي العدل عنه ما أمكن .

ويتلو ذلك الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية — صلوات الله وسلامه على قائلها — وخصوصا في السير والمغازي والأحكام ، والنظر في معانيها وغريبها وفصاحتها

(١) في الأصل : « الأذفونش » ودو تصحيف ، والتصويب عن وفیات الأعيان .

(٢) الزيادة عن حسن التوسل ص ٤ ط المطبعة الوهابية .

وفقهُ ما لا بد من معرفته من أحكامها، ليحتج بها في مكان الحجّة، ويستدل بموضع الدليل، فإن الدليل على المقصد إذا استند إلى النص سُلّم له، والفصاحة إذا طُلِبَت غايَتُها فإنها بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم. وينبغي أن يراعى في الحلّ لفظ الحديث ما أمكن، وإلا فمعناه.

ويتلو ذلك قراءة ما يتفق من كتب النحور التي يحصل بها المقصود من معرفته العربية، فإنه لو أتى الكاتب من البلاغة بأتم ما يكون ولحن ذهب محاسن ما أتى به وانهدمت طبقة كلامه، وألغى جميع [ما حسنه]، ووُقف به عند ما جهله.

ويتعلق بذلك [قراءة] ما يتهيأ من مختصرات اللغة، كالنصيح، وكفاية المتحفظ وغير ذلك من كتب الألفاظ ليتسع عليه مجال العبارة، وينفتح له باب الأوصاف فيما يحتاج إلى وصفه، ويضطر إلى نعته.

ويتصل بذلك حفظ خطب البلغاء من الصحابة وغيرهم، ومخاطباتهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم ومكاتباتهم، وما ادّعاه كل منهم لنفسه أو لقومه، وما نقضه عليه خصمه، لما في ذلك من معرفة الوقائع بنظائرها، وتلقى الحوادث بما شاكلها والافتداء بطريقة من فلج على خصمه، واقتفاء آثار من اضطر إلى عذر، أو إبطال دعوى أو إثباتها، والأجوبة الدامغة، فتأمل له في موضعه فإنك ستقف منه على ما استغنى به عن ذلك.

(١) كذا في الأصل. وعبارة حسن التوسل ص ٤ ط المطبعة الوهابية : «بمكان» الخ مع إسقاط قوله : «بها» ، وأعلمها أقرب بقرينة ما بعدها .

(٢) موضع هذه العبارة مطموس بالأصل لتعذر قراءته ، وما نقلناه عن حسن التوسل .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل .

(٤) في الأصل : «مما» وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٥) فلج : ظفر، وبابه نصر وضرب .

٥

١٠

١٥

٢٠

ثم النظر في أيام العرب ووقائعهم وحروبهم ، وتسمية الأيام التي كانت بينهم ، ومعرفة يوم كل قبيلة على الأخرى ، وما جرى بينهم في ذلك من الأشعار والمنافسات ، لما في ذلك من العلم بما يُستشهد به من واقعة قديمة ، أو يرد عليه في مكانة من ذكر يوم مشهوراً ، أو فارساً معيناً . وسند ذلك إن شاء الله تعالى في فن التاريخ على ما ستقف عليه ، فإن صاحب هذه الصناعة إذا لم يكن عارفاً بأيام العرب ، علماً بما جرى فيها لم يدر كيف يجب عملاً^(١) يرد عليه من مثاتها ، ولا ما يقول إذا سئل عنها ، وحسبه ذلك نقصاً في صناعته وقصوراً .

ثم النظر في التواريخ ومعرفة أخبار الدول ، لما في ذلك من الإطلاع على سير الملوك وسياساتهم ، وذكروقاتهم ومكائدهم في حروبهم ، وما اتفق لهم من التجارب ، فإن الكاتب قد يضطر إلى السؤال عن أحوال من سلف ، أو يرد عليه في كتاب ذكر واقعة بعينها ، أو يحتاج عليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها من مجازها ، وقد أوردنا في فن التاريخ ما لا يحتاج الكاتب معه إلى غيره من هذا الفن .

ثم حفظ أشعار العرب ومطالعة شروحها ، واستكشاف غوامضها والتوفر على ما اختاره العلماء بها منها ، كالحماسة ، والمفضليات ، والأصمعيات ، وديوان الهذليين ، وما أشبه ذلك ، لما في ذلك من غزارة المواد ، وصحة الاستشهاد ، والإطلاع على أصول اللغة ، ونوادير العربية ، وقد كان الصدر الأول يعتنون بذلك غاية الاعتناء ، وقد حكى أن الإمام الشافعي رحمه الله كان يحفظ ديوان هذيل ، فإذا أكثر المترشح للكتابة من حفظ ذلك وتدبر معانيه سهل عليه حله ، وظهرت له مواضع

(١٢)

(١) في الأصل : (بما) وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٢) كذا في الأصل وفي حسن التوسل . ولعل قوله : « بها » زيادة من النسخ . وعبارة صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧١ ط دار الكتب المصرية : (وما توفرت دواعي العلماء بها على اختياره) ولعلها أظهر .

الاستشهاد به ، وساقه الكلام إلى إبراز ما في ذخيرة حفظه منه ، ووضع في مكانه ونقله في الاستشهاد والتضمين إلى ما كأنه وضع له ، كما اتفق للقاضي أبي بكر الأرجاني^(١) في تضمين أنصاف أبيات العرب في بعض قصائده ، فقال :

وأهد إلى الوزير المدح يجعل * «للك المربع^(٢) منها والصفايا»
ورافق رفقة حلوا إليه * «فأبوا بالنهاب والسبايا»^(٣)
وقل للراجلين إلى ذراه * «ألستم خير من ركب المطايا»^(٤)
ولا تسلك سوى طرق فإني * «أنا ابن جلا وطلاع الثنايا»^(٥)

وقال بديع الزمان الهمذاني :

أنا لقرب دار مولاي " كما طرب النشوان مالت به الخمر " ومن الارتياح إلى لقائه " كما أنتفض العصفور بالله القطر " ومن الأمتزاج بولائه " كما ألتقت الصهباء والبارد العذب " ومن الابتهاج بمزاره " كما اهترت تحت البارح الغصن الرطب " .
وكما قال ابن القرطبي وغيره في رسائلهم على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) هذه كنيته ، واسمه أحمد بن محمد بن الحسين .

(٢) في الأصل : «المربع» بدون ميم ، وفيه نقص ، والتصويب عن اللسان . والمربع : ما يأخذه الرئيس ، وهو ربع الغنمة . والصفايا : ما يصطفيه الرئيس منها . وقوله : لك المربع الخ صدر بيت ، وتمامه : «وحكمك والنشيطه والفضول» . والنشيطه : ما أصاب الرئيس من الغنمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحى .

(٣) قوله : فأبوا الخ هو صدر بيت لعمر بن كلثوم ، وتمامه : «وأبنا بالملوك مصفدينا» .

(٤) هو صدر بيت لحرير من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان ، وتمامه : «وأندى العالمين بطون راح» .

(٥) قوله : أنا ابن جلا الخ ، تمام البيت : «متى أضع العمامة تعرفوني» ، وقائله سحيم بن وثيل .
أنظر شرح شواهد المباني المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ م .

(٦) البارح : الريح الشديدة .

وكذلك حفظُ جانبٍ جيّدٍ من شعر المحدثين ، كأبي تمامٍ ومسلمِ
ابن الوليد والبُحرى وابن الرومى والمتنبى ، للطف مأخذهم ، ودوران الصناعة
في كلامهم ، ودقّة توليد المعاني في أشعارهم ، وقرب أسلوبهم من أسلوب الخطابة
والكتابة .

- وكذلك النظرُ في رسائل المتقدمين دون حفظها لما في النظر فيها من
تنقيح القرينة ، وإرشاد الخاطر ، وتسهيل الطريق ، والنسج على منوال المجيد ، والاقتداء
بطريقة المحسن ، واستدراك ما فات القاصر ، والاحتراز مما أظهره النقد ، وردّ ما بهرجه
السبك ، فأما النهي عن حفظ ذلك فلا يتكل الخاطر على ما في حاصله ، ويستند
الفكر إلى ما في مودعه ، ويكتفى بما ليس له ، ويتلبّس بما لم يُعطَ "كلابس ثوبى زور" ،
وأما من قصد المحاضرة بذلك دون الإنشاء فالأحسن به حفظ ذلك وأمثاله .

وكذلك النظرُ في كتب الأمثال الواردة عن العرب نظماً ونثراً
كأمثال الحميداني والمفضل بن سلمة الضبي وحمزة الأصبهاني وغيرهم ، وأمثال المحدثين
الواردة في أشعارهم ، كأبي العتاهية وأبي تمام والمتنبى ، وأمثال المولدين ، وقد أوردنا
من ذلك في باب الأمثال جُملاً .

- وكذلك النظرُ في الأحكام السلطانية ، فإنه قد يأمر بأمر فيعرف
منها كيف يخلص قلمه على حكم الشريعة المطهرة من تولية القضاء والحسبة وغير ذلك ،
وقد قدّمنا في هذا الكتاب من ذلك طرفاً جيداً . قال : فهذه أمور كلية لا بد للترشح
لهذه الصناعة من التصدّي للاطلاع عليها ، والإكباب على مطالعتها ، والاستكثار منها

(١) في الأصل : « قال » وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوصل .

لينفق من تلك المواد، وليسلك في الوصول إلى صناعته تلك الجواهر، وإلا فليعلم أنه
في وادٍ والكتابة في وادٍ .

قال : وأما الأمور الخاصة التي تزيد معرفتها قدره، ويزين العلم بها نظمها
ونثره، فإنها من المكملات لهذا الفن وإن لم يضطر إليها ذو الذهن الثاقب، والطبع
السليم، والقريحة المطاوعة، والفكرة المنقحة، والبديهة المحيية، والروية المتصرفية، لكن
العالم بها متمكن من أزقة المعاني، يقول عن علم، ويتصرف عن معرفة، وينتقد
بحجة، ويتخير بدليل، ويستحسن ببرهان، ويصوغ الكلام بترتيب، فمن ذلك علم
المعاني والبيان والبديع، والكتب المؤلفة في إيجاز الكتاب العزيز، ككتب الجرجاني
والرقياني والإمام نحر الدين السكاكي والخفاجي وآب الأثير وغيرهم، وذكر في كتابه
بجمل هذه المعاني [وأورد أيضا أمورا أخرى تتصل بذلك من خصائص] الكتابة
وهي الاقتباس والاستشهاد والحل، وأتى على ذلك بشواهد وأمثلة، وسأذكر في هذا
الكتاب ملخص ما أورده في ذلك باختصار وزيادة عليه .

فأما علوم المعاني والبيان والبديع، فمنها : ذكر الفصاحة، والبلاغة
والحقيقة والمجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، والخبر وأحكامه، والتقديم
والتأخير، والفصل والوصل، والحذف والإضمار، ومباحث إن وإتسا، والنظم
والتجنيس، والطباق، والمقابلة، والسجع، ورد العجز على الصدر، والإعنائ^(٥)

(١) واحده جادة، وهي وسط الطريق ومعظمه .

(٢) موضع هذه العبارة مطموس بالأصل لتعذر قراءته، ولعل ما أثبتناه مكانها يوافق الغرض الذي
أرادته ويتناسب مع سابق الكلام ولا حقه .

(٣) في الأصل : « واختصار » والسياق يقتضي البناء، إذ لا يستقيم العطف هنا .

(٤) في الأصل : « عن » وما أثبتناه هو المعروف في كتب البلاغة .

(٥) في الأصل : « والإعناق » بالقاف . وهو تحريف، والتصويب عن حسن التوصل .

- والمذهب الكلامي، وحسن التعليل، والالتفات، والتماس، والاستطراد، وتأكيـ
 المدح بما يشبه الذم، وتأكيـ الذم بما يشبه المدح، وتجاهل العارف، والهزل
 الذي يراد به الخد، والكنايات، والمبالغة، وإعتاب المرء نفسه، وحسن التضمن
 والتلميح، وإرسال المشـل، وإرسال مثـلين، والكلام الجامع، والتلف والنشر
 والتفسير، والتعديد — ويسمى سياقة الأعداد — وتنسيق الصفات، والإيهام — ويقال
 له : التورية — والتخييل، وحسن الابتداءات، وبراعة التخليص، وبراعة الطلب
 وبراعة المقطع، والسؤال والجواب، وصحة الأقسام، والتوشيح، والإيغال، والإشارة
 والتبديل، والترديد، والتفويـف، والتسيم، والاستخدام، والعكس، والتبديل
 والرجوع، والتغاير، والطاعة والعصيان، والتسميط، والتشطير، والتطريز، والتوشيح
 والإغراق، والفاوق، والقسم، والاستدراك، والمؤتلفة والمختلفة، والتفريق المفرد
 والجمع مع التفريق، والتقسيم المفرد، والجمع مع التقسيم، والتزويج، والسلب والإيجاب
 والأطراد^(١)، والتجريد، والتكميل، والمناسبة، والتفريع، ونفي الشيء بإيجابه
 والإيداع، والإدماج، وسلامة الاختراع، وحسن الاتباع، والذم في معرض المدح
 والعنوان، والإيضاح، والتشكيك، والقول بالموجب، والقلب، والتنديد، والإسجال
 بعد المغالطة، والأفتنان، والإيهام، وحصر الجزئ والحاقه بالكل، والمقارنة
 والإبداع، والانفصال، والتصرف، والأشتراك، والتهكم، والتدبيح، والموجه
 وتشابه الأطراف . هذا مجموع ما أورده منها، واستشهد عليه بأدلة^(٢)، وأورد أمثلة^(٣)
 سنشرح منها ما يكتفى به اللبيب، ويستغنى به اللبيب .

(١) في الأصل : « الإبداع » بالباء الموحدة، والتصويب عن حسن التوسل .

(٢) في الأصل : « والاستشهاد » وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٣) كذا في الأصل، وهو مكرر مع ما قبله، ولعل صوابه : « الأريب » .

أما الفصاحة والبلاغة، فقد تقدم الكلام فيهما في أول الباب، فلا فائدة في إعادته .

وأما الحقيقة والمجاز — فالحقيقة في اللغة فعيلة بمعنى مفعولة، من حق الأمر يُحقّه بمعنى أثبتّه، أو من حققته إذا كنت منه على يقين . والمجاز من جاز الشيء يجوزّه إذا تعدّاه، فإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وُصف بأنه مجاز على أنهم قد جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أولاً، لأنه ليس بموضع أصلي لهذا اللفظ ولكنّه مجازه ومتعدّاه يقع فيه كالوائف بمكان غيره ثم يتعدّاه [إلى] مكانه الأصلي. ولهما حدود في المفرد والجملة، فحدهما في المفرد: أن كل كلمة أريد بها ما وضعت له فهي حقيقة، كالأسد للحيوان المفترس . واليد للمارحة ونحو ذلك . وإن أريد بها غيره لمناسبة بينهما فهي مجاز، كالأسد للرجل الشجاع واليد للنعمة أو للقوة، فإن النعمة تُعطى باليد، والقوة تظهر بكاملها في اليد. وحدهما في الجملة: أن كل جملة كان الحكم الذي دلّت عليه كما هو في العقل فهي حقيقة كقولنا: خلق الله الخلق، وكل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل بضرب من التأويل فهي مجاز، كما إذا أضيف الفعل إلى شيء يضاهي الفاعل، كالمفعول به في قوله عز وجل: ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ و ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾، أو المصدر، كقولهم: شعرٌ شاعر، أو الزمان، كقول النعمان بن بشير لمعاوية:
* وليك عما ناب قومك نائم * ؛

أو المكان، كقولك: طريق سائر، أو المسبب، كقولهم: بنى الأمير المدينة، أو السبب، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ . فمجاز المفرد

(١) في الأصل: «فهو» والصواب تأنيث الضمير لتأنيث مرجعه ولتوافق ما سيأتي .

لغوى، ويسمى مجازاً في المثبت، ومجاز الجملة عقلياً، ويسمى مجازاً في الإثبات. قال : فالمجاز قد يكون في الإثبات وحده، وهو أن يُضيف الفعل إلى غير الفاعل الحقيقي كما ذكرناه، وقد يكون في المثبت وحده، كتموله تعالى : ﴿ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ جعل خضرة الأرض ونضرتها حياة، وقد يكون فيهما جميعاً، كقولك : أحيتني رؤيتك، تريد سررتني، فقد جعلت المسرّة حياة وهو مجاز في المثبت ^(١) وأسندتها إلى الرؤية وهو مجاز في الإثبات .

قال : وأعلم أنهم تعرّضوا في اعتبار كون اللفظ مجازاً إلى اعتبار شيئين :

الأول أن يكون منقولاً عن معنى وُضع اللفظ بإزائه ، وهذا يتميز عن اللفظ المشترك .

الثاني أن يكون هذا النقل لمناسبة بينهما ، فلا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجاز إذ ليس نقلها لتعلق نسبة ^(٢) [بين] المنقول عنه ومن له العلم ، وإذا تحقق الشرطان سمي مجازاً، وذلك مثل تسمية النعمة والقوة باليد، لما بين اليد وبينهما من التعلق وكما قالوا : رعى الغيث، يريدون التبت الذي الغيث سببه، وصابتنا السماء، يريدون المطر، وأشبه ذلك ونظائره .

وأما التشبيه — فهو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس . وهو ركن من أركان البلاغة لإخراج الخفى إلى الجلى، وإدناؤه البعيد من القريب . وهو حكم إضافي لا يوجد إلا بين الشيتين بخلاف الاستعارة .

(١) في الأصل : « حيلة » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا .

(٢) الزيادة عن حسن التوسل ، والسياق يقتضيها .

ثم التشبيه على أربعة أقسام: تشبيه محسوس [بمحسوس] ^(١) ، وتشبيه معقول ^(٢) [بمعقول] ، وتشبيه معقول بمحسوس ، وتشبيه محسوس بمعقول .

فأما تشبيه محسوس بمحسوس فلاشتركتاهما إقاما في المحسوسات الأولى : وهي مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللمس ، كتشبيه الخلد بالورد والوجه بالنهار ، [وأطييط الرحل بأصوات الفراريج] ^(٣) والفواكه الحلوة بالسكر والعسل ^(٤) ورائحة بعض الرياحين بالمسك والكافور ، واللين الناعم بالحريز ، والخشن بالمسح . ^(٥) أو في المحسوسات الثانية : وهي الأشكال المستقيمة والمستديرة ، والمقادير ، والحركات كتشبيه المستوى المنتصب بالرمح ، والقذ اللطيف بالغصن ، والشئ المستدير بالكرة والحلقة ، والعظيم الجثة بالجبل ، والذهاب على الاستقامة بنفوذ السهم . أو في الكيفيات الجسمانية ، كالصلابة والرخاوة . أو في الكيفيات النفسانية ، كالغرائز والأخلاق . أو في حالة إضافية ، كقولاك : هذه حجة كالشمس ، وألفاظ كالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة ، وكالعسل في الحلاوة . وربما كان التشبيه بوجه عقلي ، كقول فاطمة بنت الخرشب الأتلمارية حين وصفت بنينا الكلمة فقالت : هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها .

وأما تشبيه المعقول بالمعقول فهو كتشبيه الوجود العارى عن الفوائد بالعدم ، وتشبيه الفوائد التي تبقى بعد عدم الشئ بالوجود . كقول الشاعر :

رب حتى كميّ ليس فيه * أمل يرتجى لنفع وضر
وعظام تحت التراب وفوق الأَرْض منها آثار حمد وشكر ^(٦)

(١) التكلة عن حسن التوصل ، وصحة التقسيم تقتضى إثباتها . (٢) التكلة عن حسن التوصل والمقام يقتضى إثباتها . (٣) التكلة عن حسن التوصل . (٤) المسح بالكسر : الكساء من الشعر ، جمعه أمساح ومسوح . (٥) في الأصل : « البايّة » وهو محريف . (٦) في الأصل : « منها حمد » والتكلة عن حسن التوصل وبها يستقيم البيت .

وأما تشبيه المعقول بالمحسوس فهو كقولہ تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۚ ۝ ﴾

وأما تشبيه المحسوس بالمعقول فهو غير جائز ، لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها ، ولذلك قيل : من فقد حساً فقد علماً ، فإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً والأصل فرعاً ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور والمسك بالثناء فقال : الشمس كالجبة في الظهور ، والمسك كالثناء في الطيب ، كان ذلك سخفاً من القول فأما ما جاء في الشعر من تشبيه المحسوس بالمعقول فوجهه أن يقدّر المعقول محسوساً ، ويجعل كالأصل المحسوس على طريق المبالغة ، فيصح التشبيه حينئذ وذلك كما قال الشاعر :

وكان النجوم بين دجائها .. سننٌ لاح بينهن ابتداء

فإنه لما شاع وصف السنّة بالبياض والإشراق ، واشتهرت البدعة وكل ما ليس بحق بالظلمة تخيل الشاعر أن السنن كأنها من الأجناس التي لها إشراق ونور ، وأن البدع نوع من الأنواع التي لها اختصاص بالسواد والظلمة ، فصار ذلك كتشبيه محسوس بمحسوس ، بخازله التشبيه ، وهو لا يتم إلا بتخييل ما ليس بمتأقن [متلقنا] ثم يتخيله أصلاً فيشبهه به ، وهذا هو الذي تؤول في قول أبي طالب الرقي :

(١) كذا في الأصل وفي حسن التوسل . وهو غير مستقيم كما لا يخفى ، ولعل صواب العبارة : « والمسك بالطيب » فإن المسك إنما يوصف به لا بالثناء . وفي الجملة قبلها وفي ما يأتي من التمثيل ما يؤيده .

(٢) في الأصل : « ويجعل المعقول محسوساً » وهو مكرر مع ما قبله ، وتصويب العبارة عن حسن التوسل .

(٣) في الأصل : « كالظلمة » وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

(٤) الزيادة عن حسن التوسل ، ولا يتم المعنى بدونها .

ولقد ذكرك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
 فإنه لما كانت الأوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد كما يقال :
 أسودت الدنيا في عينه ، جعل يوم النوى كأنه أشهر بالسواد من الظلام ، فعرفه به
 وشبهه ، ثم عطف عليه فؤاد من لم يعشق لأن من لم يعشق عندهم قاسى القلب
 والقلب القاسى يوصف بشدة السواد ، فأقامه أصلاً ، فقس على هذا المثال . قال :
 وأعلم أن ما به المشابهة قد يكون مقيداً بالانتساب إلى شيء ، وذلك إما إلى المنعول به
 كقولهم : "أخذ القوس بارياً" وإلى ما يجرى مجرى المنعول به وهو الجار والمجرور
 كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد : "كالراقيم على الماء" وإما إلى الحال ، كقولهم :
 "كالحادى وليس له بعير" وإما إلى المنعول والجار والمجرور معاً ، كقولهم : "هو
 كمن يجمع السيفين في غمد" و "كمتغى الصيد في عرينة الأسد" ، ومن ذلك قوله
 تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ فإن التشبيه
 لم يحصل من مجرد الحمل ، بل لأمرين آخرين ، لأن الغرض توجيه الدم إلى من
 أتعب نفسه في حمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لا يتنفع به لجهله ، وكقول لبيد :
 وما الناس إلا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا^(١) بلاقع

فإنه لم يشبه الناس بالديار ، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم بحلول
 أهل الديار فيها ، ووشتك رحيلهم منها . قال : وكلما كانت التقييدات أكثر كان
 التشبيه أوغل في كونه عقلياً ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ
 السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
 زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا
 كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾ . فإن التشبيه منتزع من مجموع هذه الجمل من غير أن يمكن

(١) في الأصل وفي حسن التوسل : «وتعادوا» وهو تحريف ، والتصويب عن اللسان مادة غدا .
 وغدوا : لغة في غدا .

فصل بعضها عن بعض ، فإنك لو حذفتها منها جملة واحدة من أى موضع كان
أخل ذلك بالمعزى من التشبيه . قال :

ثم ما به المشابهة إن كان مركباً فإنه على قسمين :

الأول ما لا يمكن إفراد أحد أجزائه بالذکر ، كقول القاضى التنوخى :

كأتم المِترِخ والمِشترى * قدَّامَه فى شالِخ الرَّفعه

منصرف بالليل من دعوة * قد أسيرجت قدَّامه شمعَه

فإنك لو اقتصرت على قوله : كأن المِترِخ منصرف من دعوة ، أو كأن المِشترى
شمعة لم يحصل ما قصده الشاعر ، فإنه إنما قصد الهيئة التى يلبسها المِترِخ من كون
المِشترى أمامه .

الثنانى ما يمكن إفراده بالذکر ويكون إذا أزيل منه التركيب صحيح التشبيه
فى طرفيه إلا أن المعنى يتغير ، كقول أبى طالب الرقى :

وكان أجرام النجوم لوامعا * درر تُثرن على بساط أزرق

فلو قلت : كأن النجوم درر ، وكان السماء بساط أزرق ، وجدت التشبيه مقبولا
ولكن المقصود من الهيئة المشبهة بها قد زال . قال : وربما كان التشبيه فى أمور
كثيرة لا يتقيد بعضها ببعض ، وإنما يكون مضموما بعضها إلى بعض وكل واحد
منها منفرد بنفسه ، كقولك : زيد كالأسد بأسا ، والبحر جودا ، والسيف مضاء
والبدر بهاء ، وله خاصيتان : إحداهما أنه لا يجب فيه الترتيب ، والثانية أنه إذا
سقط البعض لم يتغير حكم الباقي .

ومن المتأخرين من ذكر فى التشبيه سبعة أنواع :

الأول التشبيه المطلق ، وهو أن يشبه شيئا بشيء من غير عكس ولا تبديل
كقوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ وقوله تعالى :

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ وقوله تعالى: ﴿كَانَهُمْ أَنْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ .
وقول النبي صلى الله عليه وسلم : "الناس كأَسنان المشيط" .

الثاني التشبيه المشروط ، وهو أن يشبه شيئا بشيء لو كان بصفة كذا ، ولولا أنه بصفة كذا ، كقوله : أَشَبَّهُ وَجَهَ مَوْلَانَا بِالْعِيدِ الْمُقْبِلِ لو كان العيد تبقى ميامنه وتدوم محاسنه ، وكقوله : وجه هو كالشمس لولا كسوفها ، والقمر لولا خسوفه
وكقول البديع :

قد كان يحكيك صوب الغيث منسجبا * لو كان طلق المحيا يطر الزهبا
والدهر لو لم يخن والشمس اربطت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
وكقول الآخر^(١) :

عزماته مثل النجوم ثواقبا * لو لم يكن لثاقبات أفول .

الثالث تشبيه الكناية ، وهو أن يشبه شيئا بشيء من غير أداة التشبيه ، كقول المتنبي :

بدت قمرًا وماست خوط بان * وفاحت عنبرا ورنّت غزالا
وقول الواو^(٢) الدمشقي :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعصّت على العنّاب بالبرد .

الرابع تشبيه التسوية ، وهو أن يأخذ صفة من صفات نفسه ، وصفة من الصفات المقصودة ، ويشبههما بشيء واحد ، كقوله :

(١) هو رشيد الدين الطواط .

(٢) في الأصل : ألولو . وفي حسن التوسل : الواو ؛ ودو تحريف في كليهما ، والتصويب عن

شرح القاموس . والواو : لقبه ، واسمه محمد بن أحمد النساني ، وكنيته أبو الفرج .

صُدِّعُ الحبيبِ وحاني * كلامي كاللآلى
(١) وثغوره في صَفَاء * وأدْمَعِي كاللآلى.

الخامس التشبيه المعكوس ، وهو أن تشبّه شيئين كلّ واحد منهما بالآخر
كقول الشاعر :

الخمر تفاح جرى ذائباً * كذلك التفاح نمر جمد
فاشرب على جامد ذوبه^(٢) * ولا تبسّع لذة يوم بغداد
وكقول الصاحب بن عباد :

رَقَّ الزجاجُ وراقت الخمر * فتشابهَا فتشاكل الأمر
فكأنه نمرٌ ولا قدح * وكأنه قدحٌ ولا نمر

وكقول بعضهم في النثر : كم من ديم أهرقناه في البرّ، وشخص أغرقناه في البحر،
فأصبح البرّ بحراً من دماءهم ، والبحر برّاً بأشلائهم .

السادس تشبيه الإضممار ، وهو أن يكون مقصوده التشبيه بشيء فدلّ ظاهر
لفظه أن مقصوده غيره ، كقول المتنبي :

ومن كنت جاراً له يا عليّ لم يقبل الدرّ إلا كجارا

فدلّ ظاهره على أن مقصوده الدرّ ، وإنما غرضه تشبيه المدوح بالبحر .

السابع تشبيه التفضيل ، وهو أن يشبّه شيئاً بشيء ثم يرجع فيرجح المشبّه
على المشبّه به ، كقوله :

حسبت جماله بدراً مضيئاً * وأين البدر من ذاك الجمال

(١) في الأصل : «ثغوره» والتصويب عن حسن التوسل .

(٢) في الأصل : «ذا» وفيه نقص ، والتصويب عن حسن التوسل .

وكقول ابن هندو^(١) :

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بِالْغَمَامِ فَمَا * أَنْصَفَ فِي الْحَكْمِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جَدْتَ ضَاغًا أَبَدًا * وَذَلِكَ إِنْ جَادَ دَامَعَ الْعَيْنُ^(٢) .
قال : وقد تقدّم تشبيه شيء بشيء .

فأما تشبيه شيء بشيئين فكقول امرئ القيس :

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَيْءٍ كَأَنَّهُ * أَسَارِيعُ رَمْلِ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ^(٣) .
(١٧)

وأما تشبيه شيء بثلاثة أشياء فكقول البحتري :

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو * مِنْضَدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقَاح .

وأما تشبيه شيء بأربعة أشياء فكما قال المولى شهاب الدين أبو الشناء

محمود الحلبي الكاتب :

يَفْتَرُّ طَرَسُكَ عَنْ سَطُورِ جَادَهَا الْفَكْرُ السَّلِيمُ بِصُوبِ مِسْكٍ أَذْفَرِ
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ أَوْ جَدُول * أَوْ سَمَطٌ دَرٍّ أَوْ قِلَادَةٌ عَنَابِرِ .

وأما تشبيه شيء بخمسة أشياء فكقول الحريري :

يَفْتَرُّ عَنْ لَوْلُو رَطْبٍ وَعَنْ بَرْدٍ * وَعَنْ أَقَاحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبَبٍ .

وأما تشبيه شيئين بشيئين فكقول امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا * لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

(١) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٥ ص ١٦٨ ط مطبعة هندية . وفي الأصل : « بن هند » ولم
نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة ومعاجم الأعلام . (٢) في الأصل : « اذا » والتعويب عن
حسن التوسل . (٣) تعطو : تناول . والرخص : اللين الناعم . والشئ : الغليظ الكثر .
والأساريع : دود أحر يكون في البقل والأماكن النسيجية ، تشبه به أنامل النساء . والإسحل بكسر أوله :
شجر من شجر المساريك . (٤) المشهور في روايته : (ظبي) كما في معلقة الشاعر . وظبي بفتح
فسكون : اسم بلد قريب من ذي قار ، وهو أحسن بلاد الله أساريع .

وأما تشبيهه بثلاثة فكقول الآخر :

لَيْلٌ وَبَدْرٌ وَغَصْنٌ * شَعْرٌ وَوَجْهٌ وَقَدْ

نَحْمَرُ وَدَرٌّ وَوَرْدٌ * رَيْقٌ وَتَغْرٌ وَخَدٌ .

وأما تشبيهه بأربعة فكقول امرئ القيس :

لَهُ أَطْطَا^(١) ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ * وَإِرْخَاءُ يَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبٌ تَنْفِلٍ

وكقول أبي نواس :

تَبْكِي فَتُذْرِي الدَّرَّ مِنْ نَرْجَسٍ * وَتَلَطِّمُ الْوَرْدَ بِعُنَابٍ .

وأما تشبيهه بخمسة فكقول أبي النمرج الوارث الدمشقي^(٢) :

قَالَتْ مَتَى الْبَيْنُ يَا هَذَا فَتَمَلَّتْ لَهَا * إِنَّمَا غَدَا زَعَمُوا أَوْ لَا فَبَعْدَ غَدٍ

فَأَمْطَرَتْ لَوْلَا مِنْ نَرْجَسٍ فَسَقَتْ * وَرَدَا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

وشبهه قاضي القضاة نجم الدين بن البارزي^(٣) سبعة أشياء بسبعة أشياء وهي :

يُقَطَّعُ بِالسَّكِينِ بِطَيْخَةٍ ضَحَى * عَلَى طَبَقٍ فِي مَجَالِسٍ لَانٍ صَاحِبِهِ

كَشَمْسٍ بِبَرْقٍ قَدْ بَدَا أَهْلَةً * لَدَى هَالَةٍ فِي الْأَفْقِ شَتَّى كَوَاكِبِهِ .

قال : والغرض من التشبيه قد يكون بيان إمكان وجود الشيء عند أدعاء

ما لا يكون إمكانه بآنا ، كقول ابن الرومي :

وَكَمْ أَبٌ قَدْ عَلَا بَابِنَ ذُرِّي شَرِيفٍ * كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ عِدَنَانُ

وكقول المتنبي :

إِن تَفُقُ الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ * فَإِنَّ الْمَسْكَ بِمُضْ دَمِ الْغَزَالِ

(١) واحده أَيْطَل ، ودوا الخاصرة . والإرخاء : شدة العدو . والتقريب : وضع الرجلين مكان اليدين

في العدو . والتنفل : ولد الثعلب .

(٢) وضع هذا الاسم مطموس بالأصل ، وما أثبتناه عن حسن التوسل .

أو بيان مقداره ، كما إذا حاولت نفي الفائدة عن فعل إنسان قلت : هذا كالتقايض على الماء ، لأن خلوق الفعل عن الفائدة مراتب مختلفة في الإفراط والتفريط والوسط ، فإذا مُثِّلَ بالمحسوس عُرفت مرتبته ، ولذلك لو أردت الإشارة إلى تنافي الشيئين فأشرت إلى ماء ونار فقلت : هذا وذلك هل يجتمعان ؟ كان تأثيره زائدا على قولك : هل يجتمع الماء والنار ؟ وكذلك إذا قلت في وصف طول يوم : كأطول ما يتوهم ، أو لا آخر له ، أو أنشدت قوله :^(١)

في ليل صول تناهى العرض والطول * كَأَتَمَّا لَيْلَهُ بِاللَّيْلِ مَوْصُولَ^(٢)
لم تجد فيه من الأتس ما تجده في قوله :^(٣)

ويوم كظّل الرمح قصر طوله * دُمُ الرِّقِّ عَنَّا وَاصْطَفْنَاكَ الْمَزَاهِرِ

وما ذاك إلا للتشبيه بالمحسوس ، وإلا فالأقول أبلغ ، لأن طول الرمح متناهٍ^(٤) وفي الأول حكمت أن ليله موصول بالليل ، وكذلك لو قلت في قصر اليوم : كأنه ساعة ، أو كلمح البصر ، لوجدته دون قوله :

ظلمنا عند دار أبي أنيس * بيوم مثل سالف الذباب^(٥)

وقوله :

ويوم كإبهام القطاة مُزَيَّن * إلى صباه غالب لي باطله .

قال : وقد يكون غرض التشبيه عائدا على المشبه به ، وذلك أن تقصده على عادة التخيل أن توهم في الشيء القاصر عن نظيره أنه زائد ، فتشبهه الزائد به ، كقوله :

(١) في الأصل : « وأنشدت » والسياق يقتضى العطف بأو كما في حسن التوسل .

(٢) البيت لحندج ابن حندج المزني . وصول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب . أنظر معجم البلدان لباقوت ج ٣ ص ٤٣٥ ط المدرسة المحروسة بمدينة غتغة .

(٣) في الأصل : « منه » وما أثبتناه عن حسن التوسل ، إذ هو المناسب لقوله بعد : (في قوله) .

(٤) السالفة : صفحة العنق ، أراد هنا العنق كله .

(١١) وبدأ الصبح كأنَّ غرَّتَه * وجه الخليفة حين يمتدح

وهذا أبلغ وأحسن وأمدح من تشبيه الوجه بالصبح ، لأن تشبيه الوجه بالصبح أصل متفق عليه لا يُنكر ولا يُستكثر ، وإنما الذي يستكثر تشبيه الصبح بالوجه .
قال : ثم الغرض بالتشبيه إن كان إلحاق الناقص بالزائد امتنع عكسه مع بقاء هذا الغرض ، وإن كان الجمع بين شيئين في مطلق الصورة والشكل واللون صح العكس .
كتشبيه الصبح بغزة الفرس الأدهم لا للبالغة في الضياء ، بل لوقوع منير في مظلم وحصوي بياض قليل في [سواد] كثير .

قال : والتشبيه قد يجيء غريباً يحتاج في إدراكه إلى دقة نظر ، كقول ابن المعتز :
* والشمس كالمرآة في كف الأشل *

والجامع الاستدارة والإشراق مع تواصل الحركة التي تراها للشمس إذا أنعمت التأمل في اضطراب نور الشمس ، ويقرب منه قول الآخر :
كأن شعاع الشمس في كل غدوة * على ورق الأشجار أول طالع
دنانير في كف الأشل يضمها * لقبض وتهوى [من] فروج الأصابع
وكقول المتنبي :

الشمس من مشرقها قد بدت * مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بودقة أحميت * يحول فيها ذهب ذائب

- (١) البيت لمحمد بن وهيب الحميري من قصيدة يمدح بها المأمون .
(٢) في الأصل : « مقنع » وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .
(٣) كذا في الأصل وفي حسن التوسل . ولعله « بقبض » بالباء .
(٤) الكلمة الموضوعة بين مربعين ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوسل ، وبها يستقيم الوزن والمعنى .
(٥) في الأصل : « بوطقة » وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .
والبودقة : مولد معرب بوتة ، وهي ما يصنف فيه الذهب والفضة معروفة عند الصاغة ، ويقال فيه : بوتقة .

ومن لطيف ما جاء في هذا المعنى من التشبيه قول الأخطل في مصلوب :

أوقائم من نعاس فيه لوثته^(١) * مواصل لتمطيه من الكسل

شبهه بالتمطى^(٢) ، لأن المتمطى يمد يديه وظهره ثم يعود إلى حالته الأولى ، فزاد فيه أنه مواصل لذلك ، وعلمه بالقيام من النعاس لما في ذلك من اللوثة والكسل .

قال : والتشبيه ليس من المجاز ، لأنه معنى من المعاني ، وله ألفاظ تدل عليه وضعاً

فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه ، وإنما هو توطئة لمن يسلك سبيل الاستعارة

والتمثيل ، لأنه كالأصل لهما وهما كالفرع له ، والذي يقع منه في حيز المجاز عند أهل

هذا الفن هو الذى يحىء على حد الاستعارة ، كقولك لمن يتردد فى الأمر^(٣) [بين] أن

يفعله أو يتركه : « أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى » والأصل فيه أراك فى ترددك

كمن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى . ١٠

وأما الاستعارة — فهى أدعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه مع

طرح ذكر المشبه من البين لفظاً وتقديراً . وإن شئت قلت : هو جعل الشئ^(٤) الشئ^(٥)

[أو جعل الشئ^(٥) للشئ] لأجل المبالغة فى التشبيه .

فالأول كقولك : لقيت أسدا وأنت تعنى الرجل الشجاع .

والثانى كقول لبيد : ١٥

إذ أصبحت بيد الشمال زمامها^(٦) *

أثبت اليد للشمال مبالغة فى تشبيهها بالقادر فى التصرف فيه على ما يأتى بيان ذلك .

(١) اللوثة بالضم : الاسترخاء . (٢) فى الأصل : (التمطى) وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل . (٤) كذا فى الأصل وحسن التوسل . وهو غير ظاهر ، ولعل

صوابه : « من الشئين » ، يريد الطرفين . (٥) الكلمة عن حسن التوسل ، والتمثيل الآتى يقتضى اثباتها . ٢٠

(٦) فى معلقة الشاعر : « قد » والمعنى يستقيم على كل منهما . وصدر البيت : « وغداة ربح قد وزعت

وقرة » . يريد أنه رب غداة ربح وبرد قد دفعها عن العفاة بنجر الجزر لهم والإطعام ، وإذ كاه النار

لدفعهم وقراهم . وإنما خص الشمال لأنها أبرد الرياح .

وحد الرقائى الاستعارة فقال : هى تعليق العبارة على غير ما وُضعت له فى أصل اللغة على سبيل النقل للإبانة .

وقال ابن المعتز : هى استعارة الكلمة من شىء قد عُرف بها إلى شىء لم يُعرف بها . وذكر الخفاجى كلام الرقائى وقال : وتفسير هذه الجملة أن قوله عز وجل : ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ استعارة ، لأن الاشتعال للنار ، ولم يوضع فى أصل اللغة للشيب ^(١) فلما نقل إليه بان المعنى لما آكتسبه من التشبيه ، لأن الشيب لما كان يأخذ فى الرأس شيئاً فشيئاً حتى يحيله إلى غير لونه الأول كان بمنزلة النار التى تسرى فى الخشب حتى تحيله إلى غير [حالته] المتقدمة ، فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة فى الوضع للبيان ، ولا بد من أن تكون أوضح من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها لأن الحقيقة لو قامت مقامها لمكانت أولى بها ، لأنها الأصل ، وليس يخفى على المتأمل أن قوله عز وجل : ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أبلغ من كثر شيب الرأس ، وهو حقيقة هذا المعنى .

ولا بد للاستعارة من حقيقة هى أصلها ، وهى مستعار منه ، ومستعار ، ومستعار له ، فالنار مستعار منها ، والاشتعال مستعار ، والشيب مستعار له . قال : وأما قولنا مع طرح ذكر المشبه ، فأعلم أننا إذا طرحناه كقولنا : رأيت أسداً ، وأردنا الرجل الشجاع فهو استعارة بالاتفاق ، وإن ذكرنا معه الصيغة الدالة على المشابهة كقولنا : زيد كالأسد أو مثله أو شبهه فليس باستعارة ، وإن لم نذكر الصيغة وقلنا : زيد أسد فالمختار أنه ليس باستعارة إذ فى اللفظ ما يدل على أنه ليس بأسد فلم تحصل

(١) فى الأصل : (الاستعارة) وفيه تحريف وزيادة هاء ، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما فى حسن التوسل .

(٢) الزيادة عن حسن التوسل ، ولا يستقيم الكلام بدونها . وعبارة الأصل : (كان بمنزلة النار التى تسرى

فى الخشب حتى يحيله إلى غير لونه الأول كان بمنزلة النار حتى يحيله إلى غير لونه المتقدمة) . وفيها تكرار ونقص .

المبالغة ، فإذا قالت : زيد الأسد فهو أبعد عن الاستعارة ، فإن الأقول خرج بالتنكير عن أن يحسن فيه كاف التشبيه ، فإن قولك : زيد كأسد كلام نازل بخلاف الثاني . قال ضياء الدين بن الأثير : وهذا التشبيه المضممر الأداة قد خاطه قوم بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما ، وذلك خطأ محض .

قال : وسأوضح وجه الخطأ فيه وأحقق القول في الفرق بينهما فأقول : أما التشبيه المظهر الأداة فلا حاجة بنا إلى ذكره لأنه لا خلاف فيه ، ولكن نذكر التشبيه المضممر الأداة فنقول : إذا ذكر المنقول والمنقول إليه على أنه تشبيه مضممر الأداة قيل فيه : زيد أسد ، أى كالأسد ، فأداة التشبيه فيه مضمرة مقدرة ، وإذا أظهرت حسن ظهورها ، ولم تعدح في الكلام الذى أظهرت فيه . ولم تزل عنه فصاحته ، وهذا بخلاف ما إذا ذكر المنقول إليه دون المنقول فإنه لا يحسن فيه ظهور أداة التشبيه ، وإذا ظهرت زال عن ذلك الكلام ما كان متصفا به من الحسن والفصاحة .

قال : ولنضرب لذلك مثالا يوضحه فنقول : قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو :

فرعاء إن نهضت لحاجتها * عجل القضيبي وأبطأ الدعص^(٢)

وهذا لا يحسن تقدير أداة التشبيه فيه ، فلا يقال : عجل [قد] كلقضيبي وأبطأ [ردف] كالدعص^(٣) ، فالفرق إذن بين التشبيه المضممر أداة التشبيه فيه وبين

(١) كذا في الأصل وحسن التوصل والمثل السائر ص ٢١٥ ط بولاق ؛ وهو غير مستقيم ، فإن الذى يذكر في الاستعارة هو لفظ المشبه به ، وهو المنقول دون المنقول إليه ، وليس صواب العبارة : « وهذا بخلاف ما إذا ذكر المنقول دون المنقول إليه » وفي التمثيل الآتى ما يؤيده .

(٢) الفرعاء : الطويلة الشعر . (٣) عبارة الأصل : « عجل كلقضيبي وأبطأ كالدعص » بدون هاتين الزيادتين ، وما أثبتناه عن حسن التوصل والمثل السائر .

- الاستعارة أن التشبيه المضمرة الأداة يحسن إظهار أداة التشبيه فيه ، والاستعارة لا يحسن ذلك فيها . والاستعارة أخص من المجاز إذ قصد المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز ، وأيضا فكل استعارة من البديع وليس كل مجاز منه . والحق أن المعنى يعار أولا ثم بواسطته يعار اللفظ ، ولا تحسن الاستعارة إلا حيث كان التشبيه مقورا بينهما ظاهرا ، وإلا فلا بد من التصريح بالتشبيه ، فنو قلت : رأيت نخلة أو خامة وأنت تريد مؤمنا إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمن كمثل النخلة »^(١) أو « كمثل الخامة »^(٢) لكنت كالمغز التارك لما يفهم^(٣) . وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسنا بحيث تكون أطف من التصريح بالتشبيه ، فإنك لو رمت أن تظهر التشبيه في قول ابن المعتز :

- ١٠ أثمرت أغصان راحته * لجناة الحسن عتابا
احتجت أن تقول : أثمرت أصابع راحته التي هي كالأغصان لطالب الحسن شبه العتاب من أطرافها المخضوبة ، وهذا مما لا خفاء بغثائه .
وربما جمع بين عدة استعارات إلحاقا للشكل بالشكل لإتمام التشبيه فتريد الاستعارة به حسنا ، كقول امرئ القيس في صفة الليل :

- ١٥ فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلل

فصل فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله

- قال : الأعلام لا تدخلها الاستعارة لما تقدم في المجاز . وأما الفعل فالاستعارة تقع أولا في المصدر ، ثم تقع بواسطة ذلك في الفعل ، فإذا قلت : نطق الحال بكذا

(٢٠)

- (١) في رواية : (كمثل النخلة) بالخاء المهملة ، يريد نخلة العسل ، وما هنا هو المشهور .
(٢) نصه في كتاب النهاية هكذا : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيها الرياح » والخامة :
الطاقة الغضة الناعمة من الزرع .
(٣) في الأصل : « فلا » والتصويب عن حسن التوسل .

فهذا إنما يصح لأنك وجدت الحال مشابهة للنطق في الدلالة على الشيء، فلا جرم
[أنك] ^(١) آستعرت النطق لتلك الحالة ثم نقلته إلى الفعل . والأسماء المشتقة في ذلك
كالفعل : فظهر أن الاستعارة إنما تقع وقوعاً أولياً في أسماء الأجناس . ثم الفعل
إذا كان مستعاراً فاستعارته إما من جهة فاعله ، كقوله : نطقت الحال بكذا

ولعبت بي المموم ، وقول جرير :

تحي الروامس ربّعها فتجدّه * بعد البلى وتميته الأمطار ^(٢)

وقول أبي حية :

وليلة مرضت من كل ناحية * فما تضيء لها شمس ولا قمر

أو من جهة مفعوله : كقول ابن المعتز :

جُمِعَ الحق لنا في إمام * قتل الجوع وأحيى السباحا ^(٣)

أو من جهة مفعوليه ، كقول الحريري :

وأقرى المسامع إقما نطقْتُ * بيانا يقود الحرون الشموسا

أو من جهة أحد مفعوليه ، كقول الشاعر : ^(٤)

نَقَرِيهِمْ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقَدَها * ما كان خاط عليهم كل زراد

أو من جهة الفاعل والمفعول ، كقوله تعالى : يَكَادُ الْبَرْقُ يُخَطِّفُ أَبْصَارَهُمْ .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، واللغة تقتضي إثباتها .

(٢) في الأصل : «الروامن أرضها» وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل . والروامس :
الرياح التي تنقل التراب من بلد إلى بلد . يريد أن الرياح تكشف التراب المغطى لآثار الربيع فتظهرها
و يصبوب المطر عليها فيعفوها وتخفي على الناظر .

(٣) في حسن التوسل : (الجور) والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين ، وما هنا أقرب إلى قوله : السباح .

(٤) هو القطامي .

قال : ويتصل بهذا ترشيح الاستعارة وتجريدها ، أما ترشيحها فهو أن ينظر فيها إلى المستعار ، ويراعى جانبه ، ويؤليه ما يستدعيه ، ويضم إليه ما يقتضيه ، كقول كثير :
 رميتي بسهم ريشه الخشب لم يصب * بظاهر جسمي وهو في القلب جرح^(١)
 وكقول النابغة :

٥ وصدر أراح الليل عازب حممه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب
 فالمستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والإراحة منظوران اليهما في لفظ السهم والعازب ، وكما أنشد صاحب الكشاف :

ينازني ردائي عند عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
 لي الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فأعتجر منه بشرط

١٠ أراد بردائه سيفه ، ثم نظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار . وأما تجريدها فهو أن يكون المستعار له منظورا إليه ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾^(٢)
 فإن الإذاقة لما وقعت عبارة عما يدرك من أثر الضرر والألم تشبيها له بما يدرك من الطعم المر البشع ، واللباس عبارة عما يغشى منهما ويلبس فكأنه قال : فأذاقها الله ما غشيها من ألم الجوع والخوف ، وكقول زهير :

١٥ لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبس أظفاره لم تُقلم^(٣)
 فلو نظر إلى المستعار لقال : أسد دامي الخالب أو دامي البرائن ، ونظر زهير في آخر البيت إلى المستعار أيضا ، ومنه قول كثير :

عَمُّ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا * غَلِقَتْ لَضِحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

(١) هذه الباء ساقطة من الأصل ، وبها يستقيم الوزن . (٢) في الأصل : (الكتاب) والتصويب عن حسن التوسل . (٣) في الأصل : (الضرورة) وما أثبتناه عن حسن التوسل . (٤) شاكي السلاح وشائك وشاكه : حديده . والمتذف : الذي يتذف به كثيرا في الوقائع . مبالغة في القذف .

استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه
ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء .^(١)

قال : ويقرب من ذلك الاستعارة بالسكنية ، وهي أن لا يصرح بذكر المستعار
بل بذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه ، كقولهم : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يغترف
منه الناس .

وكقول أبي ذؤيب :

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفت كل تميمة لا تنفع

تنبيهاً على أن الشجاع أسد ، والمنية سبع ، والعالم بحر ، وهذا وإن كان يشبه
الاستعارة المجردة إلا أنه أغرب وأعجب ، ويقرب منه قول زهير :

(٢١)

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه * يطيع العوالي ركب كل لخدم

أراد أن يقول : من لم يرض بأحكام الصالح رضى بأحكام الحرب ، وذلك
أنهم كانوا إذا طلبوا الصالح قلبوا زجاج الرماح وجعلوها قدامها مكان الأسننة ، وإذا
أرادوا الحرب أشرعوا الأسننة ، وقد يسمى هذا النوع الماثلة أيضاً .

قال : وقد يتزلون الاستعارة منزلة الحقيقة ، وذلك أنهم يستعبرون الوصف
المحسوس للشيء المعقول ويجعلون كأن تلك الصفة ثابتة لذلك الشيء في الحقيقة ، وأن
الاستعارة لم توجد أصلاً ، مثاله استعارتهم العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل
والقدر والسلطان ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر عاقوا مكانياً ، كقول أبي تمام :

(١) في الأصل : (ووصف) بدون داء ، وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٢) مقتضى ما سبق من التمثيل تقديم هذه العبارة على ما قبلها إن لوحظ الترتيب كما في حسن التوسل .

(٣) واحد زج بالضم ، وهو حديدة تكون في أسفل الزح .

(٤) في الأصل : «مكاناً» وما أثبتناه عن حسن التوسل .

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الحُسُودَ * بِأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

وكقوله أيضا :

مَكَارِمُ بَلَّحَتْ فِي عُلُوِّ كَأَنَّمَا * تَحَاوُلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ^(١)

ولذلك يستعيرون اسم شيء لشيء من نحو شمس أو بدر أو أسد ويبلغون إلى

حيث يُعتقد أنه ليس هناك استعارة، كقول ابن العميد :

قَامَتْ تَظَالُّنِي مِنَ الشَّمْسِ * نَفْسٌ أَعَزَّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي

قَامَتْ تَظَالُّنِي وَمِنْ عَجَبٍ * شَمْسٌ تَظَالُّنِي مِنَ الشَّمْسِ

وكقول آخر :

أَيَا شَمْعًا يَضِيءُ بَلَا أَنْطَفَاءٍ * وَيَابَدْرًا يَلُوحُ بَلَا مُخَاقٍ^(٢)

فأنت البدر ما معنى أنتقاصي؟ * وأنت الشمع ما معنى احتراقي؟^(٣)

[فلولا أنه أنسى نفسه أن هاهنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى، ومدار

هذا النوع على التعجب]

وقد يحى على عكسه، كقول الشاعر^(٤) :

لَا تَعْجِبُوا مِنِّي بِإِي غَالَتِهِ * قَدْ زَرَّ أَزْرَارَهُ عَلَى الْقَمَرِ .

فصل في أقسام الاستعارة

١٥

قال : وهى على نوعين :

الأول أن تعتمد نفس التشبيه ، وهو أن يشترك شيئان في وصف وأحدهما

أنقص من الآخر ، فتعطى الناقص اسم الزائد مبالغته في تحقق ذلك الوصف له

(١) فى الأصل : « نارا » بالنون ؛ وهو تحريف . (٢) فى الأصل : (انتقاص) و(احتراق)

بمحذوف ياء المتكلم فيهما ، والمقام يقتضى اثباتها كما فى حسن التوسل . (٣) الزيادة عن حسن

التوسل ؛ والمقام يقتضيه . (٤) هو أبو الحسن بن طباطبا العلوى .

كقولك : رأيت أسدا وأنت تعنى رجلا شجاعا ، وعنت لنا طبيعةً وأنت تريد امرأةً .

والثانى أن تعتمد لوازمه عند ما تكون جهة الاشتراك وصفا ، وإنما ثبت كماله فى المستعار منه بواسطة شئ آخر فتثبت ذلك الشئ للمستعار له مبالغة فى إثبات المشترك ، كقول لييد :

وغداة ريح قد كشفت وقرة^(١) * إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وليس هناك مشار اليه يمكن أن يُجرى اسم اليد عليه كما جرى الأسد على الرجل لكنه خيل الى نفسه أن الشمال فى تصريف الغداة على حكم طبيعة الإنسان المتصرف فيما زمامه ومقادئه بيده ، لأن تصرف الإنسان إنما يكون باليد فى أكثر الأمور فاليعد كالألة التى تكمل بها القوة على التصرف ، ولما كان الغرض إثبات التصرف — وذلك مما لا يكمل إلا عند ثبوت اليد — أثبت اليد للشمال تحقيقا للغرض ، وحكم الزمام فى استعارته للغداة حكم اليد فى استعارتها للشمال ، وكذلك قول تأبط شرا :

إذا هزّه فى عظم قرن تهلت * نواجد أفواه المنايا الضواحي^(٢)

لما شبه المنايا عند هزة السيف بالمسرور — وكما الفرح والسرور إنما يظهر بالضحك الذى تهلل فيه النواجد — أثبته تحقيقا للوصف المقصود ، وإلا فليس للمنايا ما ينقل اليه اسم النواجد ، وهكذا الكلام فى قول الحماسي :

سقاه الردى سيف إذ سلّ أو مضت * إليه ثنانيا الموت من كل مرقيب



(١) فى الأصل : « وقوة » بالواو ، وهو تحريف . والقرة بالكسر : ما أصاب الإنسان من البرد .

(٢) هذه اللام ساقطة من الأصل ، والمقام يقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصل : « نواجذه » والهاء زيادة من النسخ .

ومن هذا الباب قولهم : فلان مُرِنَحِي العِنان ، ومُلَقَى الزمام .

قال : ويسمى هذا النوع استعارة تخيلية . وهو كإثبات الجناح للذئ في قوله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ . قال : إذا عُرف هذا فالنوع الأول على أربعة أقسام :

- ٥ الأول — أن يستعار المحسوس للمحسوس . وذلك إما بأن يشتركا في الذات ويختلفا في الصفات . كاستعارة الطيران لغير ذي جناح في السرعة ، فإن الطيران والعدو يشتركان في [الحقيقة وهي] الحركة الكائنة ^(٢) إلا أن الطيران أسرع . أو بأن يختلفا في الذات ويشتركا في صفة إما محسوسة كقولهم : رأيت شمسا ويريدون إنسانا يتהלل وجهه . وكقوله تعالى : ﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ فالمستعار منه النار ، والمستعار له الشيب . والجامع الانبساط ، وليكنه في النار أقوى . وإما غير محسوسة كقوله ١٠ تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ المستعار له الريح ، والمستعار منه المرء والجامع المنع من ظهور النتيجة .

- الثاني — أن يستعار شيء معقول لشيء معقول لا اشتراكهما في وصف عدمي أو ثبوتي وأحدهما أكمل في ذلك الوصف ، فيتناول الناقص منزلة الكامل كاستعارة اسم العدم للوجود إذا اشتركا في عدم الفائدة ، أو استعارة اسم الوجود ^(٣) للعدم إذا بقيت آثاره المطلوبة منه ، كتشبيه الجهل بالموت لا اشتراك الموصوف بهما في عدم الإدراك والعقل . وكقولهم : فلان لقي الموت إذا لقي الشدائد ، لا اشتراكهما في المكروهية ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ والسكوت والزوال أمران معقولان .

٢٠ (١) التلميح عن حسن التوسل . (٢) كذا في الأصل . وفي حسن التوسل : (ألمكانية) ولعلها أظهر . (٣) في الأصل : (الوصف) والسياق يقتضي ما أثبتنا كما في حسن التوسل .

الثالث — أن يستعار المحسوس للمعقول كاستعارة النور الذي هو محسوس للحجة ، واستعارة القسطاس للعدل ، وكتوبه تعالى : ﴿ بَلْ نَمُذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ فالقذف والدمغ مستعاران ، وكتوبه تعالى : ﴿ فَيَأْصَدْعُ إِنَّمَا تُؤْمَرُ ﴾ استعارة لبيانها عما أوحى إليه كظهور ما في الزجاجة عند أنصداها ، وكلُّ خوض في القرآن العزيز فهو مستعار من الخوض في الماء ، وكتوبه تعالى : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ جعل لهما طاعة وقولا .

الرابع — أن يستعار اسم المعقول للمحسوس على ما تقدم ذكره في التشبيه ككتوبه تعالى : ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ فالشهيق والغيط مستعاران ، وكتوبه تعالى : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ والأقوال في الاستعارة كثيرة ، وقد أوردنا فيها ما يستدلُّ به عليها .

وأما الكناية — قال : اللفظة إذا أُطْلِقَتْ وكان الغرض الأصلي غير معناها فلا يخلو : إما أن يكون معناها مقصودا أيضا ليكون دالا على ذلك الغرض الأصلي وإما أن لا يكون كذلك .

فالأول هو الكناية ، ويقال له : الإرداف أيضا .
والثاني المجاز .

فالكناية عند علماء البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى ^(١) من المعاني لا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يحىء الى معنى هو تاليه ويردُّه في الوجود فيؤمى به اليه ، ويجعله دليلا عليه ، مثال ذلك قولهم : طویل النجاد وكثير رَمَادِ القدر ، يعنون به أنه طويل القامة ، كثير القرى ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ كنى بنفى قبول التوبة عن الموت على الكفر .

(١) في الأصل : (تأكيد) وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

وقول الشاعر^(١) :

- بعيدة مَهْوَى الْفُرْطِ إِمَّا لِنَوْفِلٍ * أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ^(٢)
أَرَادِيذَ كَرُطُولٍ جِيدَهَا [فَأَتَى بِتَابِعِهِ وَهُوَ بَعْدُ مَهْوَى الْقُرْطِ] ، وَكَقَوْلِ ابْنِ الْأَخِيلَةِ :
وَمُخْرِفٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَالَهُ * وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيَا
كَنْتُ عَنْ جُودِهِ بَخْرَقَ الْقَمِيصِ مِنْ جَذْبِ الْعُقَاةِ لَهُ عِنْدَ آزْدَحَامِهِمْ لِأَخْذِ
الْعَطَاءِ ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ . قَالَ :

- وَالْكُفَايَةُ تَكُونُ فِي الْمَثَبِ كَمَا ذَكَرْنَا ، وَقَدْ تَكُونُ فِي الْإِثْبَاتِ وَهِيَ مَا إِذَا حَاطُوا
إِثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى أَشْيَاءَ فَيَتَرَكُونَ التَّصْرِيحَ بِإِثْبَاتِهِ لَهُ ، وَيُثَبِّتُونَهُ لَهَا بِهِ تَعَلُّقًا ،
كَقَوْلِهِمْ : الْمَجْدُ بَيْنَ ثَوْبِيهِ ، وَالْكَرَمُ بَيْنَ بَرْدِيهِ ، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ :^(٣)

- إِنَّ الْمَسْرُوءَةَ وَالسَّاحَةَ وَالْمَدَى * فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ .^(٤)
قَالَ : وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُفَايَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمَجَازِ لِأَنَّكَ تَعْتَبِرُ فِي أَلْفَاظِ الْكُفَايَةِ مَعَانِيَهَا
الْأَصْلِيَّةَ ، وَتَتَمَيَّزُ بِمَعْنَاهَا مَعْنَى ثَانِيًا هُوَ الْمَقْصُودُ ، فَتَرِيدُ بِقَوْلِكَ : كَثِيرُ الرَّمَادِ حَقِيقَتُهُ^(٥)
وَتَجْعَلُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى كَوْنِهِ جَوَادًا ، فَالْكُفَايَةُ ذِكْرُ الرَّدِيفِ وَإِرَادَةُ الْمُرْدُوفِ .

- وَأَمَّا التَّعْرِيفُ — فَهُوَ تَضَمُّنُ الْكَلَامِ دَلَالَةً لَيْسَ لَهَا ذِكْرٌ ، كَقَوْلِكَ : مَا أَقْبَحَ
الْبَخْلَ ! لِمَنْ تُعَرِّضُ بِمُخْلِهِ ، وَكَقَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْحَسَنِ : لَمْ يُعْرِقْ فِي أَمْهَاتِ
الْأَوْلَادِ ، يَعْرِضُ بِالْمَنْصُورِ بِأَنَّهُ ابْنُ أُمَةٍ ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .

- وَأَمَّا التَّمْثِيلُ — فَإِنَّمَا يَكُونُ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ إِذَا جَاءَ عَلَى حَدِّ الْأَسْتِعَارَةِ ، مِثَالُهُ
قَوْلُكَ لِلتَّحْيِيرِ : فُلَانٌ يَقْدَمُ رِجَالًا وَيُؤَخَّرُ أُخْرَى ، فَلَوْ قُلْتَ : إِنَّهُ فِي تَحْيِيرِهِ كَمَنْ يَقْدَمُ^(٦)

- (١) هُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْخَزَوِيُّ . (٢) التَّكْلِمَةُ الَّتِي بَيْنَ مَرْبَعَيْنِ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ .
(٣) هُوَ زِيَادُ الْأَنْجَمِ . وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ قَالَهَا فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَشْرِجِ وَكَانَ قَدْ وَفَدَ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى
نَيْسَابُورَ . (٤) فِي الْأَصْلِ : «مَعْنَاهَا» ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أُثْبِتْنَاهُ . (٥) فِي الْأَصْلِ :
«حَقِيقَةً» بِدُونِ «وَمَا» أُثْبِتْنَاهُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ . (٦) فِي الْأَصْلِ : «قَوْلُ الْمُخْبِرِ» وَفِيهِ نَقْصٌ
وَتَحْرِيْفٌ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ .

رجلا ويؤخر أخرى لم يكن من باب المجاز، وكذلك قولك لمن أخذ في عمل لا يتحصل منه مقصودٌ : أراك تنفخ في غير ضرم، وتخط على الماء .

قال : وأجمعوا على أن للسكائية مزيةً على التصريح لأنك إذا أثبت كثرة القوي بإثبات شاهدها ودليلها فهو كالدعوى التي [معها] شاهد ودليل ، وذلك أبلغ من إثباتها بنفسها .



وأما الخبر وأحكامه — فقد قال : الخبر هو القول المقتضى تصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو الإثبات . وتسمية أحد جزئيه بالخبر مجازية . ثم المقصود من الخبر إن كان هو الإثبات المطلق فيكون بالآسم ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ وإن لم يتم ذلك إلا بإشعار زمانه فيكون بالفعل ، كقوله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ فإن المقصود لا يتم بكونه معطيا للرزق [بل بكونه معطيا للرزق] في كل حين وأوان . والإخبار بالفعل أخص من الإخبار بالآسم ، وإذا أنعمت النظر وجدت الآسم موضوعا على أن تثبت به المعنى للشيء من غير إشعار بتجدده شيئا فشيئا . بل جعل الإطلاق أو البسط مثلا صفة ثابتة ثبوت الطول أو القصر في قولك : زيد طويل أو قصير . بخلاف ما إذا أخبرت بالفعل فإنه يشعر بالتجدد وأنه يقع جزءا بجزءا ، وإذا أردت شاهدا على ذلك فتأمل هذا البيت :

لا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبَ صُرَّتًا * إِلَّا يَمَسُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مِنْطَلَقُ ^(٤) ^(٥)

- (١) الزيادة عن حسن التوسل ، وصحة العبارة تقتضيها . (٢) الزيادة عن حسن التوسل .
 ٢٠ والمقام يقتضى إثباتها . (٣) في الأصل : « بثوت » والباء زيادة من النسخ . (٤) البيت للنضر ابن جوبة بن النضر . (٥) في تلخيص المفتاح ومعاهد التنصيص ص ٩٦ ط بونلاق : « لكن » .

جاء بالآسم . ولو أتى بالفعل لم يحسن هذا الحسن . والفعل المتعدى الى جميع
مفعولاته خبر واحد ، حتى اذا قلت : ضرب زيد عمرا يوم الجمعة خلف المسجد ضربا
شديدا تأديبا له كان الخبر شيئا واحدا وهو إسناد الضرب المقيّد بهذه القيود الى
زيد ، فظهر من ذلك [أن] قولك : جاءني رجل مغاير لما دلّ عليه قولك : جاءني
رجل ظريف ، وإنك لست في ذلك [إلا] كمن يضم معنى الى معنى . وحكم المبتدأ^(٤)
والخبر أيضا كذلك ، فقول بشار :

كأن مُشار النّقع فوق رءوسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

خبر واحد . واذا قلت : الرجل خير من المرأة فاللام فيه قد تكون للعموم
أو للخصوص بأن ترجع الى معهود . أو لتعريف الحقيقة مع قطع النظر عن عمومها
وخصوصها . واذا قلت : زيد المنطلق ، أو زيد هو المنطلق أفاد انحصار الخبر به
في الخبر عنه ، فإن أمكن الحصر ترك على حقيقته ، وإلا فعلى المبالغة . واذا قلت :
المنطلق زيد فهو إخبار عما عُرف بما لم يُعرف ، فكأن المخاطب عَرَفَ أن انسانا
آنطلق ولم يعرف صاحبه ، فقلت : الذي تعتقد أنه منطلق زيد .

وأما الذي — فهو الإشارة الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة^(٥)
كقولك : ذهب الرجل الذي أبوه منطلق ، وهو تحقيق قولهم : إنه يُستعمل لوصف
المعارف بالجل . والتصديق والتكذيب يتوجهان الى خبر المبتدأ لا الى صفته ، فاذا

(١) في الأصل : (الجر) وفيه تحريف ونقص .

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها كما في حسن التوسل .

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) في الأصل : (الابتداء) وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٥) في الأصل : «وأما الذي هو» بدون فاء ، والصواب اثباتها كما تقتضيه القواعد .

كذبت القائل في قوله : زيد بن عمرو كريم ، فالتكذيب لم يتوجه الى كونه ابن عمرو بل الى كونه كريما .

وأما التقديم والتأخير — قال : اذا قُدم الشيء على غيره فإما أن يكون في نية التأخير، كما اذا قدم الخبر على المبتدأ ، وإما أن يكون في نية التأخير ولكن أنتقل الشيء من حكم الى آخر، كما اذا جئت الى آسمين جاز أن يكون كل واحد منهما مبتدأ فجعلت أحدهما مبتدأ ، كقولك : زيد المطلق ، والمنطوق زيد . قال الجرجاني : قال صاحب الكتاب : كأنهم يقدمون الذي بيانه أدم لهم وهم بشأنه أعنى ، وإن كانا جميعا يهتمانهم ويعنيانهم ، مثاله : أن الناس اذا تعلّق غرضهم بقتل خارجي مفسد ولا يبالون من صدر القتل منه ، وأراد مرید الإخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجي [فيقول] : قتل الخارجي زيد ، ولا يقول : قتل زيد الخارجي لأنه يعلم أن قتل الخارجي هو الذي يعنيه ، وإن كان قد وقع قتل من رجل يبعد في اعتقاد الناس وقوع القتل من مثله قدم المخبر ذكر الفاعل فيقول : قتل زيد رجلا لأعتقاد الناس في المذكور خلاف ذلك . انتهى كلام الجرجاني .

قال : ولندكر ثلاثة مواضع يعرف بها ما لم يذكر :

الأول الاستفهام — فإذا أدخلته على الفعل وقلت : أضربت زيدا ؟ كان الشك في وجود الفعل ، وإذا أدخلته على الأسم وقلت : أنت ضربت زيدا ؟ كان الفعل محققا والشك في تعيين الفاعل . وهكذا حكم النكرة ، فإذا قلت : أجاءك رجل ؟ كان المقصود : هل وجد المجيء من رجل ؟ فإذا قلت : أرجل جاءك ؟ كان ذلك سؤالا عن جنس من جاء بعد الحكم بوجود المجيء من إنسان ، وقس عليه

(١) الزيادة عن حسن التوسل ، والمقام يقتضيها .

(٢) في الأصل : « بها لم تذكر » باسقاط « ما » والمقام يقتضى إثباتها كما في حسن التوسل .

- الخبر في قولك : ضربت زيدا ، وزيدا ضربت ، وجاءني رجل ، ورجل جاءني ؛ ثم الاستفهام قد يجيء للانكار ، فإن كان ^(١) [في] الكلام فعل ماضٍ وأدخلت الاستفهام عليه كان لانكاره ، كقوله تعالى : ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ وإن أدخلته على الاسم فإن لم يكن الفعل متردداً بينه وبين غيره كان لانكار أنه الفاعل ، ويلزم منه نفى ذلك الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ أي لو كان إذن لكان من الله ، فلمّا لم يوجد منه دلّ على أن لا إذن ، كما تقول : متى كان هذا ، في ليلٍ أم نهارٍ ؟ أي لو كان لكان في ليلٍ أو نهارٍ ، فلمّا لم يوجد في واحد منهما لم يوجد أصلاً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ الَّذِ كَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْآنْثَيْنِ ﴾ . وإن كان متردداً بينه وبين غيره كان إما للتقرير والتوبيخ ، وعليه قوله تعالى حكاية عن قول مُرُودَ : ﴿ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ . وإما لانكار أنه الفاعل مع تحقيق الفعل ، كقولك لمن انتحل شعرا : أنت قلت هذا ؟ .

- وان كان الفعل مضارعاً ، فإن أدخلت حرف الاستفهام عليه كان إما لانكار وجوده ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْزَلْنَاهُ مَكُونًا وَأَنْتُمْ لَهُا كَارِهُونَ ﴾ . أو لانكار أنه يقدر على الفعل ، كقول امرئ القيس :
- أَيَقْتَلَنِي وَالْمَشْرِقُ مُضَاجِعِي * وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ .
- أو لإزالة طمع من طمع في أمر لا يكون ، فَيَجْهَلُهُ في طمعه ، كقولك :
- أَرْضِي عَنْكَ فُلَانٌ وَأَنْتَ عَلَى مَا يَكْرَهُ ؟ . أو لتعنيف من يضيع الحق ، كقول الشاعر :
- أَتَتْرِكُ إِنْ قَلْتُ دِرَاهِمَ خَالِدٍ * زِيَارَتَهُ إِنْى إِذْنٌ لِلْئِيمِ ^(٣)

- (١) في الأصل : « فإن كان الكلام » والزيادة عن حسن التوسل .
- (٢) في الأصل : « أو » والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد .
- (٣) كذا في الأصل . والذي في حسن التوسل ودلائل الإعجاز ص ٨٧ ط المنار « أأترك » والبيت لعامة بن عقيل بن بلال بن جرير في خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني .

أو لتنديم الفاعل ، كما تقول لمن يركب الخطر : أخرج في هذا الوقت ؟ .
وإن أدخلته على الاسم فهو لإنكار صدور الفعل من ذلك الفاعل إما للاستحقار
كقولك : أنت تمنعني ؟ . أو للتعظيم كقولك : أهو يسأل الناس ؟ . أو للبالغة
إما في كرمه ، كقولك : أهو يمنع سائله ؟ ، وإما في خياسته ، كقولك : أهو يسمح
بمثل هذا ؟ . وقد يكون لبيان استحالة فعل ظن ممكنا ، كقوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ
الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى ﴾ وكذلك إذا أدخلته على المفعول ، كقوله تعالى : ﴿ أَغَيَّرَ اللَّهُ
أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ و ﴿ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ ﴾ و ﴿ أَبَشَّرْنَا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ﴾ .

الثاني في التقديم والتأخير في النفي — إذا أدخلت النفي على الفعل فقلت :
ما ضربت زيدا فقد نفيت عن نفسك ضربا واقعا بزید ، وهذا لا يقتضي كون
زيد مضروبا .

وإذا أدخلته على الاسم فقلت : ما أنا ضربت زيدا آقتضى من باب دليل
الخطاب كون زيد مضروبا ، وعليه قول المتنبي :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعري فيك من نفسه شعراً
ولهذا يصح أن تقول : ما ضربت إلا زيدا ، وما ضربت زيدا ولا ضربه أحد
من الناس ، ولا يصح أن تقول : ما أنا ضربت إلا زيدا ، وما أنا ضربت زيدا ولا ضربه
أحد من الناس .

أما الأول فلأن نقض النفي بإلا يقتضي أن تكون ضربته ، [وتقدمك ضميرك^(١)
وإلاءه حرف النفي يقتضي ألا تكون ضربته] فيتدافعان .^(٢)

(١) النكاة عن حسن التوسل . والمقام يقتضيها . (٢) في حسن التوسل : « أن تكون »
بحذف لا النافية ، والسياق يقتضي إثباتها كما يستفاد من دلائل الإنجاز ص ٩٣ ط مطبعة المنار .

(٢٥)

وأما الثاني فلأن أول الكلام يقتضى أن يكون زيدٌ مضروباً ، وآخره يقتضى ألا يكون مضروباً فيتناقضان . إذا عُرِفَ هذا في جانب الفاعل فإنه مثله في جانب المفعول ، فإذا قلت : ما ضربتُ زيدا لم يقتضِ أن تكون ضارباً لغيره ، وإذا قلت : ما زيدا ضربتُ اقتضى ذلك ، ولهذا صح ما ضربتُ زيدا ولا أحداً من الناس ولا يصح [ما] زيدا ضربتُ ولا أحداً من الناس .

وحكم الجار والمجرور حكم المفعول ، فإذا قلت : ما أمرتك بهذا لم يقتضِ أن تكون قد أمرته بشيء غير هذا ، وإذا قلت : ما بهذا أمرتك اقتضاه .

وإذا قدمت صيغة العموم على السلب وقلت : كلُّ ذا لم أفعله ، برفع كلِّ كان نفيًا عامًا ، ويناقضه الإثبات الخاص ، فلو فعلت بعضه كنت كاذباً .

وإن قدمت السلب وقلت : لم أفعَلْ كلُّ ذا كان نفيًا للعموم ولا ينافي الإثبات الخاص ، فلو فعلت بعضه لم تكن كاذباً ، ومن هذا ظهر الفرق بين رفع كلِّ ونصبه في قول أبي النجم :

قد أصبحت أم الخيار تدعى : على ذنبا كله لم أصنع

فإن رفعته كان النفي عامًا ، وأستقام غرض الشاعر في تبرئة نفسه من جملة الذنوب ، وإن نصبته كان النفي نفيًا للعموم ، وهو لا ينافي إثبات بعض الذنوب فلا يتم غرضه .

الثالث في التقديم والتأخير في الخبر المثبت — ما تقدم في الاستفهام والنفي قائم هنا ، فإذا قدمت الأسم وقلت : زيد فعل وأنا فعلت فالقصد إلى الفاعل ، إما لتخصيص ذلك الفعل به ، كقوالك : أنا شفعت في شأنه مدعيًا الأفراد بذلك

(١) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ وصحة التمثيل تقتضى إثباتها كما في حسن التوسل .

أولاً أكيد إثبات الفعل له لا للحصر، كقولك : هو يعطى الجزيل ، لتمكّن في نفس السامع أن ذلك دأبه دون تقيده عن غيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ فإنه ليس المراد تخصيص المخلوقة بهم ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ﴾

وكقول درّنى بنت عبّعة^(١) :

هما يلبسان المجد أحسن لبسة * شحيان ما أسطاء عليه كلاهما

وقول الآخر :

هموا يفرشون اللبد كل طمرة^(٢) * وأجرد سباح يبد المغالب^(٣)

قال : والسبب في هذا التأكيد أنك إذا قلت مثلاً : زيد ، فقد أشعرت بأنك تريد الحديث عنه فيحصل للسامع تشويق إلى معرفته ، فإذا ذكرته قبلته النفس [قبول العاشق معشوقه^(٤)] فيكون ذلك أبلغ في التحقيق ونفي الشك والشبهة ، ولهذا تقول لمن تعدّه : أنا أعطيك أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر ، وذلك إذا كان من شأن من يسبق له وعد أن يعترضه الشك في وفائه ، ولذلك يقال في المدح : أنت تعطى الجزيل ، أنت تجود حين لا يجود أحد ، ومن هاهنا تعرف الفخامة في الجمل التي فيها ضمير الشأن والقصة كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ وأن فيها ما ليس في قولك : فإن الأبصار لا تعمى ، وإن الكافرين لا يفلحون ، وهكذا

(١) في الأصل وفي حسن التوسل : «عثنة» بناءين مثلثين ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن القاموس . (٢) هي الطويلة التوائم الخفيفة من الأفراس . (٣) في الأصل : «يبد المعاليا» وفي حسن التوسل : «يسد المعاليا» وهو تحريف في كليهما ، والتصويب عن دلائل الإعجاز ص ٩٥ ط المنار . ويبد بالذال المعجمة : يغلب . (٤) التكملة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ بها يتم التعليل ، فإن مجرد قبول النفس لا يكفي في تعليل هذا التأكيد .

في الخبر المنفي ، فإذا قلت : أنت لا تُحسِنُ هذا ، كان أبلغ من قولك لا تُحسِنُ هذا ، فالأقول لمن هو أشد إعجاباً بنفسه وأكثر دعوى بأنه يُحسِن .

قال : واءلم أنه قد يكون تقديم الأسم كاللازم نحو قوله :
يا عاذلي دعني من عدلكا * مثلي لا يقبل من مثلكا

وقول المتنبي :

مثلك يثني الحزن عن صوبه * ويسترد الدمع عن غربه

وقول الناس : مثلك يرمى الحق والحرمة ، وما أشبه ذلك مما لا يُقصد فيه^(١)
إلى إنسان سوى الذي أُضيف إليه وجيء به للبالغة ، وقد عبر المتنبي عن هذا المعنى
فقال :

ولم أقل مثلك أعني به * سواك يا فرداً بلا مُشبهه .

وكذلك حكم « غير » إذا سلك فيه هذا المسلك ، كقول المتنبي :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع * إن فاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

أى لست ممن ينخدع ويغتر ، ولو لم يقدم مثلاً و غيراً في هذه الصور لم يؤدَّ
هذا المعنى .

قال : ويقرب من هذا المعنى تقديم بعض المفعولات على بعض في نحو قوله
تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ آخِئْنَ ﴾ فإن تقديم شركاء على الجن أفاد أنه ما ينبغي لله
شركاء لا من الجن ولا من غيرهم ، لأن شركاء مفعول ثان لجعلوا ، والله متعلق به
والجن مفعوله الأول ، فقد جعل الإنكار على جعل الشريك لله على الإطلاق من غير
اختصاص بشيء دون شيء ، لأن الصفة إذا ذكرت مجردة عن مجراها على شيء كان

(١) في الأصل : « النامى » . وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « يقل » . وهو تحريف صوابه ما اثبتنا كما في حسن التوسل .

(١)

الذى تعلق بها من المنفى^(١) عاما في كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة ، فإذا قلت :
ما في الدار كريم ، كنت نفيت الكينونة في الدار عن كل شيء يكون الكرم صفة له ،
وحكم الإنكار أبدا حكم النفي^(٢) ، فأما إذا أشرت شركاء فقلت : وجعلوا الجن شركاء
[لله فيكون جعل^(٣) الشركاء مخصوصا غير مطلق فيحتمل أن يكون المقصود بالإنكار
جعل الجن شركاء] لا جعل غيرهم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فقدم شركاء نفيا
لهذا الاحتمال .

فصل في مواضع التقديم والتأخير

قال : أما التقديم فيحسن في مواضع :

الأول : أن تكون الحاجة إلى ذكره أشد ، كقولك : قطع اللص الأمير .

الثاني : أن يكون ذلك أليق بما قبله من الكلام أو بما بعده ، كقوله تعالى :
﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ فإنه أشكل بما بعده وهو قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
وبما قبله وهو : ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ .

الثالث : أن يكون من الحروف التي لها صدر الكلام ، كحروف الاستفهام
والنفي ، فإن الاستفهام طلب فهم الشيء ، وهو حالة إضافية فلا تستقل بالمفهومية
فيشتد اتصاله بما بعده .

الرابع : تقديم الكل على جزئياته ، فإن الشيء كلما كان أكثر عموما كان أعرف^(٤)
فإن الوجود لما كان أعم الأمور كان أعرفها عند العقل .

الخامس : تقديم الدليل على المدلول .

(١) في حسن التوسل : « من النفي » ، وهو أظهر .

(٢) في الأصل : « الانكار » ؛ وهو تحريف .

(٣) التكملة عن حسن التوسل ؛ ولا يستقيم المعنى بدونها .

(٤) في الأصل : « كلما أعم » ؛ وهو غير مستقيم ، والتصويب عن حسن التوسل .

وأما التأخير فيحسُن^(١) في مواضع :

الأول : تمام الأسم كالصلة والمضاف اليه .

الثاني : توابع الأسماء .

الثالث : الفاعل .

الرابع : المضمَر، وهو أن يكون متأخرا لفظا وتقديرا، كقولك : ضرب زيدُ غلامه
أو مؤخرا في اللفظ مقدما في المعنى كقوله تعالى : (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ) أو بالعكس
كقولك : ضرب غلامه زيد ، وإن تقدم لفظا ومعنى لم يجوز كقولك : ضرب
غلامه زيدا .

الخامس : ما يُفِضِي إلى اللبس ، كقولك : ضرب موسى عيسى ، أو أكرم هذا

هذا ، فيجب فيه تقديم الفاعل .

السادس : العامل الذي هو ضعيف عمله ، كالصفة المشبهة والتمييز وما عمل فيه
حرف أو معنى ، كقولك : هو حسنٌ وجهها ، وكريم أبا ، وتصيب عرقا ، وخمسة وعشرون
درهما ، وإن زيدا قائم ، وفي الدار سعد جالسا . ولا يجوز الفصل بين العامل
والمعمول بما ليس منه ، فلا تقول : كانت زيدا الحمى تأخذ إذا رفعت الحمى بكانت^(٢)
للفصل بين العامل وما عمل فيه ، فإن أضمرت الحمى في كانت صححت المسألة .

وأما الفصل والوصل — فهو العلم بمواضع العطف والاستئناف ، والتهدي
إلى كنيئة إيقاع حروف العطف في مواقعها ، وهو من أعظم أركان البلاغة ، حتى إن

(١) أراد بالحسن هنا ما يعم الوجوب .

(٢) في الأصل : « فكانت » ؛ بالفاء وهو تحريف .

بعضهم حدّ البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل . وقال عبد القاهر : إنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا تكمل لسائر معاني البلاغة .

قال : اعلم أن فائدة [العطف] ^(١) التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ، ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو ، ومنها ما يفيد فائدة زائدة كالفاء وثم وأو ، وغرضنا هنا متعلق بما لا يفيد إلا الاشتراك فنقول : العطف إما أن

يكون في المفردات ، وهو يقتضى التشريك في الإعراب ، وإما أن يكون في الجمل ، وتلك الجملة إن كانت في قوة المفرد كقولك : مررت برجل خلقه حسن وخلقته قبيح ، فقد أشركت بينهما في الإعراب [والمعنى] ^(٢) لاشتراكهما في كون كل واحد منهما تقييدا للوصوف ، ولا يتصور أن يكون اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشتراك فيه ، وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين ، وبحيث إذا عرف السامع حاله الأول عساه يعرف حاله الثانى ، يدلك على ذلك أنك إذا عطفت على الأول شيئا ليس منه بسبب ولا هو مما يذكركه لم يستقيم ، فلو قلت : نرجت اليوم من دارى ، وأحسن الذى [يقول] ^(٣) بيت كذا قلت ما يضحك منه ، ومن هاهنا عابوا على أبى تمام قوله :

لا والذى هو عالم أن النوى * صبر وأن أبا الحسين كريم .

وإن لم تكن في قوة المفرد فهى على قسمين :

الأول أن يكون معنى إحدى الجملتين لذاته متعلقا بمعنى الأخرى كما إذا كانت كالتوكيد لها أو كالصفة ، فلا يجوز إدخال العاطف عليه ، لأن التوكيد والصفة

(١) الكلمة التى بين مربعين عن حسن التوسل ، واستقامة الكلام تقتضى اثباتها .

(٢) فى الأصل : « ما لا يفيد » وهو غير مستقيم ، والصواب حذف اللام كما فى حسن التوسل .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل ، والمقام يقتضيا . (٤) الزيادة عن حسن التوسل ، وصحة

التشيل تقتضيا . (٥) فى الأصل : « الآخر » وصوابه ما أثبتنا .

متعلقان بالمؤكد والموصوف لذاتهما، والتعلق الذاتي يغنى عن لفظ يدل على التعلق، فمثال التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فلا ريب فيه توكيد لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ كأنه قال: هو ذلك الكتاب، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ تأكيد ثان أبلغ من الأول، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ ولم يقل: ويخادعون، لأن المخادعة ليست شيئا غير قولهم: آمنا مع أنهم غير مؤمنين، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنزِلُ آيَاتِنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ ولم يقل تعالى: وكأن، وأمثال [ذلك] في القرآن العزيز كثيرة.

القسم الثاني ألا يكون بين الجملتين تعلق ذاتي، فإن لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العاطف أيضا، لأن العطف للتشريك ولا تشريك، ومن هنا أيضا عابوا على أبي تمام البيت المتقدم، لا والذي هو عالم...، إذ لا مناسبة بين مرارة النوى وبين كرم أبي الحسين، ولذلك لم يحسن جواز العاطف.

وإن كان بينهما مناسبة فيجب ذكر العاطف.

ثم إن كان المحذوث عنه في الجملتين شيئين فالمناسبة بينهما إما أن تكون بالذی أخبر بهما، أو بالذی أخبر عنهما، أو بهما كليهما، وهذا الأخير هو المعتبر في العطف.

قال: ونعني بالمناسبة أن يكونا متشابهين، كقولك: زيد كاتب وعمر [شاعر]^(١) [أو متضادين تضادا على الخصوص، كقولك زيد طويل وعمر [قصير]^(٢)، وكقولك: العلم حسن والجهل قبيح، فلو قلت: زيد طويل والخليفة قصير لا آختل معنى عند

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن حسن التوسل. وتام التمثيل يقتضي إثباتها.

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها كما في حسن التوسل.

ما لا يكون لزيد تعلق بحديث الخليفة، ولو قلت : زيد طويل وعمرو شاعر لا أختل لفظاً، إذ لا مناسبة بين الطويل القامة والشاعر .

وإن كان المحدث عنه في الجملتين شيئاً واحداً، كقولك : فلان يقول ويفعل ويضرّ وينفع ، ويأمر وينهى ، ويسىء ويحسن ، فيجب إدخال العاطف فإن الغرض جعله فاعلاً لأمرين ، فلو قلت : يقول يفعل بلا عاطف لتوهم أن الثانى رجوع عن الأول .

وإذا أفاد العاطف الاجتماع ازداد الاشتراك^(١)، كقولك : العجب من أنك أحسنت وأساءت ، والعجب من أنك تنهى عن شيء وتأتى مثله ، وكقوله : لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فإن المعنى جعل الفعلين فى حكم واحد، أى لا تطمعوا أن تروا إكرامنا إيانكم يوجد مع إهانتكم إيانا .

قال : وقد يجب إسقاط العاطف فى بعض المواضع لاختلال المعنى عند إثباته كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ فقوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ كلام مستأنف، وهو إخبار من الله تعالى، فلو أتى بالواو لكان إخباراً عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم يفسدون فيختل المعنى، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ وأمثال ذلك كثيرة، وإذا كان كذلك فلا حاجة الى العاطف بخلاف قوله تعالى : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ ﴿وَمَكُرُوا وَكَرَّ اللَّهُ﴾ فإن كل واحدة من الجملتين خبرٌ من الله تعالى .

قال : ومما يجب ذكره هاهنا الجملة إذا وقعت حالا فإنها تجيء مع الواو تارة وبدونها أخرى فنقول : الجملة إذا وقعت حالا فلا بد أن تكون خبرية تحتل الصدق^(١) والكذب ، وهو على قسمين :

الأول وله أحوال :

الأولى : أن يجمع لما بين الواو وضمير صاحب الحال ، كقولك : جاء زيد ويده على غلامه ، ولقيت زيدا وفرسه سابقه ، وهذا الواو تسمى واو الحال .

الثانية : أن تجيء بالضمير من غير واو ، كقولك : كلمته فوه الى في ، وهو في معنى مشافها ، والرابط الضمير ، فلو قلت : كلمته الى في فوه ، ولقيته عليه جبة وشي لم يكن من باب وقوع الجملة حالا ، لأنه يمكننا أن نرفع فوه وجبة بالحار والمجرور فيرجع الكلام الى وقوع المفرد حالا ، والتقدير كلمته كائن الى في فوه ، ولقيته مستقرة عليه جبة وشي ، وعليه قول بشار :

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها * غدوت مع البازي على سواد.

الثالثة : أن تجيء الواو من غير ضمير وهو كثير ، كقولك : لقيتك والجيش قادم وزرنا والشتاء خارج . ويجوز أن يجمع بين حالين مفرد وجملة إذا أجزنا وقوع حالين كقولك : لقيتك راكبا والجيش قادم ، فالجملة حال من التاء أو من الكاف ، والعامل فيها لقيت ، أو من ضمير "راكبا" و"راكبا" هو العامل فيها .

القسم الثاني الجملة الفعلية ، ولا بد أن تكون ماضيا أو مضارعا أما الماضي فلا بد معه من الإتيان بالواو وقد أو بأحدهما ، كقولك : تكلمت وقد

(١) كذا في الأصل وحسن التوسل بتذكير الضمير . وهو عائد على الحال لا على الجملة ، والحال

يذكر ويؤنث . أنظر المصباح مادة «حال» .

عجلت ، وجاء زيد قد ضرب عمرا ، وجئت وأسرعت في المجيء ، قال الله تعالى :
 ﴿قَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ ولم يُجْزِ البصريون خلوّه عنهما ، وقالوا في قوله
 تعالى : ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ وفي قول أبي صخر الهدلي :
 وإني لتعروني لذكراك هزّة * كما أنتفض العصفور بالله القطر :
 إن قد مقدرة فيهما ، فإن الشيء إذا عُرف موضعه جاز حذفه .

وأما المضارع فإن كان موجبا فلا يؤتى معه بالواو ، فتقول : جاءني زيد
 يضحك ، ويحيى عمرو يسرع ، وأجلس تحدثنا بالرفع أى محدثا لنا ، لأنه بتجرده
 عما يغير معناه أشبه اسم الفاعل إذا وقع حالا .

وإن كان منقيا جاز حذف الواو مراعاة لأصل الفعل الذي هو الإيجاب
 وجاز إثباتها ، لأن الفعل ليس هو الحال ، فإن معنى قولك : جلس زيد ولم يتكلم
 جلس زيد غير متكلم ، فخرى مجرى الجملة الاسمية ، فالحذف كقولك : جاء
 زيد ما يفوه ببنت شفة ، قال الله تعالى : ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا
 فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ فقلوه : لا يمسنا في موضع نصب على الحال من
 ضمير المرفوع في أحلنا ، والإثبات كقولك : جلس زيد ولم يتكلم ، قال الله تعالى :
 ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ . قال : وشبهوا به الفعل
 الماضي فقالوا : جاء زيد ما ضرب عمرا ، وجاء زيد وما ضرب عمرا .

وأما الحذف والإضمار — فقد قال : الأفعال المتعدية التي ترك ذكر مفعولاتها
 على قسمين :

الأول : ألا يكون له مفعول معين ، فقد يترك مفعوله لفظا وتقديرا ويُجعل حاله
 كحال غير المتعدى ، كقولهم : فلان يحلّ ويعقد ، ويأمر وينهى ، ويضر وينفع

(١) في الأصل : «إلا بالواو» وقوله : «إلا» زيادة من النسخ ، إذ هي تفيد خلاف المراد .

والمقصود إثباتُ المعنى في نفسه للشيء من غير التعرض لحديث المفعول ، فكأنك
 قالت : بحيث يكون منه حال وعقد وأمر ونهى ونفع وضرر ، وعليه قوله تعالى : ﴿ قُلْ
 هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أى هل يستوى من له علم ودين لا علم
 له من غير أن ينص على معلوم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ الى
 قوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾ وبا للجملة فحتى كان الغرض بيان حال الفاعل فقط فلا تعدّ
 الفعل ، فإن تعديته تنقض الغرض . ألا ترى أنك اذا قلت : فلان يعطى الدنانير
 كان المقصود بيان جنس ما يتناولها الإعطاء لا بيان حال كونه معطيا ؟ .

الثانى : أن يكون له مفعول معلوم إلا أنه يُحذف في اللفظ لأغراض :
 الأول : أن يكون المراد بيان حال الفاعل وأن ذلك الحال دأبه لا بيان المفعول
 كقول طنيسل :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت
 أبوا أن يملّونا ولو أن أمانا * تلاقى الذى لاقوه منا لملت
 هم خلطسونا بالنفوس وألجؤا * الى محجرات أدفات وأظلت

والأصل أن تقول : لماننا وألجؤونا وأدفاتنا وأظلتنا ، فحذف المفعول المعين من هذه
 المواضع الأربعة ، وكأنه قد أبهم ولم يقصد قصد شيء يقع عليه ، كما تقول : قد ملّ
 فلان ، تريد قد دخل عليه الملل من غير أن تخص شيئا بل لا تزيد على أن تجعل

(١) فى حسن التوسل : « الفعل » والمعنى يستقيم على كليهما .

(٢) فى الاصل : « من النقوش » بقاء مشتاة وشين معجمة ، وهو تحريف ، والتصويب عن دلائل
 الإعجاز وغيره من كتب البلاغة والأدب .

(٣) كذا فى الأصل وحسن التوسل . وعبرة دلائل الإعجاز ص ١١٥ ط المنار : « وكان الفعل
 قد أبهم أمره ولم يقصد به قصد شيء يقع عليه » وهى أظهر .

المَلَال من صفته ، فذلك الشاعرُ جعل هذه الأوصاف من دأبهم ، ولو أضاف الى مفعول معين لبطل هذا الغرض ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ الى قوله تعالى : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ فقد حذف المفعول في أربعة مواضع ، فإن ذكره ربما يُخل بالمقصود ، فلو قال تعالى مثلاً : تذودان غنمهما لتوهم أن الإنكار إنما جاء من ذودهما الغنم لا من مطلق الذود ، كقولك : مالك تمنع أخاك ؟ فإن الإنكار من منع الأخ لا من مطلق المنع .

الثانى : أن يكون المقصود ذكره إلا أنك لا تذكره إيهاماً بأنك لا تقصد ذكره كقول البحتري :

شَجَّوْ حَسَادَهُ وَغِيْظُ عِدَاهِ * أَنْ يَرَى مَبْصَرًا وَيَسْمَعَ وَاعٍ

المعنى أن يرى مبصر محاسنه ، أو يسمع واع أخباره ، ولكنه تغافل عن ذلك إذانا بأن فضائله يكفى فيها أن يقع عليها بصر أو يعيها سمع حتى يعلم أنه المتفرد بالفضائل ، فليس لحساده وعداه أشجى من علم بأن هنا مبصراً وسمعاً .

الثالث : أن يُحذف لكونه بيتاً ، كقولهم : أصغيت اليك ، أى أذنى ، وأغضيت عليك ، أى جفنى .

فصل فى حذف المبتدأ والخبر

قال : قد يحسن حذف المبتدأ حيث يكون الغرض أنه قد بلغ فى استحقاق الوصف بما جعل وصفه الى حيث يُعلم بالضرورة أن ذلك الوصف ليس إلا له سواء كان فى نفسه كذلك ، أم بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة ، فذكره

(١) فى الأصل : «أو» والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد ؛ قال فى معنى اللبيب ص ٢ : ط الحلبي : إذا عطفت بعد الهمزة بأوفان كانت همزة التسوية لم يجز قياساً ، وقد أوقع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا : سواء كان كذا أو كذا ، وهو نظير قولهم : يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا ؛ والصواب الاعتناء فى الأول

يُبطل هذا الغرض ، ولهذا قال الإمام عبدُ القاهر : ما من اسم يُحذف في الحالة التي ينبغي أن يُحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره ، فمن حذف المبتدأ قوله تعالى : ﴿ سُوْرَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ أي هذه سورة ، وقول الشاعر :

لَا يُبْعِدُ اللَّهَ التَّلَبُّ^(١) وَالسَّغَارَاتُ إِذْ قَالَ الْخَمِيْسُ نَعَمْ

- أى هذه نعم . قال عبدُ القاهر : ومن المواضع التي يطرِد فيها حذف المبتدأ^(٢) بالقطع والاستئناف أنهم يبدءون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاما [آخر]^(٣) وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ ، مثال ذلك قوله :

وَعَلِمْتُ أَنَّ يَوْمَ ذَا كَ مُنَازِلٌ كَعْبًا وَنَهْدًا
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيْدَ تَمَزَّوْا خُلُقًا وَقَدًا^(٤)

١٠

وقال الخطيئة :

هُمْ حَلَّوْا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى * وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيْرَةِ حَيْثُ شَاءُوا
بُنَاةٌ مَكَارِمٌ وَأَسَاةٌ كَلَمٌ * دِمَاؤُهُمْ مِنْ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ^(٥)
وأمثلة ذلك كثيرة .



- ١٥ (١) التلب : التعزم بالسلاح ، يريد الهوى لحرب . (٢) كذا في الاصل . وعبرة دلائل الإيجاز ص ١٠٦ ط المنار : «القطع والاستئناف يبدءون» الخ بسقوط الباء وقوله : «أنهم» ، والمعنى يستقيم على كلتا العبارتين . (٣) الزيادة عن دلائل الإيجاز . (٤) في الأصل : «في ذلك» وقوله «في» زيادة من النسخ . (٥) كذا في الأصل بالخاء المعجمة . وفي دلائل الإيجاز ص ١٠٧ ط المنار : «حلوا» بالمهملة ، والمعنى يستقيم على كل من الروايتين ، والقَدْ بكسر القاف : الجلد . (٦) الكلب بالتحريك : داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب فيصيبه شبه الجنون فلا يعرض أحدا إلا كلب ، وتعرض له أعراض رديئة ، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا . وأراد الخطيئة بهذه العبارة وصف من يمدحهم بالشرف والسيادة ، قال الخياني : إن الرجل الكلب يعرض إنسانا فيأتون رجلا شريفا فيقطر لهم من دم أصبعه فيسقون الكلب فيبرأ .
- ٢٠

ومن حذف الخبر قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أى لولا أنتم مضلونا
وقولُ عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه : لولا على هلك عمر ، أى لولا على حاضر
أو مُفْتٍ .

فصل

الإضمار على شريطة التفسير كقولهم : أكرمنى وأكرمت عبد الله
أى أكرمنى عبد الله وأكرمت عبد الله ، ومما يشبه ذلك مفعول المشيئة اذا جاءت
بعد لو ، فإن كان مفعولها أمرا عظيما أو غريبا فالأولى ذكره ، كقوله :
ولو شئت أن أبكى دما لبكيت^(١) * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
فإن بكاء الإنسان دما عجيب ، وإن لم يكن كذلك فالأولى حذفه ، كقوله
تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ والتقدير لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى
لجمعهم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ
يُخَيِّمَ عَلَى قَلْبِكَ﴾ و ﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .
قال : واعلم أنه قد تترك الكناية الى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة
كقول البحتري :

قد طلبنا لك مثلا ، ثم حُذف ، لأن هذا المدح إنما يتم بنفى المثل ، فلو قال :

قد طلبنا لك مثلا ، ثم حُذف ، لأن هذا المدح إنما يتم بنفى المثل ، فلو قال :
قد طلبنا لك مثلا فى السُّودِّ والمجد فلم نجد له كان قد أوقع نفى الوجود على ضمير
المثل ، فلم يكن فيه من المبالغة ما اذا أوقعه على صريح المثل ، فإن الكناية لا تبلغ مبلغ

(١) البيت للخرمى ، وهو إسحاق بن حسان ، ويكنى بأبى يعقوب ، وكان من العجم ، وكان مولى
ابن خزيمة الذى يقال لأبيه خزيمة الناعم . وهذا البيت من قصيدة يرثى بها أباه الخيدام ، وهو عامر بن
عمارة الخرمى ، وهو والد موسى بن عامر المحدث . أنظر معاهد النصيص ص ١١٣ و ١١٦ ط بولاق .

الصريح . ولهذا لوقلت : وبالحق أنزلناه وبه نزل ، وقل هو الله أحد وهو الصمد لا تجد من الفخامة ما تجده في قوله تعالى : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وعلى ذلك قول الشاعر :

لا أرى الموت يسبق الموت شيئاً . نغص الموت ذا الغنى والفقيرا .

وأما مباحث إن وإنا — فإنه قال : أما إن فلها فوائد :

- ٥ الأولى أن تربط الجملة الثانية بالأولى ، وبسببها يحصل التأليف بينهما حتى كأن الكلامين أفرغا إفراغا واحدا ، ولو أسقطتها كان الثانى نائيا عن الأول ، كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وقوله تعالى : ﴿اقِمْ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ . وقوله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ وقد نتكر في كلام واحد ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . ثم متى أسقطت « إن » من الجملة التي أدخلتها عليها ، فإن كانت الجملة الثانية إنما تذكر لإظهار فائدة ما قبلها كما في الآيات المذكورة أحتجت إلى الفاء ، وإلا فلا ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ فلو قلت : فالمتقون لم يكن كلاما ، وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فقولاه تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ في موضع خبر إن ، فدخول الفاء يوجب عطف الخبر على المبتدأ ، وهو غير جائز عند أكثر النحويين .
- ١٠
- ١٥

الثانية : أنك ترى لضمير الشأن والقصة في الجملة الشرطية مع «إن» من الحسن واللفظ ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليها ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

الثالثة : أنها تهيئ النكرة وتصلحها لأن يحدث عنها ، كقوله :^(١)

إِنَّ شِوَاءَ وَنَشْوَةً * وَخَبَبَ الْبَازِ الْأُمُونِ^(٢)

فلولا هي لم يكن كلاما ، وإن كانت النكرة موصوفة جاز حذفها ولكن دخولها أصلح ، كقول حسان :

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجُمْلٍ * لَزَمَانِ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ .

٣١

الرابعة : أنها قد تُغني عن الخبر ، كما إذا قيل لك : الناس إلب عليكم فهل لكم أحد؟ فقلت : إن زيدا وإن عمرا ، أى لنا ، قال الأعشى :^(٣)
إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مَرْتَحَلًا * وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا .^(٤)

(١) البيت لسلمى بن ربيعة .

(٢) الخبب هو المراحة بين اليدين والرجلين في السير ، أو هو نقل الأيمن جميعا والأيسر جميعا فيه .
والأمون : الناقة الوثيقة الخلق ، الأمانة العثار والإعياء ، جمعه أمن ككتب .

(٣) الإلب بكسر الهمزة ، وتفتح في لغة : الجماعة .

(٤) هو الأعشى الأكبر واسمه ميمون بن قيس بن جندل بفتح الجيم .

(٥) كذا في الأصل وحسن التوصل . والذي في معاهد التنصيص ص ٩٢ ط بولاق : (وإن

في شعر من مضى مثلا) وكلتا الروايتين تؤدّي معنى صحيحا ، ورواية اللسان مادة « حلل » : « وإن في السفر ما مضى مهلا » ، وقال في تفسيره : أراد بالسفر الذين ماتوا فصاروا في البرزخ ، والمهل : البقاء .

الخامسة : قال المبرد : اذا قلت عبد الله قائم ، فهو إخبار عن قيامه ، فاذا قلت :
 إن عبد الله قائم ، فهو جواب عن إنكارٍ مُنكِرٍ لقيامه ، سواء كان المنكر هو السائل
 أو الحاضرين ؛ والدليل على أن إن إنما تذكر لجواب السائل أنهم ألزموها الجملة من
 المبتدأ والخبر ، نحو : والله إن زيدا لمنطلق ، فالحاجة إنما تدعو الى « إن » اذا كان
 للسامع ظن يخالف ذلك ، ولذلك تراها تزاد حسنا اذا كان الخبر بأمرٍ يبعد^(٢) ، كقول
 أبي نواس :

عليك باليأس من الناس * إن غنى نفسك في اليأس .

ومن لطيف مواقعها أن يدعى على المخاطب ظنٌ لم يظنه ولكن [صدر] منه فعل^(٣)
 يقتضى ذلك الظن ، فيقال له : حالك تقتضى أن تكون قد ظننت ذلك ، كقول
 الشاعر^(٤) :

جاء شقيق عارضا رحمه * إن بنى عمك فيهم رماح

أى مجيئك هذا مُدِلًّا بنفسك مجيء من يعتقده أنه ليس مع أحدٍ ربحٍ غيره .
 وقد تجيء اذا وجد أمر كان المتكلم يظن أنه لا يوجد ، كقولك للشئ الذى يراه المخاطب^(٥)
 ويسمعه : إنه كان من الأمر ما ترى ، إنه كان منى إليه إحسان فقابلنى بالسوء
 كأنك ترد على نفسك ظنك الذى ظننت ، وعليه قوله عز وجل حكاية عن أم مريم :
 ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ وحكاية عن نوح : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَوْمِى كَذِبُونَ ﴾ .

(١) فى الأصل : « بأن » ؛ والباء زائدة من الناسخ .

(٢) فى الأصل : « ينفد » ، وفى حسن التوسل : « منعذ » وهو تحريف فى كليهما .

(٣) الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الكلام تقتضى اثباتها . انظر حسن التوسل

ص ٣٩ ط الوهابية .

(٤) هو مجمل بن فضالة .

(٥) كذا فى حسن التوسل ص ٣٩ ط الوهابية . والذى فى الأصل : « له » .

وأما إنما - فتارة تجيء للحصر بمعنى أن هذا الحكم لا يوجد في غير المذكور وهي بمنزلة ليس إلا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ .
وتارة تجيء لبيان أن هذا الأمر ظاهر عند كل حد، سواء كان كذلك أم في زعم المتكلم، ومنه قول الشاعر: ٥

إنما مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

مدعى أن ذلك مما لا ينكره أحد من الناس . قال : وأعلم أنه يستعمل للتخصيص ثلاث عبارات :

الأولى : إنما جاء زيد؛

الثانية : جاءني زيد لا عمرو، والفرق أن في الأولى يفهم إيجاب الفعل من زيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة، ومن الثانية دفتين، ثم إنهما كليهما يستعملان لإثبات التخصيص لا لنفي التشريك، وفيه نظر . ١٠

الثالثة : ما جاءني إلا زيد، وهي بأصل الوضع تفيد نفي التشريك، ولهذا لا يصح ما زيد إلا قائم لا قاعد، لأنك بقولك : إلا قائم نفيت عنه كل صفة تنافي القيام، فيندرج فيه نفي القعود، فإذا قلت بعده : لا قاعد كان تكرارا لأن لفظة «لا» موضوعة لأن ينفي بها ما أوجب الأول لا لأن يعاد بها نفي ما نفي أولا، ويصح إنما زيد قاعد لا قائم، لأن صيغة «إنما» بأصل وضعها تدل على تخصيص الحكم بالمذكور، ١٥

(١) في الأصل : «أو» ؛ والصواب ما أثبتنا كجاء تقتضيه القواعد، انظر مغنى اللبيب ص ٢ ؛ ط الحلبي .

(٢) هو عبد الله بن قيس الرقيات، قاله في مصعب بن الزبير، وكان منقطعا إليه كثير المدح له .

(٣) في الأصل : « كلاهما » بالأنف، واللغة تقتضي ما أثبتنا . ٢٠

(٤) في حسن التوسل ص ٣٩ ط الوهابية : « يفاد » بالفاء الموحدة ؛ والمعنى يستقيم على كليهما .

- وأما نفى الشركة فهو لازم من لوازمها ، فليس له من القوة ما لم يدل عليه بوضعه ، ولهذا يصح : زيد هو الجائي لا عمرو^(١) ، فثبت أن دلالة الأولين على التخصيص أقوى ، ودلالة الثالثة على نفى التشريك [أقوى]^(٢) ، لكن الثالثة قد تقام مقام الأولين في إفادة التخصيص ، كما إذا ادعى واحد أنك قلت قولاً ثم قلت بخلافه ، فقلت له : ما قلت الآن إلا ما قلته قبل ، وعليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ ليس المعنى أني لم أزد على ما أمرتني به شيئاً ، ولكن المعنى أني لم أدع مما أمرتني به [أن]^(٣) أقوله شيئاً .
- قال : وحكم «غير» حكم «إلا» فإذا قلت : ما جاءني غير زيد أحتمل أن يكون المراد نفى أن يكون جاء معه إنسان آخر ، وأن يكون المراد تخصيص الحكم بالمذكور لا نفيه عما عداه .

فصل

٣٢

- إذا دخل ما وإلا على الجملة المشتملة على المنصوب كان المقصود بالذكر ما اتصل بإلا متأخراً عنها ، فإذا قلت : ما ضرب عمراً إلا زيد ، فالمقصود المرفوع ، وإذا قلت : ما ضرب زيد إلا عمراً ، فالمقصود المنصوب ، وإذا قلت : ما ضرب [إلا] زيد عمراً ، فالاختصاص للضارب ، وإذا قلت : ما ضرب إلا زيداً عمرو ، فالاختصاص للضررب ، فإذا قلت : لم أكس إلا زيداً جبّةً ، فالمعنى تخصيص

- (١) في الأصل : «الجافي» وهو تحريف .
- (٢) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوسل ، والمقام يقتضي إثباتها .
- (٣) عبارة الأصل : « به أقوله » بسقوط لفظة « أن » ؛ وما أثبتناه عن حسن التوسل من نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٧ أدب .
- (٤) في الأصل : « من الذكر » ؛ والسياق يقتضي الباء كما أثبتنا .
- (٥) الكلمة الموضوعة بين مربعين عن حسن التوسل ، وصحة التمثيل تقتضيها .

زيد من بين الناس بكسوة الجبة، وإن قلت : لم أكس إلا جبة زيدا، فالمعنى تختص كسوة الجبة من بين الناس بزيد، وكذلك الحكم حيث يكون بدل أحد المفعولين جار مجرور، كقول السيد الحميري :

لو خير المنبر فُرسائه * ما آختر إلا منكم فارسا.

وكذلك حكم المبتدأ والخبر والفعل والفاعل، كقولك : ما زيد إلا قائم، وما قام إلا زيد .

وأما إنما فالاختصاص فيها يقع مع المتأخر، فاذا قلت : إنما ضرب زيدا عمرو فالاختصاص في الضارب، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فالغرض بيان المرفوع وهو أن الخاشين هم العلماء، ولو قدم المرفوع لصار المقصود بيان المخشى منه، والأول اتم، ومنه قول الفرزدق :

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما * يدافع عن أحسابكم أنا أو مثلي

فإن غرضه أن يحصر المدافع بأنه هو لا المدافع عنه، ولو قال : إنما أنا أُدافع عن أحسابكم، توجه التخصيص إلى المدافع عنه، [وحكم المبتدأ والخبر] إذا أدخلت عليهما إنما، فإن قدمت الخبر فالاختصاص للمبتدأ، وإن لم تقدمه فالخبر، فاذا قلت : إنما هذا لك فالاختصاص في "لك"، بدليل أنك بعده تقول : لا لغيرك، فاذا قلت إنما لك هذا فالاختصاص في "هذا"، بدليل أنك بعده تقول : لا ذاك، وعليه قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَنتَظِرُونَكَ ﴾ فالاختصاص في الآية الأولى للبلاغ والحساب، وفي الثانية في الخبر الذي هو على الذين دون المبتدأ الذي هو السبيل .

(١) هذه التكملة الموضوعة بين مربعين ساقطة من الأصل ومن حسن التوصل ؛ وسياق الكلام يقتضيها .

(٢) في الأصل : « ذلك » وهو محريف .

وإذا وقع بعدها الفعل فالمعنى أن ذلك الفعل لا يصح إلا من المذكور، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ، ثم قد يجتمع معه حرف النفي ، إما متأخرا عنه كقولك ، إنما يحيى زيد لا عمرو : قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لِّسِتَ عَلَيْهِمْ يُصِيطِرُ ﴾ وقال لبيد :

فإذا جوزيت قسرضا فأجزه * إنما يجزى الفتى ليس الجملة^(١)

وإما مقدما عليه . كقولك : ما جاءني زيد وإنما جاءني عمرو ، فهذا هو لم تقل : إنما ، وقلت : ما جاءني زيد وجاءني عمرو لكان الكلام مع من ظن أنهما جاءك جميعا ، وإذا أدخلتها فإن الكلام مع من غلط في الجأى أنه زيد لا عمرو .

قال : واعلم أن أقوى ما تكون «إنما» إذا كان لا يراد بالكلام الذى بعدها نفس معناه ، ولكن التعريضُ بأمر هو مقتضاه ، فإننا نعلم أنه ليس الغرض من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ أن يعلم السامعون ظاهر معناه ، ولكن أن يذم الكفار ويقال لهم : إنهم من فرط العناد فى حكم من ليس بذى عقل ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يُخْشَاهَا ﴾ و ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ والتقدير إن من لم تكن له هذه الخشية ، فهو كمن لم تكن له أذنٌ تسمع وقلبٌ يعقل ، فالإنذار معه كلا إنذار ، وهذا الغرض لا يحصل دون «إنما» لأن من شأنها تضمينُ الكلام معنى النفي بعد الإثبات ، فإذا أسقطت لم يبق إلا إثبات الحكم للمذكورين ، فلا يدل على نفيه [عن] غيرهم إلا أن يذكر في معرض مدح الإنسان بالتيقظ والكرم وأمثالهما ، كما يقال : كذلك يفعل العاقل ، هكذا يفعل الكريم .

(١) عجز هذا البيت يضرب مثلا فى المكافأة ، والمراد : إنما يجزىك من فيه إنسانية لا بهيمية .
(٢) فى الأصل : «وما تقدم» وهو تحريف . (٣) عبارة الأصل وحسن التوسل :
«نفى غيرهم» وفيها نقص لا يستقيم به المعنى . وما أبتداء تقتضيه صحة العبارة ، وما قبله يؤيده .

تنبيه — قال : كاد تقرب الفعل من الوقوع ، فنفيها ينفي القرب ، فإن لم يكن في الكلام دليل على الوقوع فيفيد نفي الوقوع ونفي القرب منه ، كقوله تعالى : ﴿لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا﴾ [أى لم يرها] ولم يقارب رؤيتها ، وكقول ذي الرمة :

٣٣

إذا غيّر النأي المحبين لم يكْدُ * رسيسُ الهوى من حب مية يبرحُ

المعنى أن براح حبها لم يقارب الكون فضلا عن أن يكون .

وأما النظم — فهو عبارة عن تونخى معانى النحو فيما بين الكلم ، وذلك أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو بأن تنظر في كل باب إلى قوايينه والفروق التى بين معانى اختلاف صيغته ، وتضع الحروف مواضعها وتراعى شرائط التقديم والتأخير ، ومواضع الفصل والوصل ، ومواضع حروف العطف على اختلاف معانيها ، وتعتبر الإصاغة في طريق التشبيه والتمثيل .

وقد أطبق العلماء على تعظيم شأن النظم ، وأن لا فضل مع عدمه ولو بلغ الكلام في غرابة معناه إلى ما بلغ ، وأن سبب فساد [ترك] العمل بقوانين النحو وأستعمال الشئ في غير موضعه .

ثم قال : الجملُ الكثيرة إذا نُظمت نظما واحدا فهي على قسمين :

الأول : أن لا يتعلق البعض بالبعض ولا يحتاج واضعه إلى فكر وروية في أستخراجه ، بل هو كمن عمّد إلى الآلى ينظمها في سلك ، ومثاله قول الجاحظ

(١) الكلمة الموضوعة بين مربعين عن حسن التوسل ؛ والمقام يقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : « ما » والتصويب عن حسن التوسل وعيره . ورسيس الهوى : بقيته وأثره ، أو هو الثابت الذى قد لزم مكانه ولم يبرحه .

(٣) فى الأصل : « مقاربتها » وهو تحريف ؛ والتصويب عن حسن التوسل .

(٤) فى الأصل : « صنعته » ؛ وهو تحريف .

(٥) الكلمة الموضوعة بين مربعين عن حسن التوسل ؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها .

في مصنفاته : جَنَّبَكَ اللهُ الشُّبُهَةَ ، وعصمكَ من الحَيْرَةِ ، وجَعَلَ بينكَ وبين المعروف نَسَبًا ، وبين الصدق سببًا ، وَحَبَّبَ اليك التَّثَبُّتَ ، وَزَيَّنَ في عينك الإنصاف وأذاقك حلاوة التقوى ، وَأَشْعَرَ قَلْبَكَ عِزَّ الْحَقِّ ، وَأَوْدَعَ صَدْرَكَ بَرْدَ الْيَقِينِ ، وَطَرَدَ عَنْكَ ذُلَّ الطَّمَعِ ، وَعَرَفَكَ مَا فِي الْبَاطِلِ مِنَ الذَّلَّةِ ، وَمَا فِي الْجَهْلِ مِنَ الْقِلَّةِ . وكقول النابغة للنعمان وتفضيله إياه على ذى فأنس يزيد بن أبي جَفَنَةَ^(١) ، وكقول حسَّان ابن ثابت للحارث الجَفَنِيُّ يفضله على النعمان بن المنذر ، وكقول ضرار بن صَفْرَةَ لمعاوية في وصف عليّ ، وقد تقدّم شرح أقوالهم في الباب الأول من القسم الثالث من هذا الفن في المدح ، وهو في السفر الثالث فلا حاجة بنا الى إعادته . وهذا النظم لا يستحق الفضل إلا بسلامة معناه وسلامة ألفاظه^(٢) ، إذ ليس فيه معنى دقيق لا يُدْرَك إلا بثاقب الفكر .

١٠

قال : وربما ظنّ بالكلام أنه من هذا الجنس ولا يكون منه ، كقول الشاعر :
سالت عليه شعابُ الحَيِّ حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير^(٣)
فإن الحسن فيه ليس مُجَرَّدَ الاستعارة ، بل لما في الكلام من التقديم والتأخير ، ولهذا لو أزلت ذلك وقلت : سالت شعابُ الحَيِّ بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره ، فإنه يذهب بالحسن والحلاوة .

١٥

(١) كذا في الأصل . وصوابه سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يعصب بن مالك ، وكان النابغة منقطعاً إليه قبل اتصاله بالنعمان ، كما في السفر الثالث من هذا الكتاب الذي أحال عليه . وفأنس : موضع باليمن كان يحميه سلامة بن يزيد كما في شرح القاموس . وقال ياقوت في معجم البلدان ج ٣ ص ٨٤٩ ط المدرسة المحروسة بمدينة غنمغة : « وفأنس واد في أرض اليمن » ، وبه سمى سلامة بن يزيد بن عريب بن تريم بن مرثد : ذا فأنس .

٢٠

(٢) في حسن التوسل ص ١٤ ط الرهاوية : « وسلاسة » بالسين المهملة ، والمعنى يستقيم على كل منهما .

الثانى : أن تكون الجملة المذكورة يعلّق بعضها ببعض ، وهناك تظنّ - رِقْوَةٌ الطبع ، وجودة القريحة ، واستقامة الذهن .

ثم [ليس] لهذا الباب قانون يُحفظ ، فإنه يحىء على وجوه شتى :

منها الإيجاز ، وهو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف ، وهو على ضربين : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف ، وقد تقدّم الكلام على ذلك وذكر أمثلته عند ذكر الفصاحة .

ومنها التأكيد — وهو تقوية المعنى وتقريره ، إما بإظهار البرهان ، كقول قابوس :

يا ذا الذى بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر إلا من له خطر

أما ترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر

وفى السماء نجوم ما لها عدد * وليس يحسّف إلا الشمس والقمر

وإما بالعزيمة ، كقوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ وكقول الأشر النخعي :

بقيت وفري وأنحرفت عن العلا * ولقيت أضيافى بوجه عبوس

إن لم أشن على ابن حرب غارة * لم تحل يوما من نهاب نفوس

يريد معاوية بن أبي سفيان ، وكقول أبي نواس .

لا فرج الله عني إن مددت يدي * إليه أسأله من حبك الفرجا

٣٤

(١) الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها . انظر حسن التوسل ص ٤١ ط الوهابية .

(٢) فى الأصل وفى حسن التوسل : « غير ذى عدد » ، وهو غير مستقيم ؛ والتصويب عن الذخيرة لابن بسام المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٤٨ أدب .

وكقول أبي تمام :

حُرِّمْتُ مَنَایَ مِنْكَ إِنْ كَانَ ذَا الَّذِي * تَقُولُهُ الْوَاشُونَ حَقًّا كَمَا قَالُوا .

أو بالتكرار، كقولهم : اللهُ اللهُ، وَالْأَسَدُ الْأَسَدُ، وكقول الحَادِرَةِ^(١) :
أُطَاعْنَةُ وَمَا تَوَدَّعْنَا هُنْدُ * وَهَنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبَعْدُ

وهذا في التزئيل كثير، والعَلَمُ فيه سورة الرحمن .

وأما التَّجْنِيسُ — فهو يتشعب منه شُعَبٌ كثيرة :

فمنه المستوفى التَّامُّ — وهو أن يجيء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظاً، مختلفتين
معنى، لا تفاوت في تركيبهما، ولا اختلاف في حركاتهما، كقول الغزّيّ :
لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ إِنْسَانٌ يَلَاذُبُهُ * فَلَا بَرِحَتْ لَعِينُ الدَّهْرِ إِنْسَانًا

وقول عبد الله بن طاهر :

وَإِنِّي لِلشَّغْرِ الْخُوفِ لِكَالِي * وَلِلشَّغْرِ يَجْرِي ظَلْمُهُ لَرُشُوفِ^(٢)

وكقول البُستيّ :

سَمَا وَحَمَى بَنَى سَامٍ وَحَامٍ * فَلَيْسَ كَمَثَلِهِ سَامٌ وَحَامِي

وذكر التبريزيّ أن التجنيس المستوفى كقول أبي تمام :

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ * يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

وقال : وإنما عُدَّ من هذا الباب لاختلاف المعنيين ، لأن أحدهما فعل ،

والآخر أسم .

(١) هو قطبة بن أوس الثعلبيّ ، والحادرة لقبه .

(٢) الظلم بفتح الظاء المعجمة : ماء الأسان وبريقها .

ومنه المختلف — ويسمى التجنيس الناقص — وهو مثل الأول في اتفاق حروف الكلمتين إلا أنه يخالفه : إما في هيئة الحركة ، كقوله صلى الله عليه وسلم "اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي" ؛ وكقول معاذ رضى الله عنه : الدين يهدم الدين ؛ وكقولهم : جبة البرد جنة البرد ؛ وكقولهم : الصديق الصدوق أقول العقد واسطة العقد ؛ وكقول المعترى :

لغيرى زكاة من جمال فإن تكن * زكاة جمال فازكرى ابن سبيل

أو بالحركة والسكون ، كقولهم : البدعة شرك الشرك . أو بالتخفيف والتشديد كقولهم : الجاهل إما مفرط وإما مفرط .

ومنه المذيل — ويقال له : التجنيس الزائد والناقص أيضا — وهو أن تجيء بكلمتين متجانستى اللفظ متفقتى الحركات ، غير أنهما يختلفان بحرف ، إما فى آخرهما كقولك : فلان حامٍ حاملٌ لأعباء الأمور ، كافٍ كافٌ لمصالح الجمهور ؛ وقولهم : أنا من زمانى فى زمانه ، ومن إخوانى فى خيانه ؛ وقولهم : فلان سأل عن إخوانه ، سالم من زمانه ؛ ومن النظم قول أبى تمام :

يكدون من أيدي عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضٍ
وقول البحتري :

لئن صدفت عنا فربت أنفس * صواد إلى تلك النفوس الصوادف
وإما من أولهما ، كقوله تعالى : ﴿وَأَلْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾
ومن النظم ما أنشده عبد القاهر :

وكم سبقت منه إلى عوارف * ثنائى من تلك العوارف وارف

وكم غرر من برّه ولطائف * لشكرى على تلك اللطائف طائف .

(١) كذا فى الأصل وحسن التيسل . ووجه التمثيل بها خفى ، والظاهر أن محل التمثيل أول العبارة .

(٢) كذا فى الأصل ونزاة الأدب للعموى ص ٣ ط بولاق ؛ والذي فى حسن التوسل : « من أخزاه » .

ومنه المركب وهو على ضربين :

الأول : ما هو متشابه لفظا وخطا ، كقولهم : هَمَّتْكَ الهِمَّةُ الفاترة ، وفي صميم قلبك ألفتاره ، ومن النظم قول البُستيّ :

إذا ملك لم يكن ذاهبه * فدعه فدولته ذاهبه

وقول الآخر :

عضنا الدهر بناه * ليت ما حل بناه

وقول طاهر البصري :

ناظراد فيما جنى ناظراد * أودعاني رهنا بما أودعاني .

الثاني : ما هو متشابه لفظا لا خطا ويسمى التجنيس^(١) [المفروق^(١)] ، كقوله :

كنت أطمع في تجريبك ، ومطايا الجهل تجرى بك ،

ومن النظم قول الشاعر :

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت في تهذيبها

فإذا عرضت القول غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذي بها

وأمثال ذلك كثيرة .

ومن أنواع المركب المرفق ، وهو أن تجمع بين كلمتين إحداهما أقصر من

الأخرى ، فتضم إلى القصيرة حرفا من حروف المعاني أو من حروف الكلمة المجاورة لها حتى يعتدل ركنها التجنيس ، كقولهم :

يامغرور أمسك ، وقس يومك بأمسك ،

ويقرب منه قول الهمداني :

إن لم يكن لنا حظ في درك درك ، نخاصنا من شرك شرك ،

(١) الكلمة التي بين مربعين عن حسن التوصل ص ٤٤ ط الوهابية ؛ واستقامة الكلام تقتضي إثباتها .

وقول الحريري :

إن أخليت منا مبارك مبارك ، نخلصنا من معارك معارك ؛

ومن النظم قول البستي :

فهمت كتابك ياسيدي * فهمت ولا عجب أن أهيا

ومنه قول الآخر :

ذو راحة وكفت ندى وكفت ردى * وقضت بهلك عِداته وعِداته

كالغيث في إروائه ورؤائه * والليث في وثباته وثباته .

ومنه المزدوج — ويقال له التجنيس المرّد والمكرر أيضا — وهو أن يأتي

في أواخر الأسجاع وقوافي الأبيات بلفظتين متجانستين إحداهما نسيمة الأخرى

وبعضها ، كقولهم : الشراب بغير النغم غم ، وبغير الدسم سم ؛

وقول البستي :

أبا العباس لا تحسب لشيني ^(١) * بأنى من حلى الأشعار عارى

فلى طبع كسلسال معين * زلال من ذرى الأحجار جارى

إذا ما أكتب الأدوار زندا * فلى زند على الأدوار وارى .

ومن أجناس التجنيس المصحف — ويقال له تجنيس الخط أيضا —

وهو أن تأتي بكلمتين متشابهتين خطأ لا لفظا ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

وقوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالأبكار فإنهن أشد حبا وأقل خبا » وقول [النبي

صلى الله عليه وسلم] ^(٢) لعلّى رضى الله عنه : قَصْر من ثيابك فإنه أبقي وأنقى وأتقى .

(١) فى حسن التوسل : « لشيبى » بالباء ، وهو تحريف . (٢) عبارة الأصل وحسن

التوسل : « وقول على » وفيها نقص ؛ والتكلمة عن خزانة الأدب للحموى ص ٤٤ ط بولاق .

وكقول أبي فراس :

من بحر شعرك أغترِف * وبفضل علمك أعتَرِف .

ومنه المضارع — ويسمى المطمَع — وهو أن يُجاء بالكلمة ويبدأ بأختها على مثل أكثر حروفها ، فتطمع في أنها مثأها ، فتخالقها بحرف ؛ ويسمى المطرَف وهو أن تجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما إلا بحرف واحد من الحروف المتقاربة ، سواء وقع آخرها أوحشوا ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود بنواصيها الخير » ومنه قول الخطيئة :

مطاعين في الهيجا مطاعيم في الدجى * بنى لهم آباؤهم وبني الجدد
وقول البحتري :

ظلمت أرجم فيك الظنون * أحاجمه أنت أم حاجبه ؟

(٣٦)

وإن كان التفاوت بغير المتقاربة سمي التجنيس اللاحق ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ وقول البحتري :

هل لما فات من تلاقٍ تلافٍ * أم لشاك من الصبابة شافي .

ومنه المشوَّش — وهو كل تجنيس يتجاذبه طرفان من الصنعة فلا يمكن إطلاق اسم أحدهما عليه ، كقولهم : فلان مليح البلاغة ، صحيح البراعة

(١) في الأصل : « الالتفات » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه السياق .

(٢) في الأصل وحسن التوصل : (الصيغة) بيا ، مثناة بعدها غين معجمة ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن شرح الباعونية المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاغة ، وهو شرح على بديعتها الموسومة بالفتح المبين في مدح الأمين .

(٣) كذا ورد هذا المثال في الأصل وحسن التوصل . ووجه التمثيل به خفي ، ولم نقف عليه فيما لدينا من المراجع .

ومنه تجنيس الاشتقاق — ويسمى الاقتضاب أيضا، ومنهم من عدّه أصلا برأيه، ومنهم من عدّه أصلا في التجنيس — وهو أن يجيء بالفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة، كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَحْقُقُ اللَّهُ الرَّبَّاءُ وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها» وقوله: «الظلم ظلمات يوم القيامة» ومن النظم قول أبي تمام:

عَمَمَتِ الخلق بالنعماء حتى * غدا الثقلان منها مُثْقَلَيْنِ

وقول المطرزي:

وإني لأستحي من المجد أن أرى * حَلِيفَ غَوَايِنٍ أو أَلِيفَ أَغَانِي^(١)

وقول صاحب بن عباد:

وقائلةٍ لِمَ عَرَّتْكَ الهمومُ * وأمرُك مُتَّشِلٌ في الأممِ
فقلت ذريني على غُصَّتِي * فإن الهموم بقدر الهمم

وقول آخر:

إن ترى الدنيا أغارت * ونجوم السعد غارت
فُصُروف الدهر شتّى * كَلَمَّا جارت أجات^(٢)
(٣)

ومما يشبه المشتق — ويسميه بعضهم المشابه، وبعضهم المغاير — قوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿لِيرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾

جزوب
مَعِينُ التَّارِيخِ
لأهل التَّارِيخِ

(١) في الأصل: «غواني»؛ وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «المشتق»؛ وهو تحريف.

(٣) في الأصل: «المشابهة والمغايرة»؛ بتأنيث اللفظين؛ والتصويب عن حسن التوسل.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَسَلْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾
ومن النظم قول البحترى:

وإذا ما ريارح جودك هبت * صار قول العذال فيها هباء^(١).

ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف — وهو ما كان كالمصحف
[إلا] في اتحاد الكتابة، ثم لا يخلو من أن تتقارب فيه الحروف باعتبار المخارج^(٢)
أو لا تتقارب فإن تقاربت سُمي مضارعا، وإن لم تتقارب سُمي لا حقا.

مثال الأول قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ وقوله تعالى ﴿بِمَا كُنْتُمْ
تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ وقول قُتَيْبِ بْنِ سَاعِدَةَ الْيَادِي:
”من مات فات“

وقول الشاعر:

فيالك من حزم وعزم طواهما * جديد البلى تحت الصفا والصفائح
وهذا البيت يشتمل على المضارع والمتعم؛

ومثال الثاني قول علي رضي الله عنه: الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر، وقول
عبد الله بن صالح وقد وصف اليمن: ليس فيه إلا ناسج برد، أو سائس قرد^(٤).

(١) في الأصل: «رماح» بالميم، وهو تحريف.

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد نقلناها عن حسن التوسل ليستقيم بها التعريف ويصح بها التمثيل
الآتي، فإنه ليس بين قوله: «ينهون» و«ينتون» اتحاد في الكتابة. وعبارة ابن أبي الإصبع في تحرير التعبير
المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلاغة في تعريف هذا النوع: «وهو
اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من نخرجه أو من قريب منه».

(٣) عبارة الأصل: «من أن تتفاوت فيه الحروف باعتبار المخارج أو لا تتفاوت، فإن تفاوتت» الخ.
بفاء موحدة في الكلمات الثلاث وواو وتاء مثناة فوقية، وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى.

(٤) في الأصل: «سامر»، وما أثبتناه عن حسن التوسل.

ومنها التجنيس المخالف — وهو أن تشتمل كل واحدة من الكلمتين على حروف الأخرى دون ترتيبها، كقول أبي تمام :

بَيْضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي * مَتَوَهِّتٍ جَلَاءِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

وقول البحتري :

شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تُقَطَّعُ بَيْنَهُمْ * شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٍ قَطُوعُهَا

وقول المتنبي :

مُنْعَةً مِنْعَةً رَدَاحٌ * يَكْلَفُ لَفْظُهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا

(٢٧)

فإن أشتملت كل كلمة على حروف الأخرى، وكان بعض هذه قلب حروف هذه خُصَّ باسم جناس العكس، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وآرق» وقول عبد الله بن رواحة يمدح [النبي] صلى الله عليه وسلم:

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مَعْتَجِرًا * بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلَى نُورِهِ الظُّلُمَا.

ومنها تجنيس المعنى — وهو أن تكون إحدى الكلمتين دالة على الجنس بمعناها دون لفظها، وسبب استعمال هذا النوع أن يقصد الشاعر المجانسة لفظا ولا يوافقها الوزن على الإتيان باللفظ المجانس فيعدل إلى مرادفه، كقول الشاعر يمدح المهلب ويذكر فعله بقطري بن الفجاءة، وكان قطري يكنى أبا نعام:

حدا بأبي أم الرئال فأجفلت * نعامته مر. عارض متلبب^(٢)

أراد أن يقول: حدا بأبي نعام فأجفلت نعامته أي روحه، فلم يستقم له فقال: بأبي أم الرئال، وأم الرئال هي النعام، وكقول الشماخ:

(١) التكملة عن حسن التوسل. (٢) في الأصل: «متلب» وما أثبتناه عن حسن التوسل إذ هو المناسب لما هنا، ولعل ما في الأصل مقلوب عن متلب، أي متوقد غيرة وحمية. والمتلبب: المتحزم بالسلاح، يريد المنهي للقتال.

وما أَرَوَى وإن كَرُمْتُ علينا * بأدنى من موقِّفة حَرَوْنَ^(١)

أَرَوَى : آسم امرأة . والموقِّفة الحرون من الوحش : أَرَوَى ، وبها سميت المرأة فلم يمكنه أن يأتى باسمها فأتى بصفتها ، وقد صرح بذلك المَعَرِّى فى قوله :
أَرَوَى النِّيَاقَ كَأَرَوَى النِّيَقِ يَعِصِمُهَا^(٢) * ضرب يظلّ له السَّرحان مبهوتا

وبعضهم لا يدخل هذا فى باب التجنيس . قال : وإنما يحسن التجنيس إذا قلّ ، وأتى فى الكلام عفو من غير كد^(٣) ولا استكراد ، ولا بُعد ولا ميل إلى جانب الرّكّة ولا يكون كقول الأعشى :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني * شاوِمْشَلْ شَلُولُ شُلْشَلْ شُولُ^(٤)

ولا كقول مسلم بن الوليد :

سَلَّتْ وَسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا * فأتى سليل سليلها مسلولاً^{١٠}

ولا كقول المتنبي :

فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِى قَلَقَ الْحِشَا * قَلَا قَلَّ عِيشُ كُلِّهِمْ قَلَا قَلُّ

وأما الطَّباق — قال : المطابقة أن تجمع بين ضدّين مختلفين ، كالإيراد والإصدار والليل والنهار ، والسواد والبياض ؛ قال الأخفش وقد سئل عنه : أجد قوماً يختلفون

(١) الموقفة من الوقف ، وهو الخلل أو السوار من العاج وغيره ، وأراد به هنا : الأروى التى فى رجلها أو يديها بياض تشبها لها بلبسة الخلل أو السوار .

(٢) النيق بالكسر : أرفع موضع فى الجبل ، جمعه نياق وأنياق ونيوق .

(٣) فى الأصل : « كدر » براء زائدة فى آخره ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) قال فى اللسان مادة شل : الشاوى : الذى شوى . والشلول : الخفيف . والمشل :

المطرّد . والشلل : الخفيف القليل . وكذلك الشول . والألفاظ متقاربة أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة .^{٢٠}

فيه ، فطائفة — وهم الأكثر — يزعمون أنه الشيءُ وضدُّه ، وطائفة تزعم أنه اشتراك المعنيين في لفظ واحد ، كقول زياد الأعجم :

وَنَبِئْتَهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ * وَلَلُّؤْمُ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ

ثم قال : وهذا هو التجنيس بعينه ، ومن أدعى أنه طباق فقد خالف الأصمعي والخليل ، فقل له : أو كانا يعرفان ذلك ؟ فقال : سبحان الله ! وهل أعلم منهما بالشعر وتمييز خبيثه من طيبه ؟ . ويسمونه المطابقة والطباق والتضاد والتكافؤ وهو أن تجتمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل ، فلا تجيء بأسم مع فعل ولا بفعل مع أسم ، مثاله قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بَغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : « إِنْكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » ومن النظم قول جرير :

وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشمالها

وقول البحتري :

وأمة كان قبح الجور يُسِخِطُهَا * حيناً فأصبح حسن العدل يرضيها
وقوله أيضاً :

تَبَسُّمٌ وَقُطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى * كالبرق والرعد وَسَطَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ
وقول دِعْبِل :

لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمٌ مِنْ رَجُلٍ * ضَحَكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
وقول ابن المعتز :

مَهَا الْوَحِشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ * قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكَ ذَوَابِلُ

فإن هاتنا للحاضر، وتلك للغائب، فكانتا متقابلتين؛ وقد تجيء المطابقة بالنفي [والإثبات^(١)] كقول البحترى:

تَقْيِضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى * وَيَسْرَى إِلَى الشُّوقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ.

وقال الزكى بن أبي الإصبع المصري في الطباق: وهو على ضربين: ضرب يأتي بالفاظ الحقيقة، وضرب يأتي بالفاظ المجاز، فما كان بلفظ [الحقيقة^(٢)] سَمِيَ طَبَاقًا. وما كان بلفظ المجاز سَمِيَ تَكَافُؤًا، فمثال التكافؤ قول أبي الأشعث العبسي من إنشادات قُدَّامَة:

حَلَوُ الشَّمَائِلِ وَهُوَ مَرٌّ بِأَسَلٍ * يَجْحَى الذَّمَّارَ صَبِيحَةَ الْإِرْهَاقِ

لأن قوله: حلو ومر خارج مخرج الاستعارة، إذ ليس الإنسان ولا شمائله مما يذاق بحاسة الذوق.

١٠

ومن أمثلة التكافؤ قول ابن رشيقي:

وَقَدْ أَطْفَأُوا شَمْسَ النَّهَارِ وَأَوْقَدُوا * نَجْمَ الْعَوَالِي فِي سَمَاءِ عَجَاجٍ

وقد جمع دُعِيل في بيته المتقدم بين الطباق والتكافؤ، وهو:

لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ * ضَحَكَ الْمَشِيبَ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

١٥

لأن ضحك المشيب مجاز، وبكاء الشاعر حقيقة.

قال: هكذا قال ابن أبي الإصبع، وفيه نظر، لأنه إذا كان الطباق عنده هو التضاد من حتميتين، والتكافؤ التضاد من مجازين، فليس في البيت ما شرطه.

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن حسن التوسل؛ والمقام يقتضى إثباتها.

(٢) في الأصل: «يقتص» وهو تحريف.

(٣) التكملة عن حسن التوسل ص ٨٤ ط الوهابية؛ واستقامة الكلام تقتضيها.

(٤) في الأصل: «لما كان» وما أثبتناه عن حسن التوسل، إذ به يستقيم الكلام.

٢٠

قال : ومما جمع بين طباق السلب والإيجاب قولُ الفرزدق من إنشادات
أبن المعتز :

لعن الإله بنى كليب إنهم * لا يَغْدِرُونَ ولا يفون لِحار
يستيقظون إلى نهيق حميرهم * وتنهم أعينهم عن الأوتار.

وذكر في آخر الباب طباق التردد، وهو أن يرد آخر الكلام المطابق إلى أوله
فإن لم يكن الكلام مطابقاً فهو ردّ الأعجاز على الصدور، ومثاله قول الأعشى :
لا يرقع الناس ما أوهوا وإن جهدوا * طول الحياة ولا يوهون ما رقعوا.

وأما المقابلة ^(١) — وهى أعم من الطباق، وذكر بعضهم أنها أخص، وذلك
أن تضع معاني تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو المخالفة، فتأتى فى الموافقة بما وافق،
وفى المخالف بما خالف أو تشترط شروطاً وتعدّ أحوالاً فى أحد المعنيين فيجب
أن تأتى فى الثانى بمثل ما شرطت وعددت [فى الأقل] ^(٢)، كقوله عز وجل : ﴿فَأَمَّا
مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ ومثاله
من النظم قولُ الشاعر :

فيا عجبا كيف آتفقنا فناصح * وفى ومطوى على الغل غادر !
وقول آخر :

تقاصرنا وأحلولين لى ثم إنه * أتت بعد أيام طوال أمرت

(١) عنوان هذا الفصل ساقط من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباته .

وقول زهير بن أبي سلمى :

حُلماءُ في النّادى إذا ما جئتهم * جُهلاءُ يومَ عِجاجةٍ ولقاء.

ومن فساد ذلك أن يقابل الشيء بما لا يوافقه ولا يخالفه ، كقول أبي عديّ

القرشيّ :

يا ابن خير الأخيار من عبد شمس * أنت زين الدنيا وغيثُ لجُود

فليس قوله : غيث لجود موافقا لقوله : زين الدنيا ولا مخالف له

(٣٩)

وكقول الكُميت :

وقد رأينا بها حورا منعمَةً * بيضا تكامل فيها الدّل والشّنب

فالشّنب لا يشاكل الدّل .

١٠

وقول آخر :

رَحماءُ بذى الصّلاح وضربون قِدما لهامة الصّنديد.

قال : وقد ذكر بعض أئمة هذا الفن تفصيلا في المقابلة فقال :

فمن مقابلة آئين بائين قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ ؛ وقول

النابغة :

١٥

فَقِيّ تمّ فيه ما يَسُرُّ صديقه * على أن فيه ما يسوء الأعدايا ؛

ومن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول الشاعر^(١) :

ما أحسن الدينَ والدنيا إذا آجتمعا * وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرجل

وقول أبي نواس :

أنا أَسْتَدْعِي عَفْوَكَ من قريب * كما أَسْتَعْفِي سَخَطَكَ من بعيد ؛

٢٠

(١) يعزى هذا البيت لأبي دلالة .

ومن مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ المقابل بقوله تعالى : « آسْتَغْنَى » قوله تعالى : « وَاتَّقَى » لأن معناه : زهد فيما عند الله وآستغنى بشهوات الدنيا عن نعم الآخرة ، وذلك يتضمن عدم التقوى ، ومنه قول النابغة :
إذا وطئنا سهلا أثارنا عجاجة * وإن وطئنا حزنا تشظى الجنادل ؛

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثى وبياض الصبح يغري بي
قابل أزور بأنثى ، وسواد ببياض ، والليل بالصبح ، ويشفع بيغري ، ولي
بقوله : بي .

وأما السجع — فهو أن كلمات الأبيجاع موضوعة^(١) على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها ، لأن الغرض أن يجانس بين قرائن ، ويزاوج بينها ، ولا يتم ذلك إلا بالوقف ، ألا ترى الى قولهم : « ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت » فلو ذهبت تصل لم يكن بُد من إعطاء أواخر القرائن ما يقتضيه حكم الإعراب ، فتختلف أواخر القرائن ، ويفوت الساجع غرضه ، واذ رأيناهم يخرجون الكلمة عن أوضاعها للازدواج فيقولون : أتيك بالغدا والعشايا ، وهنأني الطعام ومرأني ، وأخذه ما قدم وما حدث ، « وأنصرفن مازورات غير مأجورات » ، يريد الغدوات ، وأمرأني وحدث ، وموزورات ، مع أن فيه ارتكابا لمخالفة اللغة [فما الظن بأواخر الكلم المشبهة بالقوافي] .

(١) في الأصل : « سالفه » ؛ وهو تصحيف .

(٢) النكلة عن حسن النوسل ص ٤٩ ط الوهاية .

قال : والسجع أربعة أنواع وهي : الترصيع والمتوازي والمطرّف والمتوازن .

أما الترصيع — فهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ”اللهم آقبل توبتي، وأغسل حوبتي“ وقولهم : فلان يفتخر بالهمم العاليه ، لا بالرّمم الباليه ؛ وقولهم : عاد تعريضك تصريحاً ، وتمريضك تصحيحاً ؛

ومن النظم قولُ الخنساء :

حامي الحقيقة محمداً الخليفة مهدي الطريقة نفّاع وضرار
جواب قاصية جراز ناصية * عقاد ألوية للخيّل جرار

وقد يجيء مع التجنيس ، كقولهم :

إذا قلت الأنصار، كلّت الأبصار؛ وما وراء الخلق الدميم، إلا الخلقُ الذميم ؛

ومن النظم قولُ المطرزي ^(١) :

وزنّ ندى فواضله وريّ * وزنّ ربّاً فضائله نصير
ودّر جلاله أبداً ثمين * ودّر نواله أبداً غزير.

وأما المتوازي — فهو أن يراعى في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزنُ



مع اتفاق الحرف الأخير منهما ، كقوله عز وجل : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ .

(١) في الأصل : « المطرز » بدون ياء ، والتصويب عن حسن التوسل ، وهو ناصر بن أبي المكارم

عبد السيد بن علي ، ويكنى أبا الفتح ؛ وكانت وفاته سنة عشر وستمائة هـ . انظر وفيات الأعيان ج ٢

وقول الحريري : أَلْجَانِي حَكْمٌ دَهْرٌ قَاسِطٌ ، إِلَى أَنْ أُنْتَجَعَ أَرْضٌ وَاسِطٌ ^(١) .

وقوله : وَأَوْدَى النَّاطِقِ وَالصَّامِتِ ، وَرَثَى لَنَا الْحَاسِدَ وَالشَّامِتَ .

وأما المطرّف — فهو أن يراعى الحرف الأخير في كلمتي قرينتيه من غير مراعاة الوزن ، كقوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ وقولهم : جَنَابَهُ مَحَطُّ الرِّحَالِ ، وَنَحْمِ الْآمَالِ . ٥

وأما المتوازن — فهو أن يراعى في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الأخير منهما ، كقوله تعالى : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ ﴾ وقولهم : اصْبِرْ عَلَى حَرِّ الْقِتَالِ ، وَمَضَضِ النَّزَالِ ، وَشِدَّةِ الْمِصْبَاعِ ، وَمَدَاوِمَةِ الْمِرَاسِ ؛ فإن راعى الوزن في جميع كلمات القرائن أو أكثرها ، وقابل الكلمة منها بما يعادلها وزنا كان أحسن ، كقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا آلَ صِرَاطٍ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ ، وقول الحريري : اسْوَدَّ يَوْمِي الْأَبْيَضَ ، وَأَبْيَضَ فَوْدِي الْأَسْوَدَ ؛ ويسمى هذا في الشعر الموازنة ، كقول البحري : ١٠

فَقَفْتُ مُسْعِدًا فِيهِنَّ إِنْ كُنْتُ عَازِرًا * وَسِرُّ مُبْعِدًا عَنْهُنَّ إِنْ كُنْتُ عَازِلًا

(١) قال في معجم البلدان ص ٨٨١ ج ٤ ط المدرسة المحروسة بمدينة غتغه : واسط في عدة مواضع : نبدأ أولاً بواسط الحجاج لأنه أعظمها وأشهرها ثم نتبعها الباقي . فأقول ما تذكر لم سميت واسطاً ولم صرفت ؟ فأما تسميتها فلا أنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخاً الخ . ثم ذكر بعد ذلك نقلاً عن أبي حاتم أنه مصروف لأنه مذكر ، فإنهم أرادوا به بلداً واسطاً أو مكاناً واسطاً ؛ وأنه قد يذهب به مذهب البقعة أو المدينة فيمنع من الصرف للتأنيث حينئذ . وقد ابتداء الحجاج في عمارتها سنة أربع وثمانين و فرغ منها سنة ست وثمانين . ١٥

(٢) كذا في الأصل وحسن التوصل . ومحل التمثيل هذه القرينة مع القرينتين اللتين بعدها دون التي قبلها لاتفاق الحرف الأخير فيهما . ٢٠

قال : ومما هو شرطُ الحُسْنِ في هذا المحافظةُ على التشابه ، وهو آسم جامع للملاءمة والتناسب .

فالملاءمة : تأليف الألفاظ الموافية بعضها لبعض على ضرب من الاعتدال كقول لبيد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه * يعود رمادا بعد إذ هو ساطع
وما آلام والأهلون إلا وديعة * ولا بد يوما أن تُردّ الودائع
وبعضهم يعدّ التلفيق من باب الملاءمة ، وهو أن تضمّ إلى ذكر الشيء ما يليق به ويجرى مجراه ، أي تجمع الأمور المناسبة ، ويقال له : مُراعاة النظر أيضا ، كقول ابن سميون المهلب^(١) :

أنت أيها الوزير إبراهيمي الجود ، إسماعيلي الوعد ، شعبيّ التوفيق ، يوسفى العفو ، محمدى الخلق .

وكقول أبي الفوارس الحمدانى^(٢) :

أأخا الفوارس لو رأيتَ موافقى * وانخيلُ من تحت الفوارس تنحط^(٤)
لقراءت منها ما تنحط يد الوغى * والبيض تشكّل والأسنة تنقط^(٣)

(١) فى الأصل : « ابن سميون المهلب » بالشين المعجمة وسقوط اللام ؛ وفى حسن التوسل : « ابن سميون المهلب » بالمهملة ، ولم نقف على هذه النسبة لكلا الشخصين فيما بين أيدينا من كتب التراجم ومعاجم الأعلام ، ولعل صواب العبارة ما أثبتنا ؛ والمهلبى هو الوزير أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون يتصل نسبه بالمهلب بن أبى صفرة ؛ وكان وزيرا لمعز الدولة بن بويه . وكانت وفاته سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠١ ط دار الطباعة المصرية . وابن سميون هو أبو الحسين محمد بن أحمد ابن إسماعيل الواعظ البغدادى ؛ وتوفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة هـ وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٠١

(٢) كذا فى الأصل . والذي فى حسن التوسل : (أبو العشائر) وكلاهما من آل حمدان ، ولم نعرف فيما بين أيدينا من المظان على ما يرجح إحدى الروايتين ، كما أننا لم نقف على هذين البيتين فى شعر أبي فراس الحمدانى كما يتوهم تحرير ما هنا عنه .

(٣) فى الأصل : « أأجاد » وهو تحريف .

(٤) تنحط : من النحط ، وهو صوت الخيل من الثقل والإعياء ، يكون بين الصدر إلى الخلق .

وكقول آخر :

وكم سائلٍ بالغيب عنك أجبتُهُ * هناك الأيادي الشَّفْعُ والسُّودُّ الدَّالْوَتَرُ

عطاءٌ ولا منٌ وحكمٌ ولا هوًى * وحلمٌ ولا عجزٌ وعزٌّ ولا كِبَرُ

وقول ابن حيوس^(١) :

يقينُك والتقوى وجودُك والغنى * ولنفظُك والمعنى وسيفُك والنصر

والتناسب : هو ترتيب المعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر، كقول النابغة :

والرفق يُمنُّ والأناةُ سعادة * فاستأنِ في رزقٍ تنال نجاحا^(٢)

والياس عمّافات يُعقب راحةً * ولربّ مَطْمَعَة تعود ذُبَاحا

ويسمى التشابه أيضا، وقيل : التشابه أن تكون الألفاظ غير متباينة بل متقاربة

في الجزالة والرقّة والسلاسة، وتكون المعاني مناسبة لألفاظها من غير أن يكسُو اللفظ^(٣)

الشريف المعنى السخيف، أو على الضدّ، بل يصاغان معا صياغةً تناسب وتلائم .

فصل في الفقر المسجوعة ومقاديرها

(٤١)

قال : قصر الفقرات يدلّ على قوّة التمكن وإحكام الصناعة ، وأقلّ ما تكون

كلمتان ، كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ وأمثال ذلك

في الكتاب العزيز كثيرة ، لكن الزائد على ذلك هو الأكثر ، وكان بديع الزمان يكثر من

(١) هو محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس ، ويكنى أبا الفتيان ، ويلقب بصفيّ الدولة .

(٢) في الأصل : «والرزق» بالزاي المعجمة ، وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

(٣) في الأصل : « يكثر » بالناء المثلثة والراء المهملة ، وهو تحريف .

ذلك في رسائله ، كقوله : ^(١) كَمِيتٌ نَهْدٌ ، كَأَنَّ رَاكِبَهُ فِي مَهْدٍ ، يَلِطِمُ الْأَرْضَ بِزُبُرٍ
وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ بِخَبَرٍ . قالوا : لكن التذاد السامع بما زاد على ذلك أكثر ، لتشوقه الى
ما يَرِدُ متزايدا على سمعه .

- فأما الفقر المختلفة فالأحسن أن تكون الثانية أزيد من الأولى ولكن لا بقدر
كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فيقل التذاد بسماعها ، فإن زادت
القرائن على اثنين فلا يضر تساوى القرينتين الأوليين وزيادة الثالثة عليهما وإن
زادت الثانية عن الأولى يسيرا ، [والثالثة على الثانية] ^(٢) فلا بأس ، لكن لا يكون
أكثر من المثل ، ولا بد من الزيادة في آخر القرائن ، مثاله في القرينتين : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ
الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ ومثاله في الثالثة قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ
بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَوْهُمُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا
ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ ^(٣) وأقصر الطوال ما كان من إحدى عشرة لفظة
وأكثرها غير مضبوط ، مثاله من إحدى عشرة لفظة : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً
ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوفُ كَافُورًا ﴾ ^(٤) والتي بعدها من ثلاث عشرة كلمة ، ومثاله من
عشرين لفظة قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَوْهُمُ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ
وَتَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَئِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

(١) الكمية من الخيل يستوى فيه المذكر والمؤنث ، ولونه الكمة ، وهي سواد تشوبه حمرة تكون في الإبل
والخيل . والنهد من الخيل : الحسن الجسم المشرف .

(٢) التكملة عن حسن التوسل .

(٣) في الأصل : « في » وما أثبتناه عن حسن التوسل .

وأما ردّ العَجْز على الصّدْر — فهو كل كلام منشور أو منظوم يلاقى آخره أوله بوجه من الوجود، كقوله تعالى : ﴿وَتَخَشَّى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ وقوله تعالى : ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى﴾ وقولهم : «القتل أنفى للقتل» و«الحيلة ترك الحيلة» وقولهم : طاب مَلَكُهم فسلب ما طلب ، ونهب ما لهم فوهب ما نهب .

وهو في النظم على أربعة أنواع :

الأول : أن يَقَعَا طَرَفَيْنِ ، إما متفقين صورة ومعنى ، كقوله :

سريع إلى ابن العم يشتم عِرضه * وليس إلى داعي الندى بسريع

وقوله :

سُكران سُكر هوى وسُكر مُدّامة * أنى يُفِيق فتى به سُكران ؛

أو متفقين صورة لا معنى ، وهو أحسن من الأول ، كقول السّريّ :

يَسَارٌ مِنْ سَجِيَّتِهَا الْمَنَايَا * وَيُمْنِي مِنْ عَطِيَّتِهَا الْيَسَار

وقول الآخر :

ذَوَائِبُ سُودٌ كَالْعَنَاقِيدِ أُرْسِلَتْ * فَمَنْ أَجْلَهَا مَنَا النُّفُوسُ ذَوَائِبُ ؛

أو معنى لا صورة ، كقول عمر بن أبي ربيعة^(١) :

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً * إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ

وقول السّريّ :

ضَرَائِبُ أَبْدَعَتْهَا فِي السَّمَاحِ * فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرِيْبَا

(١) في الأصل : « لا صورة له » وقوله : « له » زيادة من النسخ .

وقوب الآخر :

ثُبُّكَ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدْ دَلَّنِي * أَنْكَ مَنْقُوصٌ وَمُشْلُوبٌ
أَوْ لَا صُورَةً وَلَا مَعْنَى وَلَكِنْ بَيْنَهُمَا مِثَابَةٌ أَشْتَقَاقٌ ، كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ :
وَلَا حَ يَلْحَى عَلَى جَرَى الْعِنَانِ إِلَى * مَلَهًا فَسُحْقًا لَهُ مِنْ لَا تُحْ لَا حَى

الثاني : أَنْ يَقَعَا فِي حَشْوِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ وَتَعَجُّزِ الثَّانِي ، إِمَّا مُتَّفَقِينَ صُورَةً
وَمَعْنَى كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

وَلَمْ يَحْفَظْ مُضَاعَ الْمَجْدِ شَيْءٌ * مِنْ الْأَشْيَاءِ كَالْمَالِ الْمُضَاعِ
وقول آخر :

أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ * بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ
أَوْ صُورَةً لَا مَعْنَى ، كَقَوْلِ الشَّعَالِيِّ :

١٠

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بُلُغَاتِهَا * فَآنِفِ الْبَلَابِلِ بِاحْتِسَاءٍ بَلَابِلِ

فَالْأَوَّلُ جَمْعُ بُلْبُلٍ ، وَالثَّانِي جَمْعُ بَلْبَلَةٍ وَهِيَ الْهَمَّ [وَالثَّلَاثُ جَمْعُ بُلْبُلَةٍ الْإِبْرِيْقُ] ^(١)

وقول الزمخشري :

وَأَتَّحَرْنِي دَهْرِي وَقَدَّمْ مَعْشَرًا * لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَأَعْلَمُ ^(٢)
فَهَذَا أَفْلَحُ الْجُهَّالِ أَعْلَمُ أَنَّنِي * أَنَا الْمِيمُ وَالْأَيَّامُ أَفْلَحُ أَعْلَمُ ^(٣) ^(٤)

١٥

(١) التَّكَلُّمَةُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ ، وَتَمَامُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا . وَالَّذِي فِي كِتَابِ الْلُغَةِ : أَنَّ الْبَلْبَلَةَ بَضْمُ الْبَاءِ يَنْ سَكُونِ اللَّامِ بَيْنَهُمَا : كَوَزْفِيهِ بَلْبَلٍ إِلَى جَنْبِ رَأْسِهِ .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَالَّذِي فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ ص ٣٥ ط الْوَهَابِيَّةُ : « عَلَى أَنَّهُمْ » ؛ وَكَلَّمَا الرُّوَايَتَيْنِ تَوَدَّى مَعْنَى صَحِيحًا .

٢٠

(٣) فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ : « أَتَيَقَّنْتُ » ؛ وَلَا شَاهِدَ فِيهِ عَلَى هَذِهِ الرُّوَايَةِ .

(٤) الْأَفْلَحُ : الْمَشْقُوقُ الشَّفَّةِ السُّفْلَى . وَالْأَعْلَمُ : الْمَشْقُوقُ الشَّفَّةِ الْعُلْيَا ، يُرِيدُ تَشْبِيهَ الْأَيَّامِ فِي جَهْلِ قَدَرِهِ بِالْأَفْلَحِ الْأَعْلَمِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ النُّطْقَ بِالْمِيمِ .

أو معنى لا صورة، كقول امرئ القيس :

إذا المرء لم يَخْزُنْ عليه لسانه * فليس على شيء سواه بخزان

وقول أبي تمام :

دَمَنَ أَلَمَ بِهَا فقال سلام * كم حلَّ عُقْدَةَ صبره الإمام

وقول أبي فراس :

وما إن شبتُ من كِبَرٍ ولكن * لَقِيتُ من الأُحْبَةِ ما أشابا،

أو في الاشتقاق فقط، كقول أبي فراس :

مَنْحَنَاهَا الْحَرَابُ غَيْرَ أَنَا * إِذَا جُرْنَا مَنْحَنَاهَا الْحَرَابَا،^(١)

الثالث : أن يقع في آخر المِصرَع الأول وعَجْزِ الثاني، إما متفقين صورةً

ومعنى كقول أبي تمام :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما * فما زِلْتَ بالبيض القواضب مُغرما،

أو صورةً لا معنى، كقول الحريري :

فمُشْغوف بآيات المثاني * ومفتون برنات المثاني،

أو معنى لا صورة، كقول البحتري :

ففعَلْكَ إن سَأَلْتَ لنا مطيع * وقولُكَ إن سَأَلْتَ لنا مطاع،

الرابع : أن يقع في أول المِصرَع الثاني والعَجْز، إما متفقين صورةً ومعنى^(٢)

كقول الحماسي :

(١) واحدة حربية، وهو المال الذي يعاش به، أو هو المال المملوك، يريد : رددنا عليها ما سلبته

فرساننا من أموالها فيما سلف .

(٢) في الأصل : « يتفقا » ؛ وما اثبتناه عن حسن التوصل، وهو أنسب ليوافق ما قبله .

فَإِلَّا يَكُنْ إِلَّا مُعَلِّ^(١) سَاعَةٍ * قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

أو صورةً لا معنى، كقول أبي دؤاد :

عَهِدْتُ لَهَا مَنَزِلًا دَاثِرًا * وَآلًا عَلَى الْمَاءِ يَجْمَلْنَ آلَا^(٢)

فَالْأَوَّلُ الْإِتْبَاعُ، وَالثَّانِي أَعْمَدَةُ الْخِيَامِ، وَكَقَوْلِ آخَرَ^(٣) :

رَمَاكَ زَمَانُ السُّوءِ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَى * فَرَامِي وَلَمْ يَظْفَرْ بِمَا هُوَ رَامَا

أو معنى لا صورةً، كقول أبي تمام :

ثَوَى فِي الثَّرَى مَنْ كَانَ يَحْيَا بِهِ الثَّرَى * وَيَغْمُرُ صَرْفَ الدَّهْرِ نَائِلُهُ الْغَمْرُ^(٤)

وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْبَوَاتِرُ فِي الْوَغَى * بَوَاتِرُ فَهِيَ الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ

قال : ومن نوادر هذا الباب بيتا الحريري اللذان سَمَّاهُمَا الْمَطْرَفَيْنِ، وهما :

سَمِّ سِمَةً تَحْسُنُ آثَارَهَا * وَأَشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سَمِّسِمَهُ
وَالْمَكْرُمَهُمَا أَسْطَعَتْ لَا تَأْتِي * لَتَبْتَغَى السُّودَدَ وَالْمَكْرُمَةَ.

قال : فإن لم يقع في العَجْزِ فليس من هذا الباب، كقوله :

وَنَبَتْهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ * وَلِلَّؤْمِ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ

(١) في ديوان الحماسة ج ٢ ص ١٣٥ ط التوفيق : « معرّج » بفتح الراء المهملة مع التشديد

والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) في اللسان مادة أول : « عرفت » وكلاهما يستقيم به المعنى . ودائر كدارس وزنا ومعنى ،

والأخيرة رواية اللسان . (٣) فسرى في اللسان آ لآل الأول بأنه عيدان الخيمة ، والثاني بأنه الشخص .

(٤) كذا في الأصل وديوان أبي تمام ص ٣٣١ ط الأدبية بيروت . والذي في حسن التوسل :

* وَيَأْمَنُ صَرْفَ الدَّهْرِ جَاهِلَهُ الْغَمْرُ * ومؤدى الروايتين مختلف . والغمر بفتح الغين

على رواية الأصل والديوان : الكثير . وبالضم على رواية حسن التوسل : من لا خير فيه ولا غناء عنده

وكتول الأفوه الأودي :

وأقطع الموجل مستانسا * بهوجل عيرانية عنتريس^(١)

فالموجل الأول : الفلاة ، والثاني : الناقة السريعة .

وأما الإعنات — ويقال له التضييق والتشديد ولزوم ما لا يلزم — فهو أن يعنيت نفسه في التزم ردفي أو دخيل أو حرف مخصوص قبل حرف الروى ، أو حركة مخصوصة ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم بك أحاول ، وبك أصاول » وقوله عليه الصلاة والسلام « شر ما في المرء شئ هالع ، أو جبن خالع »^(٢) وقوله عليه الصلاة والسلام : « زُرْ غَبَاً تزدد حباً » وقول عمر رضى الله عنه : لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً ، وقول المعزى :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
يخطمنا صرف الزمان كأننا * زجاج ولكن لا يعادله السبك
وقول آخر :

يقولون في البستان للعين لذة * وفي الخمر والماء الذى غير آسن
إذا شئت أن تلقى المحاسن كلها * فنى وجه من تهوى جميع المحاسن
وقد ألزم ابن الرومى الفتح قبل حرف الروى — وكان أولع الناس بذلك — فقال :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد

(١) العيرانية من النياق : الناجية فى نشاط . والعنتريس : الغليظة الوثيقة .

(٢) قال فى النهاية مادة خلع فى تفسير هذه الكلمة : أى شديد ، كأنه يخلع فواده من شدة خوفه .

وإلا فما يُبْكِيه فيها وإنَّها ^(١) * لَأَوْسَعُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدَ
إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا أَسْتَهْلَّ كَأَنَّهُ * بِمَا سِيلَاقِي مِنْ أَذَاهَا يَهْدَدُ
وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الشَّعْرِ كَثِيرَةٌ .

وأما المذهب الكلامي — فهو إيراد حجةٍ للطلوب على طريقة أهل الكلام
نحو قوله عز وجل : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ومنه قولُ النابغةِ يعتذر
إلى النعمان :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ربيبةً * وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبٌ
لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عني جنايةً * لمبْلَغُك الوأشى أغش وأكذبُ
ولكنني كنتُ امرءاً لى جانبٍ * من الأرض فيه مُستَراد ومذهبُ
ملوك وإخوان إذا ما مدحُهم * أحكم في أموالهم وأقربُ
كفعلك في قوم أراك أصطنعتهم * فلم ترهم في مدحهم لك أذنبوا

يقول : أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك، وأنا أحسن إلى قوم فمدحتهم، فكما
أن مدح من أحسنت إليه لا يُعدّ ذنباً فكذا مدح من أحسن إلى لا يُعدّ ذنباً .
قال ابن أبي الإصبع ، ومن شواهد هذا الباب قولُ الفرزدق :

لكلِّ امرئٍ نفسانِ نفسٌ كريمةٌ * ونفسٌ يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسُك من نفسك تشفعُ للندي * إذا قلَّ من أحرارهنَّ شفيعها

يقول : لكلِّ إنسانِ نفسانِ : نفسٌ مطمئنةٌ تأمره بالخير، ونفسٌ أمارةٌ تأمره
بالشرِّ، والإنسان يعاصي الأمانة مرةً ويطيعها أخرى، وأنت إذا أمرتك الأمانة

بترك الندى شفعت المطمئنة إليها في الندى في الحالة التي يقل فيها الشفيع في الندى
من النفوس، فأنت أكرم الناس .

وأما حسن التعليل — فهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف
وهو أربعة أضرب : لأن الصفة إما ثابتة قصد بيان علتها، أو غير ثابتة أريد إثباتها
فالأولى إما لا يظهر لها في العادة علة، كقوله :

لم يحك نائك السحاب وإنما * حمت به فصبيها الرخصاء^(١)

أو يظهر لها علة، كقوله :

ما به قتل أعاديهِ ولكن * يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب^(٢)
فإن قتل الأعداء في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره .

والثانية إما ممكنة^(٣)، كقوله :

يا واشيا حسنت فينا إساءته * نجي حذارك إنساني من الغرق^(٤)
فإن استحسان إساءة الواشي ممكن، لكن لما خالف الناس فيه عقبه بما ذكره .
أو غير ممكنة، كقوله :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته * لما أتت وعليها عقد متطق^(٥) .

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي؛ والرحضاء بضم الراء وفتح الحاء المهملة : العرق أثر الحمى .

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي كسابقه؛ انظر معاهد التنصيص ص ٣٥٨ ط بولاق .

(٣) في الأصل : «بركة» وهو تحريف، ولا معنى له .

(٤) في الأصل : «جدواك» وهو تحريف؛ والتصويب عن معاهد التنصيص ص ٣٥٩، والبيت

لمسلم بن الوليد .

(٥) في معاهد التنصيص ص ٣٦٧ ط بولاق أن هذا البيت مترجم من الفارسية ولم يسم قائله .

قال : وألحق به ما بُنى على الشك ، كقول أبي تمام :

رُبَّ شَفَعْتَ رِيحَ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا * إِلَى الْمُنْزَنِ حَتَّى جَادَهَا وَهُوَ هَامِعٌ
كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبَتْهَا * حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لِمَنْ مَدَامِعُ

وقد أحسن ابن رشيق في قوله :

سَأَلْتُ الْأَرْضَ لِمَ كَانَتْ مَصْلًى * وَلِمَ كَانَتْ لَنَا طَهْرًا وَطِيبًا
فَقَالَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ لِأَنِّي * حَوَيْتُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَبِيبًا.

وأما الالتفات — فقد فسره قدامة بأن قال : هو أن يكون المتكلم أخذًا
في معنى فيعترضه إما شك فيه وإما ظن أن رادًا يردّه عليه ، أو سائلًا له عن سببه
فيلتفت إليه بعد فراغه منه ، فإما أن يُجَلَّى الشك ، أو يؤكّده ، أو يذكر سببه ، كقول
الرمّاح بن ميادة :

فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو فَنَى الْيَأْسِ رَاحَةً * وَلَا وَصْلُهُ يَصِفُو لَنَا فَنَكَارْمُهُ

كأنه توهم أن فلانا يقول : ما تصنع بصرمه ؟ فقال : لأن في اليأس راحة .
وأما ابن المعتز فقال : الالتفات أنصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة ، ومثاله
في القرآن العزيز الإخبار بأن الحمد لله رب العالمين ، [ثم قال] : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴾ ومثاله في الشعر قول جرير :

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ ^(٣) * سُقِيتِ الْغَيْثُ أَيَّتَهَا الْخِيَامُ ؛

(١) عبارة قدامة : « أن يكون الشاعر » ، كما في كتابه نقد الشعر ص ٥٣ ط الجواثب ؛

وما هنا أعم .

(٢) التكملة عن حسن التوسل ص ٥٦ ط الوهاية .

(٣) ذو طلوح : موضع في حزن بنى يربوع بين الكوفة وفيد .

أو أنصرف المتكلم عن المخاطبة [إلى الإخبار] ^(١)، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ فِيهِمْ يَرِيحٌ طَبِئَةً﴾ ومثال ذلك في الشعر قول عنتره:
ولقد نزلت فلا تظني غيرة * متى بمنزلة المحب المكرم
ثم قال مخبراً عنها:

كيف المزار وقد تربع أهلها * بعنيزتين ^(٢) وأهلنا بالغيلم؛

أو أنصرف المتكلم من الإخبار إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَاهُ﴾؛

أو أنصرف المتكلم من التكلم إلى الإخبار، كقوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُذِهِبْكُمْ
وَنَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَهَٰذَا ذِكْرٌ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ وقد جمع أمرؤ القيس الالتفاتات
الثلاثة في ثلاثة أبيات متواليات، وهي قوله:

تطاول ليألك بالإثم ^(٤) * ونام الخلى ولم ترق ^(٥)
وبات وبات له ليلة * كليلة ذى العائر الأرمد
وذلك من نبي جاءني * وخبرته عن أبي الأسود

(١) الزيادة عن حسن التوسل . وصحة العبارة تقتضى إثباتها .

(٢) عنيزتين تشية عنيزة ، ودو بعناء : موضع بين البصرة ومكة ، أودو من أودية اليمامة ؛ والغيلم : موضع ذكره ياقوت ولم يعينه .

(٣) كذا وردت هذه الآية بالنون في الكلمات الثلاث في خزنة الأدب للحموى ص ٧٤ ط بولاق وعليه يستقيم التمثيل ، وقال الحموى بعد إيراد الآية : « والقراءة في الكلمات الثلاث بالنون شاذة نقلها صاحب البحر الزاخر » . والذي في الأصل وحسن التوسل وشرح الباعونية : « إن يشأ يذهبكم ويأت » بالياء المثناة في الكلمات الثلاث ؛ والتمثيل بها على هذه القراءة غير مستقيم .

(٤) الإثم : موضع ذكره ياقوت في معجمه ولم يعينه .

(٥) العائر : كل ما أعل العين ، أو هو بئر في الجفن الأسفل منها .

يخاطب في البيت الأول ، وأنصرف إلى الإخبار في البيت الثاني ، وأنصرف
عن الإخبار إلى التكلم في البيت الثالث على الترتيب .

وأما التمام — وهو الذي سماه الحاتمي التتميم ، وسماه ابن المعتز اعتراض
كلام في كلام لم يتم معناه ، ثم يعود المتكلم فيتممه ، وشرح حده بأنه الكلمة التي إذا
طُرحت من الكلام نقص حسن معناه ومبالغته ، مع أن لفظه يوهم بأنه تام ، وهو
على ضربين : ضرب في المعاني وضرب في الألفاظ ، فالذي في المعاني هو نتميم المعنى
والذي في الألفاظ هو نتميم الأوزان ، والأول هو الذي قُدم حده ، ومثاله قوله تعالى :
(مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً) فقوله تعالى : (مَنْ
ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي) [نتميم ، وقوله : (وَهُوَ مُؤْمِنٌ)] نتميم ثان في غاية البلاغة ، ومن هذا القسم
قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة
من غير الفريضة إلا آتيتني الله له بيتا في الجنة » فوقع التتميم في هذا الحديث في ثلاثة
مواضع : قوله عليه السلام : مسلم ، والله ، ومن غير الفريضة ، ومن أناشيد قدامة على
هذا القسم قول الشاعر :
(٢)

أناس إذا لم يُقْبَلِ الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب .
(٣)

وأما الذي في الألفاظ فهو الذي يُؤتى به لإقامة الوزن بحيث لو طُرحت الكلمة
أستقل معنى البيت بدونها ، وهو على ضربين : أحدهما مجيء الكلمة لا تنفيد غير إقامة

(١) التكملة عن حسن التوسل . واستقامة الكلام تقتضيها .

(٢) هو نافع بن خليفة الغنوي ؛ انظر نقد الشعر لقدامة ص ٩٤ ط الجوائب .

(٣) كذا في الأصل وحسن التوسل بالبدال المهملة . وفي نقد الشعر لقدامة : « عاذوا » بالذال

الوزن فقط، والثاني : مجيئها تفيد مع إقامة الوزن نوعاً من الحسن ، فالأول من العيوب
والثاني من المحاسن ؛ قال : والكلام هنا في الثاني ، ومثاله قول المتنبي :

وُخْفِقَ قَلْبٌ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبِهِ * يَا جَنَّتِي لظَنَنْتِ فِيهِ جَهَنَّمَ

فإنه جاء بقوله يا جنتي لإقامة الوزن ، وقصد بها دون غيرها مما يسد مسدّها أن
يكون بينها وبين قافية البيت مطابقةً لا تحصل غيرها .

وأما الاستطراد — وهذه التسمية ذكر الحاتمي في حلية المحاضرة أنه نقلها عن
البحري ، وقيل : أن البحري نقلها عن أبي تمام ، وسماه ابن المعتز : الخروج من
معنى إلى معنى ، وفسره بأن قال : هو أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق
التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمن مدحاً أو قدحاً
أو وصفاماً ، وغالب وقوعه في الهجاء ، ولا بد من [ذكر ^(١)] المستطرد به باسمه بشرط أن
لا يكون تقدّم له ذكر .

فمن أقول ما ورد في ذلك من النظم قول السموءل بن عدياء :
وإنا لقوم ما نرى القتل سبةً * إذا ما رأته عامر وسلول
ومنه قول حسان :

إن كنت كاذبة الذي حدّثتني * فنجوت منجا الحارث بن هشام
ترك الأحبة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولحام ^(٣)

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٢) في الأصل : « فمن أوتها » والسياق يقتضي حذف الهاء .

(٣) الطمرة من الأفراس : المستعدة للعدو . وقد أشار حسان في هذين البيتين إلى فرار الحارث

ابن هشام بن المغيرة يوم بدر : انظر سيرة ابن هشام وغيرها من كتب السيرة .

(١) وقول أبي تمام في وصف حافر الفرس بالصلابة :

(٢) أيقنت إن لم تثبت أنت حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول ابن الزمكدم أربعة استطرادات متواليّة :

(٣) وليلى كوجه البرقيدي ظلمة * وبرد أغانيه وطول قروبه

(٤) سرّيت ونومي فيه نوم مشرد * كعقل سايان بن فهد ودينه

(٥) على أولق فيه ألتفات كأنه * أبو صالح في خطبه وجنونه

(٦) إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وقول البحتري في الفرس أيضا :

ما إن يعاف قدي ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الأحول

ومما جمع المدح والهجاء قول بكر بن النطاح :

فتى شقيت أمواله بنواله * كما شقيت بكر بأرماع تغلب



(١) في الأصل : « جاء في الفرس » وما أثبتناه عن حسن التوسل وهو أنسب بقوله بعد : « بالصلابة » .

(٢) في الأصل : « انقبت » بالناء الموحدة بعدها ياء مثناة ، وهو تصحيف . وتدمر : مدينة قائمة في بركة الشام بينها وبين حلب خمسة أيام يا قوت . ويريد بعثمان المذكور في البيت : عثمان بن إدريس المسمى ؛ انظر ديوان أبي تمام ص ٢٠١ ط الوهبة .

(٣) البرقيدي : نسبة إلى برقعيد ، وهي بلدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين .

(٤) في الأصل : « وهب » وهو تحريف ؛ والتصويب عن معجم يا قوت ج ١ ص ٥٧٢ ط المحروسة بمدينة غتغنه والوافي بالوفيات للصفدي .

(٥) في الأصل : « أوقل » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في المعجم ، والأولق : الجنون ، يريد :

على فرس ذي أولق . (٦) كذا في الأصل . ولعله يريد وصف الفرس بأنه يلتفت في سيره يمنة ويسرة فلا يستقيم في وجهة واحدة ، بل يخبط في سيره كما يدل عليه عجز البيت . وفي معجم البلدان : « الهباب » ؛ والهباب بكسر الهاء : النشاط والسرعة . (٧) في معجم يا قوت : « أبو جابر » . (٨) هو قرواش بن مقلد أمير بني عقيل .

(١) ومما جاء به على وجه المجون قول بعضهم :

إِكْشَفِي وَجْهَكَ الَّذِي أَوْحَلْتَنِي * فِيهِ مِنْ قَبْلِ كَشْفِهِ عَيْنَاكَ
غَلَطِي فِي هَوَاكَ يَشْبَهُ عِنْدِي * غَلَطِي فِي أَبِي عَلِيٍّ بْنِ زَاكِي

(٢) ومما جاء في النسيب على وجه التشبيه قول امرئ القيس :
عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعَلَّنَا * نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حَمَامٍ .

وأما تأكيد المدح بما يشبه الذم — فهو ضربان : أحدهما أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها ، نحو قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ فالتأكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشيء ببيئته ، وأن الأصل في الاستثناء الاتصال ، فذكر أداته قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج الشيء مما قبلها ، فإذا وإيها صفة مدح جاء التأكيد .

والثاني : أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيِّدٌ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ » وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضا أن يكون منقطعا ، لكنته باق على حاله لم يقدر

(١) به ، أى بالاستطراد . وعبرة حسن التوسل : « ومما جاء على وجه » الخ .

(٢) في الأصل : « التشبيه » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا في الأصل وحسن التوسل ، والذي في شرح ديوان امرئ القيس للوزير أبي بكر عاصم ابن أيوب ص ١٤٤ ط الخيرية : « لأننا » بهمز بعده نون ، وهي لغة في « لعننا » حكى الخليل : أن بعض العرب يقول : إيت السوق أنك تشتري لنا سويقا ، أى لعنك . وابن حمام : شاعر يقال له : امرؤ القيس أيضا كما في الشرح ؛ ولم تقف على ضبطه ؛ ورواية الديوان « ابن حزام » بالذال المعجمة ، ولم يسمه شارحه الوزير أبو بكر المتقدم ؛ وروى أبو عبيدة : « ابن حزام » بالحاء المهملة والزاي المعجمة ؛ وليس هو عروة بن حزام العذري كما يتوهم . (٤) في الأصل : « أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم » والصواب العكس كما يقتضيه التثليل .

متصلا فلا يفيد التأكيّد إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين، ولهذا كان الأول أفضل .

ومن أمثلة الأول قول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم * بهنّ فلول من قراع الكتائب

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول حاتم الطائي :

ولا تستكيني جارتى غير أنى * إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها

ومن الثاني قول النابغة الجعدي :

فتى كلّ أخلاقه غير أنه * جواد فما بقي من المال باقيا

ومن أحسن ما ورد في هذا الباب قول بعضهم :

ولا عيب فينا غير أنّ سمّا حنا * أضربنا والبأس من كلّ جانب^(٢)

فأفنى الردى أعمارنا غير ظالم * وأفنى الندى أموالا غير عاتب.

وأما تأكيد الذم بما يشبه المدح - فهو ضربان :

أحدهما أن يُستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها كقولك : فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من أحسن إليه .

والثاني : أن تُثبت للشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليه صفة ذم له أخرى كقولك : فلان فاسق إلا أنه جاهل ، وتحقيق القول فيها على قياس ما تقدّم .

(١) هو أبو هذان . انظر معاهد التنصيص ص ٣٨٩ ط بولاق .

(٢) في الأصل وحسن التوسل ص ٥٨ ط الوهابية : « والناس » بالنون ، وهو تحريف ؛

والتصويب عن معاهد التنصيص . وصدر البيت الثاني يدل عليه أيضا .

(٣) في الأصل : « لا يسيء » ؛ وصحة التمثيل تقتضى حذف اللام .

وأما تجاهل العارف — فهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه
ليُخرج كلامه مُخَرَج المدح أو الذم، أو ليدلّ على شدة التدلّ في الحب، أو لقصد
التعجب أو التوبيخ أو التقرير؛ وقال السكاكي: هو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة^(١)
كالتوبيخ، كما في قول الخارجية وهي ليلي بنت طريف:

أيا شجر الخابور مالك مُورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف^(٢)

والمبالغة في المدح، كقول البحتري:

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح * أم آبتسامتها بالمنظر الضاحي

أو الذم، كما قال زهير:

وما أدري ولست إخال أدري^(٣) * أقوم آل حصن أم نساء

أو التدلّ في الحب، كقوله:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاي منكّن أم ليلى من البشر^(٤)

وقول البحتري:

بدا فراع فؤادي حسن صورته * فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك.

(١) في الأصل: «لكنه»؛ وهو تحريف.

(٢) الخابور: نهر كبير، بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة ولاية واسعة وبلدان جمة غلب
عليها اسمه فنسبت إليه، وأصل هذا النهر من العيون التي برأس عين، وينضاف إليه فاضل الهرماس ومد
وهو نهر نصيبين فيصير نهرا كبيرا انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٣ ط جوتجن.

(٣) في معاهد التنصيص ص ١٧ ط بولاق: «وسوف» والبيت يستقيم على كلتا الروايتين.

(٤) نسب هذا البيت الى ذى الرمة والمجنون والعرجي، وأكثرهم على أنه لا خير؛ انظر معاهد

وأما الهزل الذى يراد به الجِدُّ — فهو أن يقصد المتكلم ذمَّ إنسان أو مدحه فيُخرج ذلك مُخَرَجَ المَجُونِ، كقول الشاعر ^(١) :
إذا ما تيمى أذاك مُفْخِراً * فقلَّ عَدَّ عن ذا كيف أكلك لاضبَّ.

وأما الكنايات — فهى أن يُعَبِّرَ المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن الفاحش بالطاهر ، وقد تقدَّم الكلام على ذلك فى باب الكناية والتعريض وهو الباب الرابع من القسم الثانى من هذا الفن ، وهو فى السَّفر الثالث من كتابنا هذا .
وأما المبالغة — وتسمى التبليغ والإفراط فى الصفة — فقد حدَّها قدامةُ بأن قال : هى أن يذكر المتكلم حالاً من الأحوال أو وقفاً عندها لأجراً فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره ما يكون أبلغ فى معنى قصده ، كقول عُمر بن كَريم ^(٢) التغلبى :
ونُكْرِم جَارنا ما دام فينا * ونُتَبِّعه الكرامة حيث مالا

ومن أمثلة المبالغة المقبولة قولُ امرئ القيس يصف فرساً :

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثُورٍ وَنَعِجَةٍ * دِرَاكًا وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فُيْغَسَلِ ^(٣)

يقول : إنه أدرك ثورا وبقرة فى مضمار واحد ولم يعرق .

وقولُ المتنبي :

وَأَصْرَعَ أَىَّ الْوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ * وَأَنْزَلَ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبَ

(١) هو أبو نواس ، والبيت من قصيدة يهجو بها تميا وأسدا ويفتخر بقحطان ؛ انظر معاهد التنصيص ص ١٣ ط بولاق .

(٢) كذا ورد هذا الاسم فى الأصل وحسن التوصل ص ٥٩ وخزانة الأدب للحموى ص ٢٧٩ ط بولاق . والذى فى معاهد التنصيص ص ٣٤٤ ط بولاق عمرو بن الأَهم . قال : ولم أفف على ترجمة

ابن الأَهم التغلبى قائل البيت . وفى الصناعاتين لأبى هلال العسكري ص ٢٨٨ ط الأستانة : عميرة ابن الأَهم ، ولم نقف فيما بين أيدينا من المراجع على ما يرجح إحدى هذه الروايات الثلاث .

ولا يعاب في المبالغة إلا ما خرج عن حد الإمكان، كقوله :
وأخفت أهل الشرك حتى إنه * لتخافك النطف التي لم تُخلق^(١)

وأما إذا كان كقول قيس بن الخطيم :
طعنت ابن عبد القيس طعنة نائر * لما نعد لولا الشعاع أضاءها
ملكته بها كفى فأنهت فتقها^(٢) * يرى قائما من دونها ما وراءها

فإن ذلك من جيد المبالغة إذ لم يكن قد خرج فخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ
النهاية في وصف الطعنة، ومن أحسن ذلك وأبلغه قول أحد شعراء الحماسة :
رهن يدي بالعجز عن شكر بره * وما بعد شكرى للشكور مزيد^(٣)
ولو كان مما استطاع استطعته * ولكن ما لا استطاع شديد.

وأما عتاب المرء نفسه - فهو من أفراد ابن المعتز، ولم ينشد عليه سوى
بيتين ذكر أن الآمدى^(٤) أنشدهما عن الجاحظ وهما :

عصاني قومي في الرشاد الذي به * أمرت ومن يعص المجرب يندم
فصبرا بنى بكر على الموت إننى * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

قال : ولا يصلح أن يكون شاهدا لهذا الباب إلا قول أحد شعراء الحماسة :
أقول لنفسي في الخلاء ألومها * لك الويل ما هذا التجلد والصبر

(١) البيت لأبي نواس من قصيدة يمدح بها الرشيد انظر معاهد التنصيص ص ٣٤٥ ط بولاق .

(٢) أنهرت : وسعت .

(٣) في الحماسة : « وما فوق » ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) كذا في الأصل وحسن التوصل . والذي في تحرير النجيب لابن أبي الإصبع المحفوظ منه

نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلاغة وخزانة الأدب للحموى ص ١٨٠ ط بولاق :

« الأسدى » ولم نقف فيما بين أيدينا من المظان على ما يرجح إحدى الروايتين .

وقول الآخر :

فَقَدْتُكَ مِنْ نَفْسِ شَعَائٍ فَإِنِّي ^(١) * نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ

٤٨

وما ناسب ذلك من الأمثلة .

وأما حُسن التضمين — فهو أن يضمّن المتكلم كلامه كلمةً من آية
أو حديث أو مثلٍ سائر أو بيت شعر ؛

ومن إنشادات ابن المعتز عليه :

عَوَّذَ لَمَّا بَتَّ ضَيْفًا لَهُ * أَقْرَاصَهُ مَنَى بِبَاسِينِ

فَبِتُّ وَالْأَرْضَ فَرَاشِي وَقَدْ * غَنَّتْ قِفَا نَبْكِ مَصَارِينِي

فَضَمَّنَ بَيْتَهُ الْأَوَّلَ كَلِمَةً مِنَ السُّورَةِ بِتَوَطُّةٍ حَسَنَةٍ ، وَبَيْتَهُ الثَّانِي مَطْلَعَ قَصِيدَةِ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ .

ومما ضَمَّنَ معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم قول الآخر :

وَأَخِ ^(٢) مَسَّهِ نَزُولِي بِقَرْحٍ * مِثْلَمَا مَسَّنِي مِنَ الْجُوعِ قَرْحُ

بِتُّ ضَيْفًا لَهُ كَمَا حَكَمَ الدَّهْرُ * وَفِي حَكْمِهِ عَلَى الْحَرْقِ قَبْحُ

قَالَ لِي مَذْنُوزْتُ وَهُوَ مِنَ السَّكْرَةِ بِالْهَمْ طَاغٍ لَيْسَ بِصَحْوٍ :

لَمْ تَغْتَرِبْتَ؟ قُلْتُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ * وَالْقَوْلُ مِنْهُ نُصْحٌ وَنُجْحٌ :

« سَافِرُوا تَغْنَمُوا » فَقَالَ : وَقَدْ قَالَ تَمَامَ الْحَدِيثِ : « صُومُوا تَصْحُوا »

وَمِنْ تَضْمِينِ الشَّعْرِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَقَفْنَا بِأَنْضَاءِ حَكَّتْنَا ^(٣) لَوَاغِبٍ * « عَلَى مِثْلِهِمَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاغِبٍ »

وَهُوَ مَطْلَعُ قَصِيدَةِ الْأَبِيِّ تَمَامٍ ،

(١) الشعاع من النفوس : ما تفرقت همومها . والجميع : المجتمعة . (٢) في الأصل : « داح »

وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل . (٣) في الأصل : « حكيننا » بالياء المثناة التحتية ،

وفي حسن التوسل . « حنيننا » بنون موحدة بعدها ياء مثناة ، وهو تحريف في كليهما .

ومنه قول الغزّي :

طُولُ حياة ما لها طائل * نَخَصَ عندي كُلُّ ما يُشْتَمَى
أصبحتُ مثلَ الطفل في ضعفه * تشابهَ المبدأ والمنتى
فلا تلم سمعى إذا خانى * « إن الثمانين وبلغتها »

٥ المراد من التضمين هاهنا تمام البيت : * قد أحوجت سمعى إلى ترجحان *
وإنما تركه لأن أول البيت يدلّ عليه لأشتهاره، وهذا قد أكثر المتأخرون من استعماله
في أشعارهم، وضمنوا البيت الكامل بعد التوطئة له .

وأما التلميح — وهو من التضمين، وإنما بعضهم أفرده — فهو أن يشير
في فحوى الكلام إلى مثلٍ سائر، أو بيت مشهور، أو قضية معروفة من غير أن يذكره،
١٠ كقول الشاعر :

المستغيثُ بعمره عند كُرْبته * كالمستغيث من الرمضاء بالنار

أشار إلى قضية كليب حين استغاث بعمره بن الحارث ، ومنهم من يسمّى ذلك
أقتباسا، وإيراد المثل كما هو تضمينا .

وأما إرسال المثل — فهو كقول أبي فراس :

١٥ تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن يخطب العلياء لم يغليه المهر^(١)
وكقول المتنبي :

تُبكيّ عليهنّ البطاريق في الدجى * وهنّ لدينا مُلقيات كواسد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد .

٢٠ (١) لم يغله المهر : أى أن مهرها لم يجعل من يخطبها غالبا عليها ، يريد أن مهرها نفس خاطبها
وفي حسن التوسل وغيره : « لم يغلقها » بتأنيث الضمير ، والمعنى عليه أن المهر الذى يدفع لها لا يصيرها
غالية عليه أيا كان نوعه وقيمه .

وأما إرسال مثلين — فهو الجمع بين مثلين ، كقول أبيد :

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل * وكلُّ نعيم لا محالة زائل

وابيات زهير بن أبي سلمى التي فيها ومن ومن ، وقد تقدّم ذكر ذلك مستوفى في باب الأمثال ، وهو الباب الأول من القسم الثاني من هذا الفن ، وهو في السفر الثالث .

وأما الكلام الجامع — فهو أن يكون البيت كله جارياً مجرى مثل واحد

كقول زهير :

ومن يك ذا فضلٍ ويخجلُ بفضله * على قومه يُستغنى عنه ويُدّم

ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يُضرس بأنياب ويوطأ بمنسِم^(١)

ومهما تكن عند امرئ من خَلِقة * وإن خالها تخفى على الناس تُعالم

وكقول أبي فراس :

إذا كان غيرُ الله في عُدّة الفتي * أُنْتَه الرزايا من وجوه الفوائد

وكقول المتنبي :

وكم من عائب قولاً صحيحاً * وآفته من الفهم السقيم

وقوله :

ومن نكّد الدنيا على الحرّ أن يرى * عدوّ له ما من صداقته بدّ

وقوله :

ومن البليّة عدلٌ من لا يرعوى * عن جهله وخطابٍ من لا يفهم

وقوله :

إنا لفي زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً .

(١) المنسم : خف البعير .

وأما اللَّفّ والنشر — فهو أن يذكُرْ أَشْيْنِ فصاعداً ثم يأتى بتفسير ذلك جملة مع رعاية الترتيب ثقةً بأن السامع يردّ إلى كل واحد منها ما له ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ؛
ومن النظم قولُ الشاعر :

أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي مِنْ وَرْدِ نَعْمَتِهِ * وَوَرْدِ رَاحَتِهِ أَجْنِي وَأَغْتَرِفُ
وقد لا يراعى فيه الترتيبُ ثقةً بأن السامع يردّ كل شيء إلى موضعه سواء تقدّم أو تأخر ، كقول الشاعر :

كَيْفَ أَسْلَوْا أَنْتَ حَقْفٌ وَغَصْنٌ * وَغَزَالٌ لِحْظًا وَقَدْ أَوْرَدَا .
وأما التفسير — وهو قريب منه — فهو أن يذكُرْ لفظاً ويتوهم أنه يحتاج إلى بيانه فيعيده مع التفسير ، كقول أبي مُسَهَّرٍ :

غَيْثٌ وَلَيْثٌ [فَغَيْثٌ] حِينَ تَسْأَلُهُ * عُرْفًا وَلَيْثٌ لَدَى الْهَيْجَاءِ ضِرْغَامُ
ومنه قول الشاعر :

يُحْيِي وَيُرْدِي بِجَدَوَاهِ وَصَارِمِهِ * يُحْيِي الْعُقَاةَ وَيُرْدِي كُلَّ مَنْ حَسَدَا
ومن ذلك أن يذكُرْ معاني ويأتى بأحوالها من غير أن يزيد أو ينقص كقول الفرزدق :

لَقَدْ جِئْتَ قَوْمًا لَوْ لَجَّاتَ إِلَيْهِمْ * طَرِيدَ دَمٍ أَوْ حَامِلًا ثَقُلَ مَغْرَمُ
لَأَلْفَيْتَ فِيهِمْ مَعْطِيًا وَمُطَاعِنًا * وَرَاءَكَ شَزْرًا بِالْوَشِيحِ الْمُقَوَّمِ^(٤)
لكنه لم يراعِ شرط اللَّفّ والنشر

(١) في الأصل : « يرمى تفسير » وفيه نقص وتحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .
(٢) الحقف بالكسر : الرمل المعوج . (٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ بها يستقيم الوزن والمعنى . (٤) أراد بالوشيح الرماح .
(٧-٩)

وقول آخر :

فوا حسرتا حتى متى القلب مَوْجَعٌ * بفقد حبيب أو تعذر إفضال^(١)
فراق حبيب مثله يورث الأسى * وخلة حرّ لا يقوم بها مالى

ومنه قول ابن شرف :

٥ سل عنه وأنطق به وأنظر إليه تجد * ملء المسامع والأفواه والمقل

ومن احسن ما فى هذا الباب قول ابن الرومى :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصباح * تجلو الدجى والأخريات رجوم

وفساد ذلك أن يأتى بإزاء الشئ بما لا يكون مقابلا له ، كقول الشاعر :

١٠ فأيها الحيران فى ظلم الدجى * ومن خاف أن يلقاه بغى من العدا
تعال إليه تلق من نور وجهه * ضياءً ومن كفيه بحرا من الندى

فأتى بالندى بإزاء بغى العدا ، وكان يجب أن يأتى بإزائه بالنصر أو العصمة
أو الوزر وما جانسه ، أو يذكّر فى موضع البغى الفقر والعدم وما جانس ذلك .

وأما التعديد — ويسمى سياقة الأعداد — فهو إيقاع أسماء مفردة على
سياق واحد ، فإن روى فى ذلك آزدواج أو جناس أو تطبيق أو نحو ذلك كان
١٥ غاية فى الحسن ، كقولهم : وضع فى يده زمام الحل والعقد ، والقبول والرد ، والأمير
والنهى ، والبسط والقبض ، والإبرام والنقض ، والإعطاء والمنع ، ومن النظم قول
المتنبى :

الخيّل والليل والبيداء تعرفنى * والضرب والطعن والفرطاس والقلم .

وأما تنسيق الصفات — فهو أن يذكر الشيء بصفات متوالية، كقوله عز وجل: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ”ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يالفون ويؤلفون“؛

ومن النظم قول أبي طالب في النبي صلى الله عليه وسلم :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
وقول المتنبي :

دان بعيد محب مبغض بهج * أغر حلو ممر لين شرس .

وأما الإيهام — ويقال له التورية والتخييل — فهو أن يذكر ألفاظاً لها معانٍ قريبة وبعيدة، فإذا سمعها الإنسان سبق إلى فهمه القريب، ومراد المتكلم البعيد مثاله قول عمر بن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثريا سهيلاً * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت * وسهيل إذا استقل يمانى

فذكر الثريا وسهيلاً ليوهم السامع أنه يريد النجمين، ويقول: كيف يجتمعان والثريا من منازل القمر الشامية، وسهيل من النجوم اليمانية؟ ومراده الثريا التي كان يتغزل بها لما زوجت بسهيل؛ ومن ذلك قول المعترى :

إذا صدق الجملد أفتري العم للفتى * مكارم لا تخفى وإن كذب الحال

فإن وهم السامع يذهب إلى الأقارب، ومراده بالحد : الحظ، وبالعم : الجماعة^(١) من الناس، وبالحال : المخيلة، ومن ذلك قول الحريري في [وصف الإبرة والميل في] المقامة الثامنة :

وقوله أيضا :

يا قوم كم من عاتق^(٢) عانس * ممدوحة الأوصاف في الأنديه
قتلها لا أتقى وارثا * يطلب منى قودا أو ديه
يريد بالعاتق العانس : الخمر، وبقتلها : مرزجها، كما قال حسان :
إن التي عاطيتني فرددتها * قُلت قُلت فهاتها لم تُقتل
وأمثال ذلك كثيرة .

وعند علماء البيان : التخيل تصوير حقيقة الشيء للتعظيم، كقوله تعالى :
﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ والغرض منه
تصوير عظمته والتوقيف^(٣) على كنهه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى
جهة حقيقة أو مجاز، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ” إنما نحن حَفَنَةٌ من
حَفَنَاتِ رَبَّنَا “ قال الزمخشري : ولا يرى باب في علم البيان أدق ولا ألطف من
هذا الباب .

١٥

(١) هذه التكملة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل لاقتضاء المقام إثباتها .

(٢) العاتق : الجارية التي أدركت وبلغت في بيت أبيها فخدرت فيه ولم تتزوج ، سميت بذلك لأنها
عنتت من الصبا ومن خدمة أبويها ولم يملكها زوج بعد ، والجمع عواتق . والعانس التي كبرت في بيت أبيها .
ولم تتزوج .

(٣) كذا في حسن التوسل وغيره . والذي في الأصل : « والتوقف في كنه » وما أثبتناه أظهر
في المراد وأدل على الغرض .

٢٠

وأما حُسن الابتداءات — قال : هذه تسمية ابن المعتز، وأراد بها ابتداءات القصائد، وفتح المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال، وهو أن يأتي الناظم أو الناثِر في ابتداء كلامه بيت أو قرينة تدلّ على مراده في القصيدة أو الرسالة أو مُعظّم مراده، والكاتب أشدّ ضرورةً إلى ذلك من غيره لِيَبْتَنَى كلامه على نَسَق واحد دلّ عليه من أوّل عِلْمٍ بها مقصده، إِمَّا في خُطبة تقليد، أو دعاء كتاب، كما قيل لـكاتب : آكتب إلى الأمير بأن بكرة ولدت حيوانا على شكل الإنسان، فكتب :
أما بعد حمد الله خالق الإنسان في بطون الأنعام

وكقول أبي الطيّب في الصلح الذي وقع بين كافور وبين ابن مولاة :
حَسَمَ الصِّلْحُ مَا أَشْتَهَتْهُ الْأَعَادَى * وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحَسَادِ
وأمثال ذلك . ١٠

قال : وينبغي أن لا يبتدئ بشيء يُتَطَيَّرُ منه، كقول ذي الرقة :

* مَا بِأَلْ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ *

وقول البحترى :

* لَكَ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرِ آخِرُهُ *

وكقول المتنبي : ١٥

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا * وحسبُ المنايا أن يكنّ أمانيا

وكقوله :

مِلْتُ الْقَطْرَ أَعْطَشَهَا رُبُوعًا * وَإِلَّا فَاسَقَهَا السَّمُ النَّقِيعَا^(٢)

(١) كذا في الأصل . وهو غير ظاهر ، والذي يلوح لنا أن في هذه العبارة تقدّما وتأخيرا وزيادة ها، والأصل فيها هكذا : « دل على مقصده من أوّل علم به » أخذنا من عبارة حسن التوسل ص ٦٥ ط الوهابية ، ونصها : « فبني كلامه على نسق يستدل منه على مقصده من أوّل وهلة » .

(٢) المثلث : من اللث ، وهو دوام المطر .

قال : وينبغي أن يراعى في الابتداءات ما يقرب من المعنى إذا لم تثبت له براعة
الاستهلال ، وتسهيل اللفظ وعذوبته وسلاسة ألفاظه ، وقيل : إن أحسن ابتداء
ابتدأت به العرب قول النابغة :

كَلِّني لَهْم يا أُمَيَّة ناصب * وَليلِ أُقاسيه بطيء الكواكب

ومن أحسن ما ابتدأ به مولد قول إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

هل إلى أن تنام عيني سبيل * إنَّ عهدي بالنوم عهد طويل

ويحسن أن يتبدى في المديح بمثل قول أبرون العُماني :

على منبر العلياء جَدُّكَ يَخْطُب ^(١) * وَلِلْبَلَدَةِ العذراء سَيْفُكَ يَخْطُب

وقول المتنبي :

عدوك مَذْمُوم بكلِّ لسان * وإن كان من أعدائك القمَران

وقول التيفاشي :

ما هَزَّ عَظْفِيهِ بين البَيض والأَسَل * مِثْلُ الخليفة عبد المؤمن بن علي

وفي التشبيب كقول أبي تمام :

على مِثْلِها من أَرْبَع ومِلاعِب * أَذِلَّتْ مِصُوناتُ الدموع السواكب

وفي النسب كقول المتنبي :

أَتراها لِكثرة العِشاق * تَحسَبُ الدمع خِلقةً في المآقي

وفي المراثي كقول أبي تمام :

كذا فَلْيَجَلَّ الخطب وَلْيَفدَحِ الأمر * وإيس لعين لم يَفْضِ ماؤُها عذر .

وأما براعة التخايص — فهو أن يكون التشبيب أو النسيب ممزوجا بما بعده من مدح وغيره غير منفصل عنه، كقول مسلم بن الوليد :

أَجِدُّكَ هَلْ تَدْرِيْنَ أَنَّ رَبَّ لَيْلَةٍ * كَأَنَّ دَجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ تُنْشَرُ
نَصَبْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بُغْرَةٌ * كَغُرَّةٍ يَحْيِي حِينَ يُذَكَّرُ جَعْفَرُ

وكقول المتنبي :

نودّعهم والبين فينا كأنه * قنا ابن أبي الهيثاء في قلب فيلق.

وأما براعة الطلب — قال : وهو أن تكون ألفاظ الطلب مقترنة بتمظيم المدوح، كقول أمية بن أبي الصلت :

أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْمَتَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا * كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّاءُ

وكقول المتنبي :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ * سَكَوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخَطَابُ.

وأما براعة المقطع — فهو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعدبا حسنا، لتبقى لذته في الأسماع، كقول أبي تمام :

أَبَقْتُ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَصْفَرَّ كَأَسْمِهِمْ * صُفَرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ

وكقول المتنبي :

وَأُعْطِيتَ الَّذِي لَمْ يُعْطَ خَلْقٌ * عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

وكقول الغزّي :

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ * وَهَذَا دَعَاءٌ لِلْبَرِّيَّةِ شَامِلٌ .

وأما السؤال والجواب — فهو كقول أبي فراس :

لك جسمي تعلّه * فدمي لم تطلّه^(١) ؟

قال إن كنت مالكا * فلي الأمر كله

وأمثال ذلك . وقد أوردنا منه في باب الغزل ما فيه كفاية .

وأما صحة الأقسام — فهو عبارة عن استيفاء أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئا ؛

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ وليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق ، والطمع في المطر ؛

وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ فلم يبق قسما من أقسام الهيئات حتى أتى به ؛

وقوله تعالى : ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يَزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفנית ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت" ولا رابع لهذه الأقسام ؛

ووقف أعرابي على حلقة الحسن البصري فقال : رحم الله من تصدق من فضل ، أو واسى من كفاف ، أو آثر من قوت ؛ فقال الحسن : ما ترك الأعرابي منكم أحدا حتى عمه بالمسألة ؛

ومن أمثلة هذا الباب في الشعر قول بشار :

فراح فريق في الإسار ومثله * قتل ومثل لاذ بالبحر هاربه

(١) في حسن التوسل : «تحله» ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين ، وتطله : من طل دمه إذا

وأصله قول عمرو بن الأهتم :

إشربا ما شربتما فهُذِلُّ * من قَتِيل وهارب وأسير

ومن جيد صحة الأقسام قول الحماسي :

وهبها كشيء لم يكن أو كإزح * به الدار أو من غيَّته المقابر

فاستوفى جميع أقسام المعدوم ؛

وقول أبي تمام في الأفشين لما احترق بالنار :

صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقودَهَا * مِيتًا وَيَدخلُهَا مَعَ الفَجَارِ

ومن قديم ما في ذلك من الشعر قول زهير :

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله * ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمِي

ومن النادر في صحة الأقسام قول عمر بن أبي ربيعة :

تهيم إلى نَعْم فلا الشَّمْلُ جَامِعٌ * ولا الحبل موصول ولا أنت مُقَصِّر

ولا قُرْبُ نَعْمٍ إن دنت لك نافعٌ * ولا بُعْدُهَا يُسَلِّي ولا أنت تصبر.

(٥٣)

وأما التوشيح — فهو أن يكون معنى الكلام يدل على لفظ آخره، فيتنزل

المعنى منزلة الوشاح، ويتنزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشاح اللذين يحول

عليهما الوشاح .

وقال قدامة : هو أن يكون في أول البيت معنى إذا علم علمت منه قافية البيت

بشرط أن يكون المعنى المقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه ، كقول

الراعي التميمي :

(١) كذا ورد هذا التعريف في الأصل وحسن التوصل في النسخة المخطوطة منه المحفوظة بدار الكتب

المصرية تحت رقم ٧٧ أدب ؛ وعبارة قدامة في كتابه نقد الشعر ص ٦٣ ط الجوانب : هو أن يكون

أول البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به حتى أن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع

١-٢ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

(١) فإن وُزن الحصى فوزنت قومي * وجدت حصى ضيريتهم رزينا
 فإن السامع إذا فهم أن الشاعر أراد المفاخرة برزاة الحصى ، وعرف القافية
 والروى ، علم آخر البيت ؛ ومن أمثله ما حكي عن عمر بن أبي ربيعة أنه أنشد عبد الله
 ابن عباس رضي الله عنهما :

* تَشُطُّ غدا دار أحببنا *

فقال له عبد الله :

* وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَعَدُّ *

فقال له عمر : هكذا والله قلت ، فقال له عبد الله : وهكذا يكون .

وأما الإيغال — فمعناه أن المتكلم أو الشاعر إذا انتهى إلى آخر القرينة أو البيت
 ١٠ أستخرج سبعة أو قافية تفيد معنى زائدا على معنى الكلام ، وأصله من أوغل
 في السير إذا بلغ غاية قصده بسرعة .

وفسره قدامة بأن قال : هو أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن
 يأتي بقافيته ، فإذا أراد الإتيان بها أفاد معنى زائدا على معنى البيت ، كقول ذي الرمة :
 قِفِ الْعَيْسَ فِي آثَارِ مَيَّةَ وَاسْأَلِ * رَسُومًا كَأَخْلَاقِ الرِّدَاءِ الْمَسْلُوسِ^(٢)

١٥ فتتم كلامه قبل القافية ، فلما احتاج إليها أفاد بها معنى زائدا ، وكذلك صنع في البيت
 الثاني فقال :

أُظِنُّ الذِي يُجِدِي عَلَيْكَ سَوَالِمًا * دَمُوعًا كَتَبَذِيرَ الْجَمَانِ الْمَفْصَّلِ

فإنه تم كلامه بقوله : كتبذير الجمان ، واحتاج إلى القافية ، فأتى بها تفيد معنى
 زائدا لو لم يؤت بها لم يحصل .

٢٠ (١) الضريبة : السجية والطبيعة ، يصفهم برجاحة الحلم وسكون الطبع .

وحكى عن الأصمعيّ أنه سئل عن أشعر الناس فقال : الذى يأتى إلى المعنى
الحسيس فيجعله بلفظه كثيرا ، وينقضى كلامه قبل القافية ، فإن احتاج إليها أفاد
بها معنى ، فقليل له : نحو من ؟ فقال : نحو الفاتح لأبواب المعانى آمرئ القيس
حيث قال :

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع^(١) الذى لم يثقب
ونحو زهير حيث يقول :

كأن فتات العهن فى كل منزل * نزن به حب الفنا^(٢) لم يحطم
ومن أبلغ ما وقع فى هذا الباب قول الخنساء :

وإن صخرًا لتأتم العفاة^(٣) به * كأنه علم فى رأسه نار

ومنه قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوى :

فأتم بنوا بنته دوننا^(٤) * ونحن بنوا عمه المسلم

ومن أمثلة ذلك من شعر المتأخرين قول الباخرزى :

أنا فى فؤادك فارم طرفك نحوه * ترنى فقلت لها وأين فؤادى

وقول آخر :

تعجبت من ضنى جسمى فقلت لها * على هوائك فقالت عندى الخبر.

(١) الجزع بفتح الجيم وتكسر : الحرز اليمانيّ فيه سواد وبياض تشبه به الأعين .

(٢) ألفنا بالقصر : غلب الثعلب ، الواحد فناة . وفى الأصل : « القنا » بالقاف المثناة ، وهو
تحريف .

(٣) فى رواية : « الهداة » كما فى حسن التوسل وغيره ، ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) فى الأصل : « فنحن بنوا بيته » وهو تحريف لا يستقيم به معنى البيت ، والتصويب عن حسن
التوسل وغيره من كتب الأدب .

وأما الإشارة — فهي أن يشتمل اللفظ القليل على معان كثيرة بإيحاء إليها،
وذكر لحة تدلّ عليها، كقوله تعالى : ﴿ فَأَوْحِ إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحِ ﴾ ، ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ
الْغَيْمِ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ .

وكقول امرئ القيس :

فإن تهلك شَنْوَةٌ^(١) أو تُبَدِّلَ * فسيرى إن في غسان خالا
بعرّهمو عززت وإن يذّلّوا * فذلّهمو أنا لك ما أنا لا

وكقوله أيضا :

فظلّ لما يوم لذيذ بنعمة * فقل في نعيم نحسه متغيّب .

وأما التذييل — وهو ضد الإشارة — فهو إعادة الألفاظ المترادفة على

المعنى الواحد حتى يظهر لمن لم يفهمه ، ويتوكد عند من فهمه ، كقوله :
إذا ما عقدنا له ذمّة * شدّنا العِناج وعقد الكرب^(٢)

وقول آخر :

ودعوا نزالٍ فكنتُ أول نازل * وعلام أركبه إذا لم أنزل

ويقرب منه التكرار، كقول عبيد :

هل لا سألت جموع كـ * سدة يوم ولّوا أين أين؟

(١) يريد أزد شنوءة ؛ قال ياقوت : شنوءة بالفتح ثم الضم وواو ساكنة ثم همزة مفتوحة وهاء :
مخلاف باليمن بينها وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخا ، تنسب إليها قبائل من الأزد يقال لهم : أزد شنوءة .
ثم قال : والنسبة اليهم شنائي ؛ قال ابن السكيت : ربما قالوا أزد شنوءة بالتشديد بغير همزة ، ينسب
اليهم : شنوي .

(٢) العِناج : حبل يشد في أسفل الدلو العظيمة ثم يشد في العراقي . والكرب بالتحريك حبل يشد

وكقول آخر :

وكانت فزارة تصلى بنا * فأولى فزارة أولى فزارا .

وأما التردد — فهو أن تعلق لفظة في البيت بمعنى ، ثم تردّها فيه بعينها

وتعلّقها بمعنى آخر ،

كما قال زهير :

من يلق يوما على علاته هريما * يلقى السباحة منه والندى خلّقا

وكقول آخر :

وأحفظ مالى فى الحقوق وإنه * لجّم وإن الدهر جّم عجائبه

وكقول أبى نواس :

صفراء لا تنزل الأحران ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء .

وأما التفويف — فهو مشتق من الثوب المفوف ، وهو الذى فيه خطوط

بيض ، وهو فى الصناعة عبارة عن إتيان المتكلم بمعانٍ شتى من المدح أو الغزل

أو غير ذلك من الأغراض ، كل فن فى سبعة منفصلة عن أختها مع تساوى الجمل

فى الوزنيّة ، وتكون فى الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة ،

فمثال ما جاء منه فى الجمل الطويلة قول النابغة الذباني :

فلله عينا من رأى أهل قبة * أضرّ لمن عادى وأكثر نافعا

وأعظم أحلاما وأكبر سيّدا * وأفضل مشفوعا إليه وشافعا

ومثال ما جاء منه بالجمل المتوسطة قول أبى الوليد بن زيدون :

تِهَ أحمَلْ ، وآستطلْ أصيرْ ، وعِزَّ أهنْ * وولْ أقبلْ ، وقُلْ أسمعْ ، ومُرْ أطعْ

ومثال ما جاء منه بالجمل القصيرة قول المتنبي :

أقلْ أنلْ أقطعْ أَلْ عِلْ سَلْ أعدْ * زدْ هَشْ بَشْ تَفَضَّلْ أدنْ سرّ صلْ .

وأما التسهيم — فهو مأخوذ من البرد المسهم ، وهو المخطط الذى لا يتفاوت ولا يختلف ، ومنهم من يجعل التسهيم والتوشيح شيئاً واحداً ، ويُشرك بينهما بالتسوية ، والفرق بينهما أن التوشيح لا يدلّك أقوله إلا على القافية فحسب ، والتسهيم تارة يدلّ على عجز البيت ، وتارة على ما دون العجز ؛

- وتعريفه أن يتقدم من الكلام ما يدلّ على ما يتأخر ، تارة بالمعنى ، وتارة باللفظ ،
 ٥ كأبيات جنوب أخت عمرو ذى الكلب ، فإن الحذاق بمعنى الشعر وتأليفه يعلمون أن معنى قولها :

* فأقسم يا عمرو لو نبهاك *

يقتضى أن يكون تمامه :

- ١٠ * إذن نبها منك داءً عضالاً *

دون غيره من القوافي ، كما لو قالت مكان « داء عضالاً » : ليثا غضوبا ، أو أفعى قتولا ، أو سماً وحياً ، أو ما يناسب ذلك ، لأن الداء العضال أبلغ من جميع هذه الأشياء وأشد ، إذ كلٌّ منها يمكن مغالته أو التوقى منه ، والداء العضال لا دواء له ، فهذا مما يُعرف بالمعنى ؛

- ١٥ وأما ما يدلّ فيه الأول على الثانى دلالة لفظية فهو قولها بعده :
 (١)

إذن نبها ليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

فإن الحذاق بصناعة الكلام إذا سمع قولها : « مفيتا مفيدا » تتحقّق أن هذا اللفظ يقتضى أن يكون تمامه : « نفوسا ومالا » ، وكذلك قولها :
 * فكنت النهار به شمسه *

- ٢٠ (١) فى الأصل : « من قولها » ، وقوله « من » زيادة من الناسخ .

يقتضى أن يكون [بعده] ^(١) :

* وكنت دجى الليل فيه الهللا *

ومن ذلك قولُ البحترى :

* وإذا حاربوا أذلّوا عزيزا *

٥ يحكم السامع بأن تمامه :

* وإذا سالموا أعزّوا ذليلا ^(٢) *

وكذلك قوله :

أحلت دمي من غير جرم وحرّمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي

* فليس الذي حالته بحلل *

١٠ يعرف السامع أن تمامه :

* وليس الذي حرّمته بحرام *

وأما الاستخدام — فهو أن يأتي المتكلم بلفظة لها معنيان ، ثم يأتي بلفظتين يستخدم كل لفظة منهما في معنى من معني تلك اللفظة المتقدمة ، وربما آلتبس الاستخدام بالتورية من كون كل واحد من البابين مفتقرا إلى لفظة لها معنيان ، والفرق بينهما أن التورية استعمال أحد المعنيين من اللفظة ، وإهمال الآخر ، والاستخدام استعمالهما معا ، ومن أمثله قولُ البحترى :

فسقى الغضى والسّاكنيه وإن همو * شبّوه بين جوانح وقلوب

(١) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها أخذا من عبارة حسن التوسل ص ٧١ ط الوهابية وغيره ، فإن عبارته : « يقتضى أن يتلوه » .

(٢) في الأصل : « وان » وهو تحريف . ٢٠

(٣) عبارة الأصل : « من معاني ذلك » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) في الأصل : « الناس » ؛ وهو تحريف .

فإن لفظة الغضى محتملة للموضع والشجر، والسقيا صالحة لهما، فلما قال :
« والساكنيه » استعمل أحد معني اللفظ، وهو دلالة القرينة على الموضع، ولما
قال : « شَبَّوْهُ » استعمل المعنى الآخر، وهو دلالة القرينة على الشجر؛ ومن ذلك
قول الشاعر^(١) :

إذا نزل السماء بأرض قوم * رَعَيْنَاهُ وإن كانوا غَضَابَا

أراد بالسماء الغيث، وبضميره التبت .

وأما العكس والتبديل — فهو أن يقدم في الكلام أحد جزئيه ثم يؤخره
ويَقَعُ على وجوده :

منها أن يقع بين طرفي الجملة، كقول بعضهم : عادات السادات، سادات
العادات ؛

ومنها أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين، كقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ
الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ومنه بيت الحماسة :

فردَّ شعورهن السود بيضا * وردَّ وجوههن البيض سُودا ؛

ومنها أن يقع بين كلمتين في طرفي جملتين، كقوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ
وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ ﴾
وقول أبي الطيب :

ولا مجد في الدنيا لمن قلَّ ماله * ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجده .

وأما الرجوع — فهو أن يعود المتكلم على كلامه السابق بالنقض لنكتة
كقول زهير :

قف بالديار التي لم يَعْفُهَا الْقَدَمُ * بلى وغيَّرها الأرواحُ والديم

(١) هو جرير بن عطية الخطافى .

(٢) في الأصل : « من » وما أثبتناه عن حسن التوسل .

كأنه لما وقف على الديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير
فقال : «لم يعفها القدم» ثم تاب إليه عقله وتحقق ما هي عليه من الدروس ، فقال :
بلى عفت وغيرها الأرواح والديم ؛

ومنه بيت الحماسة :

أليس قليلاً نظرة إن نظرتها * إليك وكلاً ليس منك قليل .^(١)

وأما التغير — فهو أن يغير المتكلم الناس فيما عادتهم أن يمدحوه فيذمه
أو يذمونه فيمدحه ؛

فمن ذلك قول أبي تمام يغير جميع الناس في تفضيل التكرم على الكرم :

قد بلونا أبا سعيد حديثاً * وبلونا أبا سعيد قديماً

فوردناه سائحاً وقليل * ورعيناه بارضاً وجميعاً^(٢)

فعلمنا أن ليس إلا بشق النفس صار الكرم [يدعى] كريماً^(٣)

وهو مغاير لقوله على العادة المألوفة :

لا يتعب النائل المبدول همته * وكيف يتعب عين الناظر النظر

ومنه قول ابن الرومي في تفضيل القلم على السيف :

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الأمم

فالموت والموت لا شيء يعادله * ما زال يتبع ما يجرى به القلم

(١) البيت ليزيد بن الطثرية .

(٢) البارض : أول ما يظهر من نبات الأرض ، والجيم : النبات الكثير ، أو هو ما نهض وانتشر منه .

وفي الأصل : «سنيماً» وفي حسن التوسل : «هشياً» ، وهو تحريف في كليهما ، والتصويب عن ديوان

أبي تمام ص ٣٦٠ ط الأدبية .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن ديوان أبي تمام إذ بها يستقيم البيت .

كذا قضى الله للأقلام منذ بُرِيت * أن السيوف لها منذ أُرهِفت خَدم
وغايره المتنبي على الطريق المألوف فقال :

حتى رجعتُ وأقلامي قـوائِلُ لى * المجد لل سيف ليس المجد للقلم
اكتب بها أبدا قبل الكتاب بنا * فإنما نحن للأسياف كالحَدم.

- ٥ وأما الطاعة والعصيان — فإنه قال : هذا النوع آستنبطه أبو العلاء المعري
عند نظره في شعر أبي الطيب، وسمّاه بهذه التسمية، وقال : هو أن يريد المتكلم
معنى من المعاني التي للبدیع فيستعصى عليه لتعذر دخوله في الوزن الذي هو آخذ فيه
فيأتي موضعه بكلامٍ غيره يتضمن معنى كلامه، ويقوم به وزنه، ويحصل به معنى
من البدیع غير الذي قصده، كقول المتنبي :

- ١٠ يردّ يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى في طيفها وهو راقد
فإنه أراد أن يقول : يردّ يدا عن ثوبها وهو مستيقظ، حتى إذا قال :
* ويعصى الهوى في طيفها وهو راقد *

يكون في البيت مطابقة، فلم يقطع الوزن، فأتى بقادر في موضع مستيقظ لتضمنه
معناه، فإن القادر لا يكون إلا مستيقظا وزيادة، فقد عصاه في البيت الطباق
وأطاعه الجناس بين قادر وراقد، وهو جناس العكس ؛

١٥

(١) كذا في الأصل وحسن التوسل وشرح الباعونية المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاغة؛ وعبارة ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير المحفوظ منه نسخة مخطوطة
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلاغة : « أن يريد المتكلم معنى من معاني البدیع » .

(٢) كذا في تحرير التحبير وحسن التوسل . والذي في الأصل : « عن » .

- ٢٠ (٣) كذا في حسن التوسل ص ٧٣ ط الوهية وتحرير التحبير لابن أبي الإصبع . وعبارة الأصل :
« فإنه لو أراد » ؛ وقوله : « لو » زيادة من النسخ بدليل قوله فيما سيأتي « فلم يقطع » بإثبات الفاء ؛
على أنه يؤخذ مما سبق في تعريف هذا القسم من قوله : « أن يريد المتكلم » أن التمثيل لا يتم إلا بأن يكون
الشاعر قد أراد ذلك بالفعل .

وأنكر ابن أبي الإصبع أن يكون هذا الشاهد من باب الطاعة والعصيان ، لأنه كان يمكنه أن يقول عوض قادر : ساهر ، وإنما المتنبي قصد أن يكون في بيته طباقٌ معنويٌّ ، لأن القادر ساهر وزيادة ، إذ ليس كل ساهر قادرا ، وأن يكون فيه جناس العكس .

وقال : إن شاهد الطاعة والعصيان عنده أن تعصيه إقامة الوزن مع إظهار مراده ، فتطبعه لفظة من البديع يتم بها المعنى وتزيده حسنا ، كقول عوف بن مُحَلَّم :
 إن الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

فإنه أراد أن يقول : إن الثمانين قد أحوجت سمعى إلى ترجمان ، فعصاه الوزن وأطاعه لفظة من البديع وهى التميم ، فزادته حسنا وكملت مراده ، وكل التميم من هذا النوع . ١٠

وأما التسميط — فهو أن يجعل المتكلم مقاطيع أجزاء البيت أو القرينة على سجع يخالف قافية البيت أو آخر القرينة ، كقول مروان بن أبي حفصة :
 هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا * أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
 فإن أجزاء البيت مسجعة على خلاف قافيته فتكون القافية بمنزلة السمط ، والأجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد . ١٥

وأما التشطير — فهو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ، ثم يصرع كل شطر من الشطرين ، ولكنه يأتى بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر ، كقول مسلم ابن الوليد :

مُوفٍ على مُهَجٍ في يومٍ ذى رَهِجٍ * كأنه أَجَلٌ يَسْعَى إلى أمل
 وكقول أبي تمام :

تدبِيرُ معصِمٍ بالله متقِمٍ * لله مرتقبٌ في الله مرتغب .

وأما التطريز — فهو أن يبتدئ الشاعر بذكر جمل من الذوات غير مفصلة ثم يُخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب تعداد جمل تلك الذوات تعداد تكرار واتحاد، لاتعداد تغاير، كقول ابن الرومي :

أُمُورِكُمُ [بني] خاقانَ عِنْدِي * عَجَابٌ فِي عَجَابٍ فِي عَجَابٍ ^(١)

قُرُونٌ فِي رءُوسٍ فِي وَجُوهِ * صِلَابٌ فِي صِلَابٍ فِي صِلَابٍ

٥٧

وكقوله :

وَتَسْقِينِي وَتَشْرَبُ مِنْ رَحِيقٍ * خَلِيقٍ أَنْ يُشَبَّهَ بِالْخُلُوقِ

كَأَنَّ الْكَأْسَ فِي يَدِهَا وَفِيهَا * عَقِيقٌ فِي عَقِيقٍ فِي عَقِيقٍ .

وأما التوشيع — فهو مشتق من الوشيعه ، وهي الطريقة في البرد ، وكان الشاعر أهمل البيت كله إلا آخره ، فأتى فيه بطريقة تعدد من المحاسن ، وهو عند أهل هذه الصناعة أن يأتي المتكلم أو الشاعر بأسم مثني في حشو العجز ، ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك المثني ، يكون الآخر منهما قافية بيته ، أو سبعة كلامه كأنهما تفسير لما ثناه ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : ” يشيب ابن آدم وتشيب فيه ^(٢) ”
خصلتان : الحرص وطول الأمل “

ومن أمثلة ذلك في النظم قول الشاعر :

أَمْسَى وَأَصْبَحَ مِنْ تَذْكَارِكُمْ وَصَبَا * يَرِثِي لِي الْمُشْفِقَانِ الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ

قَدْ خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدِّي مِنْ تَذْكَارِكُمْ * وَاعْتَادَنِي الْمُضْنِيَانِ الْوَجْدُ وَالْكَدُ

وَغَابَ عَنِ مَقَلَّتِي نَوْمِي لَغَيْبَتِكُمْ * وَخَانَنِي الْمُسْعِدَانِ الصَّبْرُ وَالْجَلَدُ

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ خَفْنِي الرُّوحُ فِي جَسَدِي * فِدَى لَكَ الْبَاقِيَانِ الرُّوحُ وَالْجَسَدُ .

٢٠ (١) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوسل وغيره ، إذ بها يستقيم الوزن والمعنى . (٢) في الأصل : « بناء » بالباء الموحدة ، وهو محريف .

قال آبن أبي الإصبع : وما بما قلته في هذا الباب من بأس ، وهو :
 بي محنتان ملام في هوى بهما * رثى لى القاسيان الحب والجحر^(١)
 لولا الشفيقان من أمنية وأسأ^(٢) * أودى بي المرديان الشوق والفكر
 قال : ويحسن أن يسمى ما في بيتيه مطرف التوشيع ، إذ وقع المشئى في أول
 كل بيت وآخره .

وأما الإغراق — وهو فوق المبالغة ودون الغلو ، ومن أمثله قول آبن المعتز :
 صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا * فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ
 فموضع الإغراق من البيت قوله : ظالمين ، يعنى أنها استفرغت جهدها في العدو
 فما ضربناها إلا ظلما ، فمن أجل ذلك خرجت من الوحشية إلى الطيرية ؛ ولو لم يقل :
 « ظالمين » لما حسن قوله : « فطارت » ولكنه بذكر الظلم صارت الاستعارة كأنها
 حقيقة ، وقد عُد من الإغراق لا المبالغة قول امرئ القيس :
 تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرَعَاتٍ وَأَهَائِهَا^(٣) * بِيَثْرَبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظْرٌ عَالِي .

وأما الغلو — فمنهم من يجعله هو والإغراق شيئا واحدا ، ومن شواهد
 قول مهلهل :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعَ مِنْ بَحْجَرٍ^(٤) * صَلِيلُ الْبَيْضِ تُقَرَعُ بِالذِّكُورِ^(٤)

(١) فى الأصل وحسن التوسل : « لى » باللام ؛ وما أثبتناه عن تحرير التحرير لابن أبي الإصبع .
 (٢) الأسى بضم الهمزة وكسرهما : جمع أسوة بالضم والكسر أيضا ، وهى القدوة ، يريد اقتداءه بغيره
 من مسهم من المحن ما مسه ، فهو يتأسى بهم فيما ناله منها .

(٣) أذرع : بلد بأطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ، ينسب إليه الخمر ، والنسبة إليه أذرعى .

(٤) حجر بفتح الحاء : مدينة اليمامة وأم قراها . والبيض بفتح الباء واحده بيضة ، وهى الخوذة
 التى تلبس على الرأس فى الحرب ، سميت بذلك لأنها تشبه بيضة النعامة . وأراد بالذكور : السيوف ؛
 والذكر من الحديد : أيسه وأشدّه وأجوده .

ومِثْلُهُ قولُ المتنبيّ في وصف الأسد :

ورد إذا ورد البحيرة شاربا * بلغ الفرات زئيره والنَّيْلا^(١)

قالوا : ومن أمثلة الغلو قولُ النمر بن تولب في صفة السيف :

تَظَلَّ تحفِر عنه إن ضربت به * بُعد الذراعين والساقين والهادي .

وأما القسم — فهو أن يريد الشاعر الحلف على شيء فيأتي في الحلف بما يكون مدحا [له] وما يكسبه نخرا، أو يكون هجاء لغيره، أو ووعيدا، أو جاريا مجرى التغزل والترقق ؛

فمثال الأول قولُ مالك بن الأشتر النخعي^(٢) : * بقيت وفري وانحرفتُ عن العلا *

وقد تقدّم الاستشهاد بهما في النظم ، فإنها تضمّنت نخرا له ، ووعيدا لغيره ؛ وكقول

أبي عليّ البصير يعرض بعليّ بن الجهم :

أَكْذَبْتُ أَحْسَنَ مَا يَظُنُّ مؤملي * وَعَدَمْتُ مَا شَادَتْهُ لِي أسلافي

وعَدَمْتُ عاداتي التي عودتها * قَدَمْتُ من الإخلاف والإتلاف

وَعَضَضْتُ من ناري ليخفي ضوءها * وَقَرَيْتُ عذرا كاذبا أضيافي

إِن لَمْ أَشُنَّ عَلَى عَلِيٍّ (غارة)^(٤) * تُضْحِي قَدِّي فِي أَعْيُنِ الْأَشْرَافِ

وقد يُقسم الشاعر بما يزيد المدح مدحا، كقول القائل :

إِن كَانَ لِي أَمَلٌ سِوَاكَ أَعَدَّهُ * فَكَفَرْتُ نَعْمَتَكَ الَّتِي لَا تُكَفَّرُ

(١) الورد من الأسود : ما أشبه لونه لون الورد .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ السياق يقتضي إثباتها .

(٣) في الأصل : « كقول » ، والكاف زيادة من النسخ .

(٤) كذا في شرح الباعونية المحفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاغة ؛

والذي في الأصل وحسن التوسل : « خلة » بجاء معجمة بعدها لام ، ولم نجد من معانيه ما يلائم معنى

البيت ، ولعله محرف عن « حلة » بجاء مهملة بعدها مم .

ومما جاء من القسم في النسيب قول الشاعر :

فإن لم تكن عندي كعيني ومسمعى * فلا نظرت عيني ولا سمعت أذنى

ومما جاء في الغزل قول الآخر :

لاوالذى سلّ من جفنيه سيف ردّى * قُدت له من عذاريه حمائله

ما صارمت مقلتي دما ولا وصلت * غمضا ولا سالمّت قلبي بلابله .

وأما الاستدراك — فهو على قسمين : قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد ، وقسم لا يتقدمه ذلك ، فمن أمثلة الأول قول القائل :

وإخوانٍ تخذتهمو دروعا * فكانوها ولكن لااعادى

وخلتهمو سها صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى

وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادى

وقول الأرجاني :

غالطنى إذ كست جسمى ضنى * كسوة أعرت من الجلد العظاما

ثم قالت أنت عندي فى الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

وأما القسم الثانى الذى لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد فكتقول زهير :

أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله .

وأما المؤتلفة والمختلفة — فهو أن يريد الشاعر التسوية بين مدوحين

فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحهما ، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة

لا ينقص بها الآخر ، فيأتى لأجل الترجيح بمعان تخالف التسوية ، كقول الخنساء

فى أخيها وأبيها — وراعت حقّ الوالد بما لم ينقص الولد —

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا * يَتَعَاقَبَانِ مُلَاءَةً الْحُضِرِ^(١)
 وَهُمَا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا * صَقْرَانِ^(٢) [قَدْ] حَطَّآ إِلَى وَكْرٍ
 حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ * لُزَّتْ هُنَاكَ الْعُذْرُ^(٣) بِالْعَذْرِ
 وَعَلَا هَتَافُ النَّاسِ : أَيُّهُمَا * قَالَ الْحَجِيبُ هُنَاكَ : لَا أَدْرَى
 بَرَقَتْ صَحِيفَةُ وَجْهِهِ وَالِدُهُ * وَمَضَى عَلَى غُلُوءِهِ يَجْرَى
 أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يَسَاوِيَهُ * لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكِبَرِ

وَأَوَّلُ مَنْ سَبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى زَهِيرٌ حَيْثُ قَالَ :^(٤)

هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَأُوهُمَا * عَلَى تَكَالُيفِهِ فَمِثْلُهُ لِحَقٍّ
 أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ * فَمِثْلُ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحٍ سَسْبِقَا

وَتَدَاوَلَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

ثُمَّ جَرَى الْفَضْلُ فَانْتَهَى قَدَمًا * دُونَ مَدَاهُ بَغِيرِ تَرْهِيْقٍ
 فَقِيلَ رَاشًا سَهْمًا تُرَادُّ بِهِ السَّغَايَةُ وَالنَّصْلُ سَابِقُ الْفُوقِ^(٥).

وَأَمَّا التَّفْرِيقُ الْمَفْرَدُ — فَهُوَ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

مَا نَوَّالُ الْغَمَامِ يَوْمَ رُبَيْعٍ * كَنَوَّالُ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءٍ

فَنَوَّالُ الْأَمِيرِ بِدَرَّةٍ عَيْنٍ * وَنَوَّالُ الْغَمَامِ قَطْرَةً مَاءٍ.

٥٩

(١) الحضر : الارتفاع في العدو .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن كتب الأدب إذ بها يستقيم الوزن .

(٣) العذر : جمع عذار ، وهو السير الذي يكون على خد الدابة من اللجام .

(٤) عبارة الأصل : « قول زهير » ؛ وكلمة « قول » زيادة من النسخ ، والصواب إسقاطها كما يقتضيه

ما قبله وما بعده من الكلام . وعبارة حسن التوسل : وأول من سبق إلى هذا المعنى زهير بقوله .

(٥) الفوق بضم الفاء ، موضع الوتر من السهم ، والجمع أفواق .

وأما الجمع مع التفريق ^(١) - فهو أن يشبه شيئين بشئ ثم يفرق بين وجهي الاشتباه، كقول الشاعر :

فوجهك كالنار في ضوئها * وقالي كالنار في حرّها.

وأما التقسيم المفرد ^(٢) - فهو أن يذكر قسمة ذات جزأين أو أكثر، ثم يضمّ الى كلّ واحد من الأقسام ما يليق به، كقول ربيعة الرقي :

يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الأزد للأموال غير مسلم
لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والأغرّ بن حاتم
فهم الفتي الأزدي إتلاف ماله * وهم الفتي القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التتمام أني هجوته ^(٣) * ولكني فضلت أهل المكارم

وكقول ابن حيوس :

ثمانية لم تفترق إذ جمعتهما * فلا أفتقت ماذب عن ناظر شفر
يقينك والتقوى، وجودك والغنى * ولفظك والمعنى، وسيفك والنصر ^(٤)

(١) في الأصل : « بالتفريق » وما أثبتناه هو المعبر به في جميع كتب البلاغة ، كما أنه هو الموافق لما سيأتى من قوله : « وأما الجمع مع التقسيم . وقال صاحب التجريد ج ٢ ص ٢٣٨ ط الأميرية نقلا عن عبد الحكيم ما نصه : «أورد كلمة : «مع» إشارة الى أن المحسن اجتماعهما .

(٢) في الأصل : « بالمفرد » ، والباء زيادة من النسخ اذ لا مقتضى لها في هذه العبارة ، فإن قوله : « المفرد » صفة للتقسيم ، يريد التقسيم المفرد الذي ليس معه جمع كما يدل عليه ما سبق من قوله : « وأما التفريق المفرد » ، أى التفريق الذي ليس معه جمع أيضا . وعبارة حسن التوسل وغيره من كتب البلاغة : « التقسيم المفرد » بدون باء .

(٣) تتم الرجل متممة اذا تردد في الثاء فهو تمام بالفتح . وقال أبو زيد : هو الذي يعجل في الكلام ولا يفهمك .

١٠

١٥

٢٠

وقول آخر :

لِلتَّمِيسِ الْحَاجَاتِ جَمْعُ بَابِهِ * فَهَذَا لَهُ فَرْقٌ وَهَذَا لَهُ فَرْقٌ
فَلَا خَامِلَ الْعَلِيَاءِ ، وَلِلْعَدَمِ الْغَنَى * وَلِلذَنْبِ الرَّحْمَى ، وَلِلْخَائِفِ الْأَمْنُ
وَيَجُوزُ أَنْ يُعَدَّ هَذَا مِنَ الْجَمْعِ مَعَ التَّقْسِيمِ .

- ٥ وأما الجمع مع التقسيم — فهو أن يجمع أموراً كثيرة تحت حكم ، ثم يقسم
بعد ذلك ، أو يقسم ثم يجمع ، مثال الأول قول المتنبي :
حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ نَحْرُشْنَةٍ ^(١) * تَشْقَى بِهِ الرُّومَ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ
لِلْسَّبِيِّ مَا نَكَحُّوهُ ، وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا * وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا ، وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا
بِجَمْعٍ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ أَرْضَ الْعَدُوِّ وَمَا فِيهَا مِنْ مَعْنَى الشَّقَاوَةِ ، وَذَكَرَ التَّقْسِيمَ
فِي الْبَيْتِ الثَّانِي .

ومثال الثاني قول حسان :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ * أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ * إِنَّ الْحَوَادِثَ فَاعِلٌ شَرُّهَا الْبِدَعُ .

- ١٥ وأما التزاوج — فهو أن يزوج بين معنيين في الشرط والجزاء ، كقول
البحرئى :

إِذَا مَانَهَى النَّاهِي وَجَّحَ بِي الْهَوَى * أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجَرُ .

- ١٥ وأما السلب والإيجاب — فهو أن يُوقَعَ [الكلام] ^(٢) عَلَى نَهْيِ شَيْءٍ وَإِثْبَاتِهِ
فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، كَقَوْلِهِ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَ يَقْسِمُ » ، وَالْمَقَامُ يَقْتَضِي الْعُطْفَ بِأَوْ .

(٢) نَحْرُشْنَةٌ بَفَتْحِ الْخَاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ : بَلَدٌ قَرِيبٌ مَلْطِيَّةٌ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ .

(٣) الْكَلِمَةُ الَّتِي بَيْنَ مَرْبُعَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا .

وَنُنَكِّرُ إِنْ شَتْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ * وَلَا يُنَكِّرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ
وَكَقُولِ الشَّمَاخِ :

هَضِيمُ الْحَشَى لَا يَمَلَأُ الْكَفَّ خَصْرُهَا * وَيَمَلَأُ مِنْهَا كُلُّ حِجْلٍ ^(١) وَدُمْلَجٍ .

وأما الاطراد — فهو أن يطرُد الشاعر أسماءً متتاليةً يزيد الممدوح بها
تعريفاً، لأنها لا تكون إلا أسماء آبائه تأتي منسوقةً غير منقطعة من غير ظهور كُفْمَةٍ
على النظم كاطراد الماء وأنسجامه، وذلك كقول الأعشى ^(٢) :

أَقِيسُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ * وَأَنْتَ الَّذِي تَرْجُو حِبَاءَكَ وَائِلُ
وَكَقُولِ دُرَيْدٍ :

قَتَلْنَا بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ * ذَوَابَّ بْنَ أَسْمَاءِ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبٍ
وهذا أحسن من الأول، لأطراد الأسماء في تحجز البيت .

٦٠

وقال ابن أبي الإصبع : وقد أربى على هؤلاء بعض القائلين حيث قال :
من يكن رام حاجة بُعِدَتْ عَنْهُ * مَهْ وَأَعِيتْ عَلَيْهِ كُلُّ الْعِيَاءِ
فلها أحمدُ المُرْجَى ابنُ يَحْيَى بـ * بِنِ مُعَاذِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ رَجَاءِ
لو لم يقع فيه الفصل بين الأسماء بلفظة المُرْجَى .

ومنه ما كتب الشيخ مجد الدين بن الظهير الحنفى على إجازة : ١٥

أَجَازَ مَا قَدْ سَأَلُوا * بِشَرَطِ أَهْلِ السَّنَدِ

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بـ * بِنِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ

^(٣) فلم يفصل بين الأسماء في البيت بلفظة أجنبيّة .

(١) الحجل : الخلل . والدملج والدملوج : المعضد من الحلى .

(٢) في الأصل : « واستحابه » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « يدخل » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ثبوت الباء في قوله بعد :

« بلفظه » وقوله فما سبق : « لو لم يقع فيه الفصل » .

وأما التجريد — فهو أن ينتزع الشاعر أو المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر^(١) مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه ؛ وهو أقسام : منها نحو قولهم : لى [من] فلان صديقٌ حميم ، أى بلغ من الصداقة حداً صحَّ معه أن يُستخلص منه صديقٌ آخر ؛

ومنها نحو قولهم : لئن سألت لتسألن به البحر ، ومنه قول الشاعر :

وشوہاء تعدو بى إلى صارخ الوغى * بمستلئم مثل الفنيق المرحل
أى تعدو بى ومعنى من استعدادى للحرب لايس لأمة ؛

ومنها نحو قوله تعالى : ﴿لَمْ يَهَيَّأْ دَارَ الْخَالِدِ﴾ لأن جهنم — أعادنا الله منها — هى دار الخلد ، لكن أنتزع منها مثلها وجعل فيها معدداً للكفار تهويلاً لأمرها ؛
ومنها نحو قول الحماسى :

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * نحو الغنائم أو يموت كريم
وعليه قراءة من قرأ : ﴿فَإِذَا أُنْشِقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ بالرفع ، بمعنى
فخصت سماء وردة ، وقيل : تقدير الأقل أو يموت منى كريم ، والثانى : فكانت
منها وردة كالدهان ، وفيه نظر ؛

ومنها نحو قوله :

ياخير من يركب المطى ولا * يشرب كأساً بكف من بخلا
ونحو قول الآخر :

إن تلقنى — لا ترى غيرى يناظره — * تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد^(٢)

ومنها مخاطبة الإنسان غيره وهو يريد نفسه ، كقول الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل * وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

٢٠

(١) الزيادة تقتضيا صحة التمثيل .

(٢) فى الاصل : « بين » ، وهو تحريف ؛ والتصويب عن حسن التوسل .

وقول المتنبي :

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مأل * فليُسعد النطقُ إن لم تسعد الحالُ
ومنه قول الحِصَّصِ بَيَّصَ :

إلام يراك المجد في زِيٍّ شاعر * وقد نَحَلَّتْ شوقاً فروع المنابر
كَتَمَّتْ بِصِيَّتِ الشَّعْرَ علماً وحكمة * ببعضهما ينقاد صعبُ المفاخر
أما وأبيك الخير إنك فارس الـ * كلام ومُحْيِي الدارسات الغواير.

وأما التكميل — فهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من مدح أو غيره من فنون الكلام وأغراضه ، ثم يرى مدحه بالاختصار على ذلك المعنى فقط غير كامل ، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة ، ثم رأى الاختصار عليها دون مدحه بالكرم مثلاً غير كامل أو بالبأس دون الحلم ، ومثال ذلك قول كعب بن سعد الغنوي :

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنُ أَهْلِهِ * مع الحِلْمِ في عين العدو مهيب

قوله : " إذا ما الحِلْمُ زَيْنُ أَهْلِهِ " احتراز لولاه لكان المدح مدخولاً ، إذ بعض التغاضي قد يكون عن عَجْزٍ ، وإنما يزِين الحِلْمُ أَهْلَهُ إذا كان عن قدرة ، ثم رأى أن يكون مدحه بالحلم وحده غير كامل ، لأنه إذا لم يُعرف منه إلا الحِلْمُ طِمَعَ فيه عدوه فقال : « في عين العدو مهيب » ، ومنه قول السَّمِوْعِ بنِ عادِيَاءَ :

وما مات منّا سيّد في فراشه * ولا طُلَّ منّا حيث كان قتيل

لأن صدر البيت [وإن] ^(٢) تَضَمَّنَ وصفهم بالإقدام والصبر ربّما ^(٣) أوهم العجز ^(٣)

٦١

- (١) كذا في الأصل . يريد : ثم اعتقد كون مدحه الخ وعلى هذا التفسير لا يحتاج فعل « رأى » الى مفعول ثان . وعبرة حسن التوسل : « ثم رأى أن مدحه » الخ والمعنى عليه يستقيم أيضا .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، واستقامة العبارة تقتضي إثباتها ؛ انظر حسن التوسل .
(٣) عبارة الأصل : « فيا أوهم الفخر » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(١) [لأن] [قتل الجميع يدل على الوهن والقلة فكلمه بأخذهم للثأر، وكل حسنه بقوله :

”حيث كان“ فإنه أبلغ في الشجاعة؛ ومن ذلك في النسيب قول كثير :

لو أن عزة حاکمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

لأن قوله : ”عند موفق“ تكميل للمعنى، إذ ليس كل من يحاكم إليه موفقا؛ ومنه

قول المتنبي :

أشد من الرياح الموج بطشا * وأسرع في الندى منها هبوبا .

وأما المناسبة — فهي على ضربين : مناسبة في المعنى ، ومناسبة في الألفاظ

فالمعنوية أن يبتدئ المتكلم بمعنى ، ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ، كقوله

تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ

بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ فقال تعالى في صدر الآية التي

الموعظة فيها سمعية : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ ، وقال بعد ذكر الموعظة : ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾

وقال في صدر الآية التي موعظتها مرئية : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ وقال بعد الموعظة :

﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

ومن أمثلة المناسبة المعنوية قول المتنبي :

على سابع موج المنيا بنحره * غداة كأن النبل في صدره وبلى

فإن بين لفظة السباحة ولفظتى الموج والنبل تناسبا صار البيت به متلاحما؛ وقول

أبن رشيقي :

أصح وأقوى مارويناه في الندى * من الخبر المأثور منذ قديم

(١) الكلمة عن حسن التوسل ، واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

أحاديثُ تروِيها السيولُ عن الحي * عن البحر عن جُود الأمير تميم
فإنه وفي المناسبة حقها في صحة العنونة برواية السيول عن الحي عن البحر، وجعل
الغاية فيها جود المدوح .

والمناسبة اللفظية : توخى الإتيان بكلمات مترنات، وهى على ضربين : تامة
وغير تامة ٥

فالتامة : أن تكون الكلمات مع الأتزان مقفاة، فمن شواهد التامة قوله تعالى :
﴿ تَبَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾
ومن الحديث النبوي - صلاة الله وسلامه على قائله - قول النبي صلى الله عليه وسلم
للحسن والحسين - رضى الله عنهما - : " أعيدُ كما بكلمات الله التامة ، من كل
شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة " ولم يقل : « ملمة » وهى القياس لمكان المناسبة
اللفظية التامة ؛ ١٥

ومن شواهد الناقصة قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأحبكم إلى
وأقربكم منى مجالس يوم القيامة ؟ أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا »

ومما جمع بين المناسبتين قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إني أسألك رحمة تهدي
بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلم بها شعتي، وتصلح بها غايي، وترفع بها شاهدي، وتركني
بها عملي، وتلهمني بها رشدى، وترد بها ألقى، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم
إني أسألك العون في القضاء، ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء،
فناسب صلى الله عليه وسلم بين قلبي وأمري، وغايي وشاهدي مناسبة غير تامة، لأنها
في الزنة دون التقفية ، وناسب بين القضاء والشهداء والسعداء والأعداء مناسبة تامة
في الزنة والتقفية ؛ ٢٥

ومن أمثلة المناسبتين قول أبي تمام :

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ * قَنَا الْخَطُّ^(١) إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَابِلُ

فناسب بين مَهَا وقَنَا مناسبة تامّة ، وناسب بين الوحش والخط ، وأوانس وذوابل مناسبة غير تامّة .

وأما التفرّيع — فهو أن يُصدّر المتكلم أو الشاعر كلامه باسم منفيٍّ بـ"ما" خاصة ، ثم يصف الاسم المنفيّ بمُعْظَم أو صافه اللائقة به في الحسن أو القبح ، ثم يجعله أصلاً يُفرَّغ منه جملةً من جارٍّ ومجرورٍ متعلّقة [به] ^(٢) تعلّق مدح أو هجاء أو نخر أو نسيب أو غير ذلك ، يفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفيّ الموصوف كقول الأعشى :

١٠ ماروضةٌ من رياض الحزن مُعْشِبَةٌ * خضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هِطْلُ
يضاحك الشمس منها كوكب شَرْفٍ^(٣) * مَوْزَرٌ بَعْمِيمُ النَّبْتِ مَكْتَهْلُ
يوما بأطيب منها طيب رائحةٍ * ولا بأحسن منها إذ دنا الأُصْلُ
وقول عاتكة المزينة :

وما طعم ماء أيّ ماء تقوله^(٤) * تحدر من غرّ طوال الذوائب
١٥ بمنعرج من بطن وادٍ تقابلت * عليه رياحُ الصيف من كل جانب

(١) يريد خط عمان ، وهو الذي تنسب إليه الرماح الخطية ، قال ابن سيده : الخط سيف البحرين وعمان .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل ص ٨٠ ط الوهية .

(٣) كوكب الروضة : نورها . قال في التهذيب : الكوكب معروف من كواكب السماء ، ويشبه به

النور فيسمى كوكبا . انظر اللسان مادة كوكب .

(٤) كذا في الأصل وزهر الآداب ج ١ ص ١٦٧ ط الرحمانية ؛ وعبارة حسن التوسل :

وما طعم ماء أيّ ماء تقوله

نَفَتْ جَرِيَّةُ الْمَاءِ الْقَذَى عَنْ مُتُونِهِ * فَلَيْسَ بِهِ عَيْبٌ تَرَاهُ لِعَائِبٍ
بِأَطْيَبَ مِمَّنْ يَقْصِرُ الطَّرْفَ دُونَهُ * تَقَى اللَّهَ وَأَسْتَحْيَاءُ بَعْضِ الْعَوَاقِبِ
وقد وقع الأصل والفرع لأبى تمام في بيت واحد، وهو :
مَارِعَ مِيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ * غِيْلَانُ أَهْبَى رَبًّا مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ
ولا الحدودُ وإن أَدَمِينَ مِنْ نَجَلٍ * أَشْهَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَدَّهَا التَّرِبِ

ومما ورد في النثر رسالةُ آبنِ التَّمَمِيِّ التي كتبها إله سببا بن أحمد صاحب صنعاء :
وأما حال عبده بعد فراقه في الجَلَدِ، فما أُمُّ تَسْعَةٍ مِنَ الْوَلَدِ؛ ذُكُورًا، كَأَنَّهُمْ عِقْبَانُ
وَكُورٍ؛ اخْتَرِمَ مِنْهُمْ ثَمَانِيهِ، فَهِيَ عَلَى التَّاسِعِ حَانِيهِ، فَنَادَى النَّذِيرُ فِي الْبَادِيَةِ، يَا لِلْعَادِيَةِ
يَا لِلْعَادِيَةِ، فَلَمَّا سَمِعَتْ الدَّاعِيَ، وَرَأَتْ الْخَيْلَ سَوَاعِي، أَقْبَلَتْ تَنَادِي وَلَدَهَا :
الْأَنَاءَةُ الْأَنَاءُ، وَهُوَ يَنَادِيهَا : الْقَنَاءَةُ الْقَنَاءُ

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ * يُحْدَى نَعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ

فلما رَمَقَتْهُ يَخْتَالُ فِي غُضُونِ الزَّرْدِ الْمَوْضُونِ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

أَسَدٌ أَضْبَطُ يَمْشِي * بَيْنَ طَرْفَاءٍ وَغِيلٍ

لِبُسِّهِ مِنْ نَسِجِ دَاوُ * دَكْضُ حَضَاحِ الْمَسِيلِ

(١) فِي الْأَصْلِ : «الْكِرَاعِي» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) السَّرْحَةُ : وَاحِدَةُ السَّرْحِ، وَهُوَ مَا عَظُمَ وَطَالَ مِنَ الشَّجَرِ، يَرِيدُ وَصْفَهُ بِطُولِ الْقَامَةِ وَضَخَامَةِ الْجِسْمِ
وَالْبَيْتَ لَعْنَتُهُ الْعَبْدِيُّ .

(٣) السَّبْتُ بِكَسْرِ السِّينِ : الْجِلْدُ الْمَدْبُوعُ، وَفِي الْمَصْبَاحِ أَنَّهُ يُقَالُ : نَعْلٌ سَبْتِيَّةٌ : أَيْ لَا شَعْرَ فِيهَا .

(٤) الْمَوْضُونُ : الْمَنْسُوجُ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ، أَوْ هُوَ الْمُقَارِبُ النَّسِيجُ .

(٥) الطَّرْفَاءُ : مِنَ الْعِضَاءِ، وَلَهُ هَدَبٌ كَهَدَبِ الْأَثَلِ، وَلَيْسَ لَهُ خَشَبٌ، وَإِنَّمَا يُخْرَجُ عَصِيًّا سَمْحَةً
فِي السَّمَاءِ، وَقَدْ تَحْمَضُ بِهِ الْإِبِلُ إِذَا لَمْ تَجِدْ حَمَضًا غَيْرَهُ . وَالْغِيلُ بِكَسْرِ الْغَيْنِ وَتَفْتَحُ : الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمَلْتَفُ،
أَوْ هُوَ جَمَاعَةُ الْقَصَبِ وَالْخَلْفَاءِ .

(٦) الضَّحْضَاحُ وَالضَّحْضُوحُ : الْمَاءُ الَّذِي لَا غُرْقَ فِيهِ، شَبَّهِ الدَّرْعَ بِهِ فِي بَرِّيقِهِ وَاطْرَادِ مَتْنِهِ .

عَرَضَ له في البادية أَسَدٌ هَضُورٌ ، كَأَنَّ ذِرَاعَهُ مَسَدٌ مَعْصُورٌ

فَتَطَاعَنَا وَتَوَاقَفَتْ خَيَالُهُمَا * وَكَلَاهُمَا بَطْلُ اللَّئَاءِ مَقْنَعٌ

فَلَمَّا سَمِعَتْ الرَّعِيلُ^(١) ، بَرَزْتُ مِنَ الصَّرْمِ بِصَبْرٍ قَدِ عَمِلَ ؛ فَسَأَلْتُ عَنْ الْوَاحِدِ
فَقِيلَ : لِحَدِّهِ^(٢) اللَّاحِدِ

فَكَرَّتْ تَبَتُّغِيهِ فَصَادَفَتْهُ * عَلَى دِمِهِ وَمَصْرَعِهِ السَّبَاعَا
عَبَثَنَ بِهِ فَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا * أَدِيمًا قَدْ تَمَزَّقَ أَوْ كُرَاعَا
بَاشَدَ مِنْ عَبْدِهِ تَأْسَفَا ، وَلَا أَعْظَمَ كَمَا وَتَلَّهْنَا .

قال : وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الإصْبَعِ فِي التَّفْرِيعِ قَسِمًا ذَكَرَهُ فِي صَدْرِ الْبَابِ ، وَقَالَ :
إِنَّهُ هُوَ الَّذِي آسَتْخَرَجَهُ ، وَهُوَ أَنْ يَبْتَدِئَ الشَّاعِرُ بِلَفْظَةٍ هِيَ إِمَّا أَسْمٍ أَوْ صِفَةٍ ، ثُمَّ
يَكْرُرُهَا فِي الْبَيْتِ مِضَافَةً إِلَى أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ تُتَفَرَّعُ عَلَيْهَا جُمْلَةٌ مِنَ الْمَعَانِي فِي الْمَدْحِ
وغيره ، كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ :

أَنَا ابْنُ اللَّقَاءِ أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ * أَنَا ابْنُ الضَّرَابِ أَنَا ابْنُ الطَّعَانِ
أَنَا ابْنُ الْفِيَا فِي أَنَا ابْنُ الْقَوَافِي * أَنَا ابْنُ السُّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرِّعَانِ^(٣)
طَوِيلُ النَّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ * طَوِيلُ الْقَنَاةِ طَوِيلُ السَّنَانِ
حَدِيدُ اللَّحَاطِ حَدِيدُ الْحِفَاطِ * حَدِيدُ الْحَسَامِ حَدِيدُ الْجَنَافِ .

(١) الصرم بكسر الصاد : الجماعة .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْمَلَا حِد » ، وَالْمِيمُ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) الرعان : أنوف الجبال المتقدمة منها ، واحده رعن ؛ يريد أنه لكثرة قطعه للجبال وسلوكه فيها

ومعرفته بشعابها كأنه ابن لها .

وأما نفى الشيء بإيجابه — فهو أن يُثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه
وينفى ما هو [من] سببه مجازاً ، والمنفى^(١) في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبتته
كقول امرئ القيس :

على لاحب لا يُهتدى بمناره * إذا سافه العود النباطى جرجراً^(٢)

فظاهر هذا الكلام يقتضى إثبات منار لهذه الطريق ، ونفى الهداية به مجازاً^(٣)
وباطنه في الحقيقة يقتضى نفى المنار جملة ، والمعنى أن هذه الطريق لو كان لها منار
ما أهتدى به ، فكيف ولا منار لها ، كما تقول لمن تريد أن تسلبه الخير : ما أقل
خيرك ! فظاهر كلامك يدل على إثبات خير قليل ، وباطنه نفى الخير كثيره وقليله .
وقول الزبير بن عبد المطلب يمدح عُميلة بن عبد الدار — وكان نديماً له — :

صَحِبْتُ بِهِمْ طُلُقاً يَرَّاحُ إِلَى النَّدَى * إِذَا مَا أَنْتَشَى لَمْ تَحْتَضِرْهُ مَفَاقِرُهُ
ضعيف بحث الكأس قبض بنانه^(٤) » كليل على وجه النديم أظافره

فظاهر هذا أن للممدوح مفاقر لم تحتضره إذا انتشى ، وأن له أظافر ينجش بها وجه
نديمه خمشاً ضعيفاً ، وباطن الكلام في الحقيقة نفى المفاقر جملة ، والأظافر بـتة .

(١) في الأصل : « ما هو سببه » بسقوط « من » وقد أثبتنا عن حسن التوسل وغيره .

(٢) في الأصل : « سافه » بالقاف المثناة ، وهو تحريف ، ولا معنى له يناسب السياق ، والتصويب
عن شرح ديوان امرئ القيس . وسافه : شمه . والعود : الجمل المسن . وجرجر : رغا ، وإنما يرغو
الجمل لمعرفته ببعده الطريق .

(٣) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا : « ونفى بد الهداية » وفيها قلب وتحريف لا يستقيم بهما
المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . انظر تحرير التحبير لابن أبي الإصبع المحفوظ منه نسخة مخطوطة
بدار الكتب المصرية برقم ٤٦٥ بلاغة .

(٤) هذه نسبة إلى جده ، أما أبوه فهو السابق بن عبد الدار . انظر المقتضب من جمهرة النسب
لياقوت المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٨٥ تاريخ .

(٥) في الأصل : « بحيث الكأس فضل » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب عن
حسن التوسل . وفي تحرير التحبير : « فيض » بفاء موحدة بعدها ياء مثناة ؛ وهو تحريف .

وأما الإيداع — قال : وأكثُر الناس يجعلونه من باب التضمين ، وهو منه إلا أنه مخصوص بالثر ، وبأن يكون المودع نصف بيت ، إما صدرا أو عجزا فمنه قول علي رضي الله عنه في جواب كتاب معاوية :

ثم زعمت أني لكل الخلفاء حسدت ، وعلى كلهم بغيت ، فإن يكن ذلك كذلك فلم تكن الجناية عليك ، حتى تكون المَعذرة إليك * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * ٥

وأما الإدماج — فهو أن يدمج المتكلم غرضاً له في جملة معنى من المعاني قد نحاه ليؤهم السامع أنه لم يقصده ، وإنما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصده ، كقول عبيد الله بن عبد الله لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للعتضد — وكان ابن عبيد الله قد آختلت حاله — فكتب الى ابن سليمان :

أبي دهرنا إسعافنا في نفوسنا * وأسعفنا فيمن نُحِبُّ ونكرم
فقلت له نِعْمَا فيهم أتممها * ودع أمرنا إن المهم المقدم
فأدج شكوى الزمان في ضمن التهئة ، وتلطف في المسألة مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال . ١٠

وأما سلامة الاختراع — فهو أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه ولم يتبعه أحد فيه ، كقول عنتر في الذباب :

هزرجا يحك ذراعَه بذراعَه * قَدَحَ المِكَبِّ على الزناد الأجدم^(٢)

وكقول عدي بن الرقاع في تشبيه ولد الطيبة :

تُرْجِي أغرَبَ كأن إبرة رَوْقَه * قَلَمُ أصاب من الدواة مدادها

(١) عبارة الأصل : « كقول عبد الله بن عبيد الله لعبد الله » الخ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا

انظر معاهد التنصيص ص ٤٠٢ ط بولاق ، ووفيات الأعيان ترجمة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر . ٢٠

(٢) في الأصل : « كقدح » ، والكاف زيادة من النسخ .

وكقول النابغة في وصف النسر :

تَراهَنَ^(١) خَلْفَ الْقَوْمِ زُورًا عِيُونَهَا * جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِي مُسُوكِ^(٢) الْأَرَانِبِ

وكقول أبي تمام :

لَا تَتَكْرَى عَطَلُ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى * فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي

وقوله :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصَصٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا * إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ

وقول ابن حجاج :

وَإِنِّي وَالْمَوْلَى الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ * طَرِيفَانُ^(٤) فِي أَمْرٍ لَهُ طَرَفَانُ^(٣)

بعيدا ترانى منه أقرب ما ترى * كأنى يوم العيد في رمضان.

١٠ وأما حُسن الاتِّباع — فهو أن يأتى المتكلم إلى معنى قد اخترعه غيره

فيَتَّبِعُهُ فِيهِ أَتْبَاعًا يَوْجِبُ لَهُ اسْتِحْقَاقَهُ ، إما باختصار لفظه ، أو قصر وزنه

أو عذوبة نظميه ، أو سهولة سبكه^(٥) ، أو إيضاح معناه ، أو تميم تقصده ، أو تحليته

بما توجبه الصناعة ، أو بغير ذلك من وجوه الاستحقاقات ؛

كقول شاعر جاهلي في صفة جمل :

وَعَوْدٌ قَلِيلُ الذَّنْبِ عَاوَدْتُ ضَرْبَهُ * إِذَا هَاجَ شَوْقِي مِنْ مَعَاهِدِهَا ذَكَرَ

١٥

(١) كذا في تحرير التحبير لابن أبي الإصبع . وهو جمع أزور ، والأزور الناظر ، وخر عينيه .

والذى في الأصل : « زرقا » ؛ وهو تحريف .

(٢) المسوك : الجلود ، واحده مسك بفتح الميم .

(٣) في الأصل وحسن التوسل : « ترانى » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد :

« طريفان » بإثبات الألف ؛ وانظر تحرير التحبير لابن أبي الإصبع .

٢٠

(٤) في الأصل : « ظريفان » بالظاء المعجمة ؛ وهو تحريف .

وقلت له ذلماً ويحك سببت * لك الضرب فأصبر إن عادتك الصبر

فأحسن ابن المعتز أتباعه حيث قال يصف خيله :

وخيل طواها القود^(١) حتى كأنها * أنايب سمر من قنا الخط ذبل

صبنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد سراع وأرجل

وأتبع أبو نواس جريراً في قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهمو غضابا

فقال أبو نواس — ونقل المعنى من الفخر إلى المدح — :

وليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وقول التميمي في أخت الحجاج :

فهن اللواتي إن برزن قتلني * وإن غبن قطعن الحشى حسرات

فأتبعه ابن الرومي فقال :

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

وأما الذم في معرض المدح — فهو أن يقصد المتكلم ذم إنسان فيأتي

بالفاظ موجّهة ، ظاهرها المدح ، وباطنها القّدح ، فيؤهم أنه يمدحه وهو يهجوّه

كقول بعضهم في الشريف بن الشّجّري :

يا سيدي والذي يعيذك من * نظم قريض يصدا به الفكر

مافيك من جدك النبي سوى * أنك لا يذبحي لك الشعر

وأما العُنوان — فهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر

أو مدح أو هجاء أو غير ذلك ، ثم يأتي لقصد تكميله بالفاظ تكون عُنواناً لأخبار

متقدمة ، وقصص سالفة ، كقول أبي نواس :

(١) كذا في الأصل . وفي حسن التوسل : « السير » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

يا هاشم بن حُديج ليس نخركمو * بقتلِ صهر رسول الله بالسَّدد
أدرجتمو في إهاب العير جُثَّته * لبئس ما قدمت أيديكو لغد
إن تقتلوا ابنَ أبي بكر فقد قتلتُ * حُجراً بدارة مَلْحُوب^(١) بنو أسد
و يوم قلتُم لعمرُو وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد
ورب كِنْدِيَّة قالت لجارتها * والدمع ينهل من مثنى^(٢) ومن وحد
ألهي أمراً القيس تشيب بغانية * عن ثاره وصفات النوى والوتد

فقد أتى أبو نواس في هذه الأبيات بعدة عُنوانات : منها قصة قتل محمد بن
أبي بكر، وقتل حُجْر أبي أمري القيس، وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجو من أراد
هجوَه، وعير المهجُو بما أشار إليه من الأخبار الدالة على هجاء قبيلته ؛

ومثل ذلك قول أبي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قومه :
رَفَدوك في يوم الكُلاب وشَقَّقا^(٤) * فيه المَزاد بِجَحْفَل غَلاب^(٥)
وهو بعين أباغ راشوا للعدا * سَهَمَيك عند الحارث الحَراب^(٦)

(١) في الأصل : « مكحون » ؛ وهو تحريف . وملحوب : اسم ماء، لأسد بن خزيمه .

(٢) في الأصل : « شتى » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « ومعة الهجو » وهو غير مستقيم ؛ والتصويب عن حسن التوسل .

(٤) الكلاب بضم الكاف : واد يسالك بين ظهري شعلان ، وفيه كان الكلاب الأول والكلاب الثاني
من أيام العرب المشهورة ، فأما الكلاب الأول فقد كان بين شرحبيل بن الحارث وأخيه سلمة ، ومع شرحبيل
بكر بن وائل وبنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ومع أخيه سلمة بنوقيس . وأما الكلاب الثاني
فكان بين بنى سعد والرباب وبين بنى الحارث بن كعب . وقال في اللسان مادة « كلب » نقلاً عن أبي عبيد :
كلاب الأول وكلاب الثاني : يومان كانا بين ملوك كندة وبنى تميم . وأشار بقوله : « وشققوا فيه المزاد »
إلى ما فعله السفاح في هذا اليوم ، وهو أنه ظمأ خيله وسفح ما في أسقية أصحابه ، وقال : « لا ماء لكم دون
الكلاب » والسفاح ، هو مسلمة بن خالد بن كعب من بنى حبيب بضم الحاء المهمله بن عمرو بن غنم بن تغلب .

(٥) في الأصل : « كلاب » بالكاف ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن ديوان أبي تمام .

(٦) عين أباغ بضم الهمزة وفتحها : واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام ، وكان عندها
في الجاهلية يوم لهم بين ملوك غسان ملوك الشام ، وملوك لخم ملوك الحيرة ، قتل فيه المنذر بن المنذر بن أمري
القيس اللخمى .

وليالى الثَّارِ والحِشاكِ قد * جلبوا الجياد لواحق الأقارب^(٢)
فمضت كهُولهمو ودبر أمرهم * أحداشهم تدير غير صواب

وقال بعد ذلك :

لك فى رسول الله أعظم أسوة * وأجلها فى سُنَّة وكتاب
أعطى المؤانمة القلوب رضاهمو * [كَمَلاً]^(٣) وردَّ أخاندا الأحزاب^(٣)
والجعفرىون استمَلَّتْ طُعْمُهم * عن قومهم وهمو نجوم كلاب
حتى إذا أخذ الفراق بقسطه * منهم وشطَّ بهم عن الأحباب
ورأوا بلاد الله قد لفظتهمو * أكانفها رجعوا إلى جَوَّاب^(٤)
فأتوا كريم الحيم مثلك صالحا * عن ذكر أحقاد وذكِ ضباب

- ١٠ فانظر الى ما أتى به أبو تمام فى هذه الأبيات من العُنوانات من السيرة النبوية
وأيام العرب ، وأخبار بنى جعفر بن كلاب ، ورجوعهم الى ابن عمهم جَوَّاب ،
وكقوله أيضا لأحمد بن أبى دؤاد :

- ١٥ (١) الثَّار : واد عظيم بالجزيرة يمتد إذا كثرت الأمطار ، فأما فى الصيف فليس فيه إلا منافع ومياه
حامية وعيون قليلة ، وهو فى البرية بين سنجار وتكريت ، وكان فى القديم منازل بكر بن وائل واختص بأكثره
بنو تغلب . والحشاك : هو تل عبدة ، كانت فيه وقعة تغلب على قيس .

(٢) لواحق الأقارب : أى ضمير الحصور .

- (٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن ديوان أبى تمام ، وبها يستقيم الوزن . والأخاند :
جمع أخيدة ، وهو فعيلة بمعنى مفعولة ، ولم يرد بالأحزاب هنا من شهدوا غزوة الخندق من المشركين واليهود
كما هو المعنى المشهور لهذا اللفظ ، فإنه لم يرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أخذ منهم أخاند ثم ردها
ولكنه ردَّ أخاند هوازن يوم حنين ، وإذن فراده بلفظ « الأحزاب » المعنى العام ، وهو كل من تحزب على
٢٠ الإسلام ، كما يستفاد ذلك من شرح ديوان أبى تمام للخطيب التبريزى وغيره من كتب السيرة .

(٤) فى الديوان : « مضت » ؛ ومعنى البيت يستقيم على كلتا الروايتين . والضباب : الأحقاد

واحد ضب بفتح الضاد وتكسر .

تَثَبَّتْ إِنْ قَوْلَا كَانَ زُورًا * أَتَى النِّعْمَانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيَادٍ

وَأَرَّثَ بَيْنَ حَيٍّ بَنَى جُلَاحَ * لَطَى حَرْبَ وَحْيٍ بَنَى مَصَادَ^(١)

وَعَادَرَ فِي صَدُورِ الدَّهْرِ قَتْلُ * بَنَى بَدْرَ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ^(٢)

فَأَتَى بِعُنْوَانٍ يُشِيرُ بِهِ إِلَى قِصَّةِ النَّابِغَةِ حِينَ وَشَى بِهِ إِلَى النِّعْمَانَ، بِفَتْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُرُوبِ مَا تَضَمَّنَتْ أَيْبَاتُهُ .

وَأَمَّا الْإِيضَاحُ — وَهُوَ أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامًا فِي ظَاهِرِهِ لَبْسٌ، ثُمَّ يُوَضِّحُهُ فِي بَقِيَّةِ كَلَامِهِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

يَذْكُرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ كَلَّهُ * وَقِيلُ الْخَنَا وَالْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْجَهْلُ

فَإِنَّ الشَّاعِرَ لَوْ أَقْتَصَرَ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ لِأَشْكَلَ مُرَادُهُ عَلَى السَّامِعِ بِجَمْعِهِ بَيْنَ الْفَاضِلِ الْمَدْحِ وَالْمُهْجَاءِ، فَلَمَّا قَالَ بَعْدَ :

فَأَلْقَاكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا مَتَنِّزًا * وَأَلْقَاكَ فِي مَحْبُوبِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ^(٣)

أَوْضَحَ الْمَعْنَى الْمُرَادَ، وَأَزَالَ اللَّبْسَ، وَرَفَعَ الْإِشْكَالَ وَالشَّكَّ .

وَأَمَّا التَّشْكِيكُ — فَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْمُتَكَلِّمُ فِي كَلَامِهِ بِإِظْفَاقِ تَشْكِيكٍ الْمَخَاطَبِ هَلْ هِيَ فَضْلَةٌ أَوْ أَصْلِيَّةٌ لَا غِنَى لِلْكَلَامِ عَنْهَا؟ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾ فَإِنَّ لَفْظَةَ بَدَيْنٍ تَشْكِيكُ السَّامِعَ هَلْ هِيَ فَضْلَةٌ أَوْ أَصْلِيَّةٌ؟ فَالضَّعِيفُ النَّظَرِ يَظُنُّهَا فَضْلَةً لِأَنَّ لَفْظَةَ تَدَايَنْتُمْ تَغْنِي عَنْهَا، وَالنَّاظِرُ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ يَعْلَمُ أَنَّهَا أَصْلِيَّةٌ

(١) أَرَّثَ النَّارَ : أَوْقَدَهَا .

(٢) هُوَ اسْمُ مَاءٍ لَطَمَ عَلَيْهِ دَاخِسُ فَرَسٍ قَيْسِ بْنِ زَهْرٍ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ حَرْبُ دَاخِسٍ وَالْغَبْرَاءِ، أَوْ هُوَ رَدْدَةٌ فِي دِيَارِ عَبَسَ وَسَطِ هَضْبِ الْقَايِبِ يَأْقُوتَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «عَنْ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لأن لفظة الدين لها محامل ، تقول : دأيت فلانا المودة ، يعنى جازيته ، ومنه :
« كما تدن تدان » ومنه قول رؤبة :

دأيت أروى والديون تقضى * فطلت بعضا وأدت بعضا

وكل هذا هو الدين المجازى الذى لا يكتب ولا يشهد عليه ، ولما كان المراد
من الآية تميز الدين المالى الذى يكتب ويشهد عليه ، وتيسير أحكامه ، أوجبت
البلاغة أن يقول : « بدین » ليعلم حكمه .

وأما القول بالموجب — فهو ضربان :

أحدهما أن تقع صفة في كلام مدح شيئاً يعنى به نفسه ، فثبتت تلك الصفة
لغيره من غير تصريح بثبوتها له ، ولا نفيها عنه ، كقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا
إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنهم كنوا
بالأعز عن فريقهم ، وبالأذل عن فريق المؤمنين ، فأثبت الله عز وجل صفة العزة
لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج بصفة العزة ولا لنفيه .

والثانى حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه
كقول الشاعر :

(١) كذا فى الأصل . والذى فى حسن التوسل : « وتبين » ؛ والمعنى يستقيم على كليهما . ١٥

(٢) كذا ورد هذا التعريف فى الأصل وحسن التوسل . وهو غير ظاهر ، إذ أن الذى لا يصرح
بثبوت ولا نفيه إنما هو الحكم الذى ثبتت بواسطته تلك الصفة ، لانفس الصفة ، كما يفهم مما يأتى بعد الآية
الكرامة . وعبارة المخلص : « أحدهما أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شئ ، أثبت له حكم فثبتها
لغيره من غير تعرض لثبوت له أو نفيه عنه » . وقال فى الإيضاح فى شرح قوله : « من غير تعرض لثبوت
له » ما نصه : « أى ثبوت ذلك الحكم لذلك الغير » الخ . ٢٠

(٣) هو ابن ججاج .

٦٦

قلت^(١) : ثَقَلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا * قَالَ : ثَقَلَتْ كَاهِلِي بِالْأَيَادِي
قلت : طَوَلْتُ قَالَ : [لِي] بَلْ تَطَوَّلْتُ * وَأَبْرَمْتُ قَالَ : حَبَلَ الْوُدَادُ^(٢)

ومنه قول الأَرَجَانِي : * غَالَطَنِي إِذْ كَسَتْ جِسْمِي ضَنِّي * البيتين ، وقد
تَقَدَّمَ الأَسْتِشْهَادُ بِهِمَا فِي الأَسْتِدْرَاكِ .

وللمولى شهاب الدين محمود الحلبي الكاتب في ذلك :

رَأَيْتَنِي وَقَدْ نَالَ مَنَى النُّحُولِ * وَفَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى الْخَلْدِ فَيضًا
فَقَالَتْ : بَعِينِي هَذَا السَّقَامُ * فَتَلْتُ : صَدَقَتْ ، وَبِالْخَصْرِ أَيْضًا
وَقَوْلُ مُحَاسِنِ الشَّوَاءِ :

وَلَمَّا أَتَانِي الْعَاذِلُونَ عَدْمُهُمْ * وَمَا فِيهِمْو إِلَّا لِلْحَمَى قَارِضُ
وَقَدْ بُهَتُوا لَمَّا رَأَوْنِي شَاحِبًا * وَقَالُوا : بِهِ عَيْنٌ فَقُلْتُ : وَعَارِضُ .

وأما القلب — فهو أن يكون الكلام أو البيت كيفما آنقَلَبَتْ حروفه كان
بحاله لا يَتَغَيَّرُ ، ومنه في التنزيل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ فِي فَلَكٍ ﴾ ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ﴾ وقولهم :
سَاكِبُ كَاسٍ ؛

ومنه قول العِمَادِ الأَصْفَهَانِيَّ لِلْقَاضِي الْفَاضِلِ : سِرُّ فَلَا كِبَا بَكَ الْفَرَسُ ، وجوابُ
النَّاضِي الْفَاضِلِ لَهُ : دَامَ عَلَا الْعِمَادُ ، وَهِيَ أَوَّلُ قَصِيدَةٍ لِلأَرَجَانِيَّ ، مَطْلَعُهَا : « دَامَ عَلَا
الْعِمَادُ » ، ومن ذلك قول الأَرَجَانِيَّ :

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوَلٍ * وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتِهِ تَدُومُ

(١) كذا في الأصل وحسن التوصل . والذي في خزانة الأدب لابن حجة ص ١٤٥ ط بولاق :
« قال ثقلت » في صدر البيت الأَوَّلُ ، وفي عجزه : « قلت » وكذلك في البيت الثاني ؛ وكلنا الراييتين تؤدي
معنى صحيحا . ٢٠

(٢) في الأصل : « قال بل » بإسقاط « لي » ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوصل إذ بها يستقيم الوزن .

وأما التندير — فهو أن يأتى المتكلم بنادرة حلوة ، أو نكتة مستظرفة^(١)
يُعرض فيها بمن يريد ذمّه بأمر ، وغالب ما يقع فى المَزَل ، فمنه قول أبى تمام فيمن
سرق له شعرا :

- مَنْ بُنُوْ مُحَمَّدٍ ، مَنْ أَبْنُ الْحُبَابِ * مَنْ بُنُو تَغْلِبْ غَدَاةُ الْكَلَابِ^(٢)
مَنْ طَفِيلٌ ، مَنْ عَامِرٌ ، أَمْ مَنْ الْحَا * رَثٌ ، أَمْ مَنْ عُتَيْبَةُ بْنُ شِهَابِ^(٣)
إِنَّمَا الضَّيْغَمُ الْمَصُورُ أَبُو الْأَشْ * بِهَالِ هَتَّاكَ كُلِّ خَيْسٍ وَغَابِ
مَنْ عَدَتْ خَيْلُهُ عَلَى سَرَحٍ شَعْرَى * وَهُوَ لِلْحَيْنِ رَاتِعٌ فِي كِتَابِ
يَا عَذَارَى الْكَلَامِ صَرَّتْ مِنْ بَعْدِ * لَدَى سَبَايَا تُبْعَنُ فِي الْأَعْرَابِ
لَوْ تَرَى مَنْطِقَى أَسِيرَا لِأَصْبَحْتَ أَسِيرَا ذَا عُبْرَةٍ وَأَكْتَنَابِ
طَالَ رَغْبَى إِلَيْكَ مِمَّا أَقَاسِي * بِهِ وَرُهِبِي يَارَبِّ فَاحْفَظْ ثِيَابِي^(٤)
ومن ذلك ما قاله شهاب الدين بن الحليم يُعرض بنجم الدين بن أسرائيل لما
تنازعا فى القصيدة المعروفة لابن الحليمى التى أَوَّلَهَا :
* يَا مَطْلَبًا لَيْسَ لِي مِنْ غَيْرِهِ أَرْب *
فقال من قطعة منها :

- هَمْ الْعَرِيبُ بَنَجْدٍ مَذْعَرَفْتُهُمْ * لَمْ يَبْقَ لِي مَعَهُمْ مَالٌ وَلَا نَشَبِ^(٥)
فَا أَلْمُوا بِحَىٍّ أَوْ أَلَمْ بِهِمْ * إِلَّا أَغَارُوا عَلَى الْأَبْيَاتِ وَأَنْتَهَبُوا
لَمْ يَبْقَ مَنْطِقُهُ قَوْلًا يَرُوقُ لَنَا * لَقَدْ شَكَتْ ظَلَمُهُ الْأَشْعَارُ وَالْخَطَبِ .

- (١) أراد به محمد بن يزيد الأموى . انظر شرح ديوان أبى تمام للخطيب التبريزى المحفوظ منه
نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش .
(٢) أراد عمير بن الحباب السلمي انظر شرح ديوان أبى تمام المتقدم .
(٣) فى الأصل : « جيش » بنجم فوقية وشين معجمة ، وهو تصحيف . وخيس الأسد : عرينه .
(٤) فى الأصل « بابن » بالباء ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضى اللام .
٢٠

وأما الإسجال بعد المغالطة — فهو أن يقصد الشاعر غرضاً من ممدوح
فيشترط لحصوله شرطاً ، ثم يقدّر وقوع ذلك الشرط مغالطة لئسجل به استحقاق
مقصوده ، كقول بعضهم :

جاء الشتاء وما عندي لقرته * إلا أرتعادي وتصفيقي بأسناني
فإن هلك فـولانا يكفني * هبني هلك فـهني بعض أكناني .

وأما الأفتنان — فهو أن يأتي الشاعر بفنّين متضادين من فنون الشعر
في بيت واحد ، مثل التشبيب والحماسة ، [والمديح^(١) والهجاء ، والهناء والعزاء
فأما ما جمع فيه بين التشبيب والحماسة فكقول عنزة :

إن أغد في دوني القناع فإني * طـب^(٢) بأخذ الفارس المستلم

وكقول أبي دلف — ويروى لعبد الله بن طاهر — :

أحبك يا جنان وأنت مني * محلّ الروح من جسد الجبان

ولو أني أقول محلّ روعي * لحفّت عليك بادرة الطعان .

وأما ما جمع فيه بين تهنئة وتعزية فقد تقدّم ذكر ذلك في بابي التهاني والتعازي
ومنه فيما لم نوردّه هناك ما كتب به المولى شهاب الدين محمود الكاتب تهنئة وتعزية
لمن رزق ولداً ذكر في يوم ماتت له فيه بنت :

ولا عتب على الدهر فيما آقترف ، فقد أحسن الخلف ؛ واعتذر بما وهب
عما سلب ، فعفا الله عما سلف .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وصحة التمثيل تقتضي إثباتها .

(٢) أغدفت المرأة قنائها ؛ أرسلته على وجهها . والطب بفتح أوله : الماهر الحاذق .

وأما الإيهام - بباء موحدة فهو أن يقول المتكلم كلاماً مبهماً يحتمل
معنيين متضادين ، كقول بعضهم في الحسن بن سهل لما تزوج المأمون بنته
بُوران :

بارك الله للحسن * ولُبُورانَ في الختن

يا إمام الهدى ظَفر * تَ ولكن بنت مَن

فلم يُعرف مرأده «بنت من» هل أراد به الرفعة أو الضعة ؟

ومنه قولُ بشار في خياط أعور اسمه عمرو :

خاط عمرو لي قباء * ليت عينه سواء

فأبهم المعنى في الدعاء له بالدعاء عليه .

وأما حصر الجزئى وإلحاقه بالكلّى - فهو كقول السّلامى :

إليك طوى عَرْضَ البسيطة جاعلٌ * قُصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنتُ وعزى في الظلام وصارمى * ثلاثة أشباه^(١) كما اجتمع النسر

وبشّرتُ آمالى بملك هو الورى * ودارى هى الدنيا ، ويوم هو الدهر .

فأما حصر أقسام الجزئى فإن العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف

مكان ، وقد حصر ذلك ؛

وأما جعله الجزئى كلياً فإن المدح جزء من الورى ، والدار جزء من الدنيا ، واليوم

جزء من الدهر .

(١) كذا في يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٦٣ ط الحفنية ، وخزانة الأدب للحموى ص ٤٥٤ ط

بولاق ، وتحرير التحير لابن أبى الإصبع المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٤٦٥

بلاغة . وفي الأصل : أشياء ، وما أثبتناه أقرب الى معنى البيت ، وأظهر فى المراد .

وأما المقارنة — فهي أن يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه أو المبالغة أو غير ذلك بوصل يَخْفَى أثره إلا على مُدْمِن النظر في هذه الصناعة ، وأكثُر ما يقع ذلك بالجمل الشرطية ، كقول بعض شعراء المغرب ^(١) :

وكنْتَ إذا اسْتُرِلْتَ من جانب الرضى * نزلتْ نزولَ الغيث في البلد المحل
وإن هيج الأعداء منك حفيظةً * وقعتْ وقوعَ النار في الحطب الجزل
فإنه لاءم بين الاستعارة والتشبيه المنزوع الأداة في صدرى بيته وعجزيهما .

وأما ما قرنت به الاستعارة من المبالغة فمثاله قول النابغة الذبياني :
وأنت ربيع ينعش الناس سيبه * وسيف أغيرته المنية قاطع
فإن في كل من صدر البيت وعجزه استعارة ومبالغة ، وإنما التي في العجز أبلغ .
ومما اقترن فيه الإرداف بالاستعارة قول تميم بن مقبل :
لئن غدوة حتى نزعنا عشيّة * وقدمات شطر الشمس والشطر مدنف
فإنه عبر بموت شطر الشمس عن الغروب ، واستعار الدنف للشطر الثاني .

وأما الإبداع — فهو أن يأتي في البيت الواحد من الشعر ، أو القرينة الواحدة من النثر بعدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملته ، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان من البديع ، ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بإبداع

قال ابن أبي الإصبع : وما رأيتُ فيما استقرتُ من الكلام كآية استخرجتُ منها أحدا وعشرين ضربا من المحاسن ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ ﴾

(١) هو إدريس بن اليمان كما في تحرير التحبير لابن أبي الإصبع .

(٢) في الأصل : « الإرادة » ؛ وهو تحريف .

- وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ : وهى المناسبة التامة فى « أَقْلَعِي » و « أَقْلَعِي » ؛ والمطابقة بذكر الأرض والسماء ؛ والمجاز فى قوله : « يَا سَمَاءُ » ، فإن المراد - والله أعلم - يامطر السماء ؛ والاستعارة فى قوله تعالى : « أَقْلَعِي » ؛ والإشارة فى قوله تعالى : « وَغِيضَ الْمَاءِ » فإنه عبر بهاتين اللفظتين عن معان كثيرة ؛ والتمثيل فى قوله تعالى : « وَقُضِيَ الْأَمْرُ » فإنه عبر عن هلاك المالكين ونجاة الناجين بغير لفظ المعنى الموضوع له ؛ والإرداف فى قوله : « وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى » فإنه عبر عن استقرارها بهذا المكان استقراراً متمكناً بلفظ قريب من لفظ المعنى ؛ والتعليل ، لأن غيظ الماء علة الاستواء ؛ وصحة التقسيم إذ استوعب الله تعالى أقسام أحوال الماء حالة تقصيه ، إذ ليس إلا احتباس ماء السماء ، واحتقان الماء الذى ينبع من الأرض ، وغيض الماء الحاصل على ظهرها ؛ والاحتراش فى قوله تعالى : « وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » إذ الدعاء عليهم يُشعر أنهم مستحقو الهلاك احتراساً من ضعف العقل يتوهم أن العذاب شمل من يستحق ومن لا يستحق ، فتأكد بالدعاء كونهم مستحقين ؛ والإيضاح فى قوله : « لِلْقَوْمِ » ليبين أن القوم الذين سبق ذكرهم فى الآية المتقدمة حيث قال : ﴿ وَكَلَّمَ مَرَّةً عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ هم الذين وصفهم بالظلم ليعلم أن لفظة القوم ليست فضلة وأنه يحصل بسقوطها لبس فى الكلام ؛ والمساواة لأن لفظ الآية لا يزيد على معناها ؛ وحسن النسق ، لأنه تعالى عطف القضايا بعضها على بعض بحسن ترتيب ؛ وائتلاف اللفظ مع المعنى ، لأن كل لفظة لا يصلح موضعها غيرها ؛ والإيجاز ، لأنه سبحانه وتعالى أقتص القصّة بلفظها مستوعبة بحيث لم يُخلّ منها بشيء فى أقصر عبارة ؛ والتسليم ، لأن أول الآية الى قوله : « أَقْلَعِي »

(١) يقتضى آخرها ، والتعذيب ، لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن ، عليها رونق الفصاحة ، سليمة من التعقيد والتقديم والتأخير ، والتمكن ، لأن الفاصلة مستقرة في قرارها ، مطمئنة في مكانها ، والأنسجام ، وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء ، وما في [مجموع] الآية من الإبداع ، وهو الذى سُمي به هذا الباب . فهذه سبع عشرة لفظة تَضَمَّنَتْ أحدا وعشرين ضربا من البديع غير ما تكرر من أنواعه فيها .

وأما الانفصال — فهو أن يقول المتكلم كلاما يتوجه عليه فيه دَخَلُ لو أَقْتَصَرَ عليه ، فيأتى بما يفصله عن ذلك الدَّخَل ، كقول أبي فراس :

ولقد نِيَّتُ إبْلِدَ * س إذا رَاكَ يَصُدُّ

ليس من تقوى ولكن * ثَقُلَ فيك و بَرْدُ

والفرق بين هذا وبين الاحتراس خلوا الاحتراس من الدَّخَل عليه من كل وجه .

وأما التصرف — فهو أن يتصرف المتكلم فى المعنى الذى يقصده ، فيبرزه فى عدة صور : تارة بلفظ الاستعارة ، وطورا بلفظ التشبيه ، وآونة بلفظ الإرداف وحيناً بلفظ الحقيقة ، كقول امرئ القيس يصف الليل :

وليل كموج البحر مُرَخَّ سُدُولُهُ * على بأنواع الهموم لِيَبْتَلِي

فقلتُ له لما تَمَطَّى بَصْلُهُ * وأردف أعجازا وناء بكلكل

فإنه أبرز المعنى بلفظ الاستعارة ، ثم تصرّف فيه فأتى بلفظ التشبيه فقال :

(١) فى الأصل : « نقيض » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . واستقامة الكلام تقتضى إثباتها . انظر تحرير التعبير لابن

فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت يذبل^(١)

ثم تصرف فيه فأخرجه بلفظ الإرداف فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي * بصبح وما الإصباح منك بأمثل^(٢).

وأما الاشتراك — فإنه ما ليس بحسن ولا قبيح ، وهو الاشتراك في الألفاظ

مثل اشتراك الأيبرد وأبي نواس في لفظة الاستعناء ، فإن الأيبرد قال في مرثية أخيه :

وقد كنت أستعفى الإله إذا اشتكى * من الأجر لى فيه وإن عظم الأجر

وقال أبو نواس :

(٦٩)

ترى العين تستعفيك من لمعانها * وتحسرحتى ما تقيّل جفونها^(٣)

ومنه الحسن ، وهو الاشتراك في المعنى ، كقول امرئ القيس :

كبر المقاتاة البياض بصفرة * غذاها تمير الماء غير المحلل^(٤)

وقول ذى الرمة :

كلاء في برج صفراء في دجج^(٥) * كأنها فضة قد مسها ذهب

(١) يذبل : جبل بنجد في طريقها يا قوت .

(٢) في الأصل : « فيك » ؛ وهو تحريف .

١٥

(٣) في الأصل : « وتحسن » ؛ بالنون ؛ وهو تحريف . وهذا البيت في صفة الخمر ؛ يريد أن العين تكل عن النظر إليها من شدة لمعان هذه الخمر وبريقها حتى إن العين تستعفى الناظر من أن يكلفها النظر إليها ، أى تطلب منه أن يعفيا من ذلك .

(٤) المقاتاة من قانيت بين الشئين : أى خلطت أحدهما بالآخر . والمحلل : الذى لم يكثر حلول الناس

٢٠

عليه فيكدرونه بكثرة وروده ؛ يريد تشبيهه محبوبته بيضة النعامة التى يخالط بياضها صفرة ، وهو من الألوان التى تحمد عند العرب ؛ وأن غذاها الماء العذب الصافى الذى لم يكره الواردون .

(٥) البرج بفتح أوله وثانيه فى العين : نقاء بياضها وصفاء سوادها ، أو هو اتساعها . والدجج :

(١) فوق الاشتراك بينهما في وصف المرأة بالصفرة ، غير أنت الأول شبه الصفرة
ببيضة النعامة ، والآخر وصفها بالفضة المموهة ؛

ومن الاشتراك المعنوي ما ليس بحسن ولا معيب ، كقول كثير :

وأنت التي حبيبتي كل قصيرة * إلى وما تدري بذلك القصائر

عنيت قصيرات المجال ولم أرد * قصار الخطأ ، شر النساء البحار^(٢)

فإن لفظة قصيرة مشتركة ، فلو اقتصر على البيت الأول لكان الاشتراك معيبا
لكنه لما أتى بالبيت الثاني زال العيب ، ولم يبلغ رتبة الحسن لما فيه من التضمين .

وأما التهم — فالفرق بينه وبين الهزل الذي يراد به الجد أن التهم ظاهره جد
وباطنه هزل ، والهزل الذي يراد به الجد على العكس منه ، فمن التهم قول الوجيه
الذروي في ابن أبي حصينة من أبيات :

لا تظن حذبة الظهر عيبا * فهي في الحسن من صفات الهلال

وكذلك القسي محدوبات * وهي أنكى من الظبا والعوالى

وإذا ما علا السنام ففيه * لقروم الجمال أي جمال

وأرى الأنحاء في مقلب البا * زى ولم يعد مقلب الرئبال

ككون الله حذبة فيك إن شئت * من الفضل أو من الإفضال

فأنت ربوة على طود علم * وأنت موجة يحمر نوال

ما رأتها النساء إلا تمت * أنها حلية لكل الرجال

(١) في الأصل : « فوقوع » ؛ والواو النانية زيادة من النسخ .

(٢) البحار : القصار من النساء ، واحد بحرة .

ثم ختمها بقوله :

وإذا لم يكن من المهجر بُدٌّ * فعسى أن تزورنا في الخيال^(١)
وكقول ابن الرومي :

فياله من عمل صالح * يرفعه الله إلى أسفل .

- وأما التدبيج — وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألوانا يقصد بها الكناية أو التورية بذكرها عن أشياء من وصف أو مدح أو هجاء أو نسيب أو غير ذلك من الفنون ، فمن ذلك قول الحريري في بعض مقاماته : فمذازور المحبوب الأصفر وآغبر العيش الأخضر ، اسود يومى الأبيض ، وأبيض فودى الأسود ، حتى رثى لى العدو الأزرق ، فخبذا الموت الأحمر .

- وهذا التدبيج بطريق التورية . وقال بعض المتأخرين يصف موقف السلطان^(٢)
الملك الناصر بمصاف شقحب الكائن بينه وبين التار في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعائة :

- وما زال بوجهه الأبيض ، تحت علمه الأصفر ، يكابد الموت الأحمر ، تجاه العدو الأزرق ، الى أن حال بينهما الليل الأسود ، وبكر في غمرة نهار الأحد الأشعل وأمتطى السبيل الأحوى الى أن حلّ بالأبلق . يريد بالأبلى : القصر الظاهري^(٣)
الذى بالميدان الأخضر بظاهر مدينة دمشق ، ومن أمثلة هذا الباب قول ابن حيوس الدمشقي :

(٧٠)

- (١) في الأصل : « تزورني » ؛ والياء زيادة من النسخ .
(٢) في الأصل : « يومى » ، وهو تحريف .
(٣) قال في القاموس شقحب بكسر الشين : موضع قرب دمشق . والذي يستفاد من تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ٥ ط القسطنطينية أن هذا الموضع في طرف مرج الصفر .
(٤) في الأصل : « البيت » ؛ وهو تحريف .

إن تُردِّ علمَ حالهم عن يقين * فآلقهم يوم نائل أو قتال
تلق بيض الوجوه سوداً مثار الذئب * تبع خضراً الأَكَافَ حُمَرَ النَّصَالِ .

وأما الموجه — فهو الذي يمدح بشيء يقتضى المدح بشيء آخر، كقول المتنبي:
نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ * لَهْنَتْ الدُّنْيَا بِأَنْكَ خَالِدِ

وكقوله أيضاً :

عُمِّرَ الْعَدُوُّ إِذَا لَقَاهُ فِي رَجَحٍ * أَقْلٌ مِنْ عُمُرٍ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبَا
فأول البيتين وصف بفرط الشجاعة، وآخر الأول بعلو الدرجة ، وآخر الثانى بفرط
الجود .

وأما تشابه الأطراف — فهو أن يجعل الشاعر [قافية] بيته الأَوَّلَ أَوَّلَ البيت
الثانى، وقافية الثانى أَوَّلَ الثالث، وهكذا إلى انتهاء كلامه، ومن أحسن ما قيل فيه
قول ليلي الأَخِيلِيَّةَ تَمْدَحُ الْحِجَّاجَ :

إِذَا نَزَلَ الْحِجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً * تَتَّبِعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاها
شَفَاها مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا * غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاها
سَقَاها فَرَوَاهَا بِشُرْبِ سِجَالِهَا * دِمَاءَ رِجَالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا^(٣) .

هذا ما أورده فى حسن التوسل من علوم المعانى والبيان والبديع، وقد أتينا على
أكثره بنصه لما رأيناه من حسن تأليفه، وبديع ترصيفه، وأن اختصاره لا يمكن

(١) كذا فى الأصل . والذى فى حسن التوسل : « هو أن يمدح » ؛ وهو أظهر، فإن التعريف
عليه يكون لنفس هذا النوع من الكلام ؛ ومقتضى عبارة الأصل أن التعريف لنفس التكلم، وهو غير
ما سار عليه فى تعريف سائر الأنواع .

(٢) هذه الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن حسن التوسل ، إذ بها
يستقيم التعريف .

(٣) الصرى : اللبن الفاسد المتغير الطعم ، استعارته هنا للدماء .

إلا عند الإخلال بفائدة لا يُستغنى ^(١) [عنها] فلم نحذف منه إلا ما تكرر من الأمثلة والشواهد ، لأستغنائنا بما أوردناه عمّا حذفناه ، فالنسبة فيه إلى فضائله وفضله والعمدة على شواهد ونقله ، فلقد أحسن التأليف ، وأجاد التعريف ، وأحتمل التوقيف ، وحرر الشواهد ، وأوضح السبيل حتى صار الغائب عن هذه الصناعة إذا طالع كتابه كالشاهد ، وأبدع في صناعة البديع ، وبيّن علم البيان بحسن الترصيف والترصيع ، واعتنى بالنماط المعاني فصرف أعتنى ببنائه ، وأبان مشكلها فأحسن في بيانه ، وحلّ من التعقيد عقلاها الذي عجز غيره عن حله ، وسهل للأفهام مقالها فأبرزته الألسنة من محرم اللفظ إلى حله ، فله المنة فيما ألف ، والفضل بما صنّف .

وأما ما يتصل بذلك من خصائص الكتابة — فالأقتباس

والاستشهاد والحل :

١٠

[فالأقتباس ^(١) هو أن يُضمّن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث ، ولا يُنبّه عليه للعالم به ، كما في خطب ابن نُبّاتة ، كقوله : فيا أيها الغفلة المطرقون ، أما أنتم بهذا الحديث مصدّقون ؟ ما لكم لا تُشفّقون ؟ ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثَلِ مَا أَنْتُمْ تَتَطَفُّونَ ﴾ . وكقوله أيضا : يوم يبعث الله العالمين خلقا جديدا ، ويجعل الظالمين لجهنم وقودا ، يوم تكونون "شهداء على الناس" وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ، ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .

١٥

ومن ذلك ما أورد المولى شهاب الدين محمود في تقليد عن الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بالسلطنة ، جاء منه : وجمع بك شمل الأمة بعد أن "كادَ يزيغُ

٢٠

(١) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل . والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) كذا في حسن التوسل . والذي في الأصل : « الكاتب » .

قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ“ ، وعَضَدَكَ لِإِقَامَةِ إِمَامَتِهِ بِأَوْلِيَاءِ دَوْلَتِكَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ،
 وَخَصَّكَ بِأَنْصَارِ دِينِهِ الَّذِينَ نَهَضُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَهُمْ فَارَهُونَ ، وَأَظْهَرَكَ
 عَلَى الَّذِينَ ”ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ
 وَهُمْ كَارِهُونَ“ ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الْأَسْتِشْهَادُ بِالْآيَاتِ — فَهُوَ أَنْ يَنْبَهَ عَلَيْهَا ، كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : فَقُلْتَ وَأَنْتَ
 أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وَنَحْوُ ذَلِكَ .

وَفِي الْأَحَادِيثِ بِالتَّنْبِيهِ عَلَيْهَا أَيْضًا ، كَقَوْلِ الْمَوْلَى شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ فِي خُطْبَةٍ
 تَقْلِيدٍ حَاكِيٍّ : وَنُصِّلِي عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَسْتَخْرِجُهُ اللَّهُ مِنْ عُنْصُرِ أَهْلِهِ وَذَوِيهِ ،
 وَشَرَّفَ قَدْرَ جَدِّهِ بِقَوْلِهِ فِيهِ : ”إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ“ وَسَرَّهُ بِمَا أَسَرَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ
 هَذَا الْأَمْرَ فُتِّحَ بِهِ وَيُخْتَمَ بِهِ . وَأَمْثَالُ ذَلِكَ [لَا تُحْصَرُ] .

[وَأَمَّا الْحَلُّ] — وَهُوَ بَابٌ مُتَّسِعُ الْمَجَالِ ، وَمِلَاكُ أَمْرِ الْمُتَصَدِّقِ لَهُ أَنْ يَكُونَ
 كَثِيرَ الْحِفْظِ [لِلْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَالْآثَارِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَشْعَارِ لِيُنْفِقَ مِنْهَا وَقْتُ الْإِحْتِيَاجِ
 إِلَيْهَا] .

قَالَ : وَكَيْفِيَّةُ الْحَلِّ أَنْ يَتَوَخَّى هَدْمَ الْبَيْتِ الْمَنْظُومِ ، وَحَلَّ فَرَائِدَهُ مِنْ سِلْكِهِ ، ثُمَّ
 يَرْتَّبُ تِلْكَ الْفَرَائِدَ وَمَا شَابِهَهَا تَرْتِيبَ مُتَمَكِّنٍ لَمْ يَحْصُرْهُ الْوِزْنُ ، وَيُبْرِزُهَا فِي أَحْسَنِ
 سِلْكِ ، وَأَجْمَلَ قَالِبٍ ، وَأَصَحَّ سَبْكٍ ، وَيَكْمَلُهَا بِمَا يَنَاسِبُهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ إِنْ أُمِكنَ
 ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ كُفَّةٍ ، وَيَتَخَيَّرُ لَهَا الْقُرَائِنَ ، وَإِذَا تَمَّ مَعَهُ الْمَعْنَى الْمَحْلُولُ فِي قَرِينَةٍ وَاحِدَةٍ
 يَغْرَمُ لَهُ مِنْ حَاصِلِ فِكْرِهِ ، أَوْ مِنْ ذَخِيرَةِ حَفِظِهِ مَا يَنَاسِبُهُ ، وَلَهُ أَنْ يَنْقُلَ الْمَعْنَى إِذَا
 لَمْ يُفْسِدْهُ إِلَى مَا شَاءَ ، فَإِنْ كَانَ نَسِيبًا وَتَأَنَّى لَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ مَدِيحًا فَلْيَفْعَلْ ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ

(١) هَذِهِ التَّكْلَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ، وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ .

من الأنواع ؛ وإذا أراد الحَلَّ بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبةً لألفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها ، فمُتَى قَصُرَتْ عنها واو بلفظة واحدة فسد ذلك الحَلُّ وعُدَّ معيباً ؛ وإذا حَلَّ باللفظ فلا يَتَصَرَّفُ بتقديم ولا تأخير ولا تبديل إلا مع مُراعاة نظام الفصاحة في ذلك ، واجتناب ما يَنْقُصُ المعنى ويَحْطُّ رتبته ؛ وهذا الباب لا تنحصر المقاصد فيه ، ولا حَجَرَ على المتصَرِّف فيه .

٥

قال : ومما وقع التصرف فيه بزيادة على المعنى قولُ ضياء الدين بن الأثير الجزريّ في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير : وهذه لمبتدا ضعفى خبره ، ولِقَوْسٌ ظهري وتَر ، وإذا كان إلقاؤها دليلاً على الإقامة فإن حملها دليل على السفر . والمحلول في ذلك قول بعضهم :

كأُتِي قَوْسٌ رَامٍ وَهِيَ لِي وَتَرٌ *
١٠

وقول الآخر :

فأَلَقْتُ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّتْ بِهَا النُّوَى * كَمَا قَرَّ عَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ .

وأما ما يحتاج فيه الى مؤاخاة القرينة المحلولة بمثلها أو ما يناسبها فكما قال المولى شهاب الدين محمود في تقليد :

فَكَمْ مَلَّ ضَوْءُ الصَّبْحِ مِمَّا يُغَيِّرُهُ ، وَظَلَامُ النَّقْعِ مِمَّا يُثِيرُهُ ؛ وَحَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا يَلَاطُمُهُ
وَالْأَجَلُ مِمَّا يَسَابِقُهُ إِلَى قَبْضِ الْأَرْوَاحِ وَيَزَاحِمُهُ .
١٥

والقرينتان الأوليانِ نَصُفَا بَيْتَيْنِ لِلتَّنْبِي ، فأضاف الى كل قرينة ما يناسبها ، وهذا من أكثر ما يستعمل في الكتابة ، ولا ينبغي للكاتب أن يعتمد في جميع كتابته على الحَلِّ ، فيتكلَّ خاطره على ذلك ، ويذهب رَوْنُقُ الطبع السليم ، وتَقَلُّ مادة الانسجام بل يكون استعمال ذلك كاستعمال البديع اذا أتى عفواً من غير تكلف ليكون كالشاهد
٢٠

على صحة الكلام ، والدالّ على الاطلاع ، وكالرقم في الثوب ، والشذرة في القلادة والواسطة في العقد ، إذ لا ينبغي للكاتب أن يُخْلِ كلامه من نوع من أنواع المحاسن .
ويقرب من هذا النوع التلميح ، وقد تقدّم ذكره في بعض أبواب البديع ،
والذي يقع في بعض استعماله في مثل ذلك مثل قول الحريري : وإني والله لطالما
لقيت الشتاء بكافاته ، وأعددت الأهبة له قبل موافاته . يشير الى بيتي ابن سكرة :
* جاء الشتاء وعندي من حوائجه *

وهي مشهورة .

فإذا عرف الكاتب هذه العلوم ، وأتى الصناعة من هذه الأبواب تعيّن عليه
أمر آخر نذكرها الآن .

٧٢

١٠ ذكر ما يتعين على الكاتب استعماله والمحافظة عليه والتمسك به

وما يجوز في الكتابة وما لا يجوز

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : فإن أحتجت الى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء
والكتاب والأدباء والخطباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم ، فخاطب كلاً على قدر
أهته وجلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وفطنته وأنتباهه ، ولكل طبقة من هذه الطباق
معانٍ ومذاهبٍ يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك إياهم في كتبك ، وترن كلامك
في مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمته ، وتوفيه نصيبه ، فإنك متى أهملت ذلك وأضعته
لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ، وتجرى شعاع
بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه ، فلا تعتد بالمعنى الجزل
ما لم تلبسه لفظاً [لائقاً بمن كاتبته^(١) ، وملا مسال من راسلته] ، فإن إلباسك المعنى

٢٠ (١) التكملة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٦ ط العثمانية ؛ واستقامة الكلام تقتضى إنباتها
وموضعها بالأصل جملة مكررة مع ما سيأتى ، وهي قوله : « مختلفاً على قدر المكتوب اليه » .

— وإن صحَّ وشرف — لفظاً مختلفاً عن قدر المكتوب إليه لم تجر به عادته تهجيناً للمعنى وإخلالاً بقدره، وظلم يالحق المكتوب إليه، ونقص ما يجب له، كما أن في اتباع تعارفهم، وما انتشرت به عاداتهم، وجرت به سنتهم، قطعاً لعذرهم، وخروجاً من حقوقهم، وبلوغاً إلى غاية مُرادهم، وإسقاطاً لُجّة أدبهم.

- وقال أحمد بن محمد بن عبد ربّه : فأمثل هذه المذاهب ، وأجر [على هذا] (٣)
- القوام ، وتحفظ في صدور كتبك وفصولها وأفتاحها وخواتمها ، وضع كل معنى في موضع يليق به ، وتخيار الكل لفظاً معنى يشاكلها ، وليكن ما تختتم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل : « نسال الله دفع المحذور ، وصرف المكرود » وأشباه ذلك ، وفي موضع ذكر المصيبة : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، وفي موضع ذكر النعمة : « الحمد لله خالصاً ، والشكر لله واجباً » وما يشاكل ذلك ، فإن هذه المواضع مما يتعين على الكاتب أن يتفقدده ويتحفظ منه ، فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في موضعه ، ويعلق كل لفظ على طبقها في المعنى .

قال : واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آي القرآن من الاختصار والحذف ، ومخاطبة الخاص [بالعام] (٥) والعام بالخاص ، لأن الله تعالى إنما خاطب

- (١) كذا في الأصل . والذي في العقد الفريد : « بحق المكتوب » الخ ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .
- (٢) في الأصل : « عليه » ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن العقد الفريد .
- (٣) في الأصل : « وأجر عليها القوم » ؛ وفيه نقص ، والزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٨ ط العثمانية ، والذي في العقد : « هذه » ؛ وهو غير مستقيم كما لا يخفى ، والقوام بكسر التاء : نظام الأمر وملاكه وعماده .
- (٤) كذا في العقد الفريد . والذي في الأصل : « في صدرك » ؛ وهو تحريف .
- (٥) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٨ ط العثمانية ؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها .

بالقرآن قوماً فصحاء ففهموا عنه — جل ثناؤه — أمره ونهيّه ومراده، والرسائل إنما يخاطب بها قوم دُخلاءً^(١) على اللغة لا علم لهم بلسان العرب؛ وكذلك ينبغي للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك، والمعنى المتببس، فإنه إن ذهب ليكتب على معنى قول الله تعالى: ﴿وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وكتبه تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ احتاج أن يبين أن معناه: أسأل أهل القرية، وأهل العير، وبل مكركم بالليل والنهار؛ قال: وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المنشورة ما يجوز في الأشعار الموزونة، لأن الشاعر مضطر، والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافي، فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء، وحذف ما لا يحذف منها، واغترفوا فيه سوء النظم، وأجازوا فيه التقديم والتأخير، والإضمار في موضع الإظهار، وذلك كله غير سائغ في الرسائل، ولا جائز في البلاغات؛

فما أجزى في الشعر من الحذف قول الشاعر:

معين التارح
لاهل التارح

* قواطنا مكة من ورق الحمأ *

يريد الحمأ، وكقول الآخر:

* صفرو الوشاحين صموت الخلل *

يريد الخلل، وكقول الحطيئة:

فيها الرماح وفيها كل سابعة * جدلاء مسرودة من فعل سلام^(٢)

يريد سليمان، وكقول الآخر:

وسائلة بشعبة بن سير * وقد علق بشعبة العلوق^(٤)

(١) كذا في العقد الفريد . وعبارة الأصل : « جهلاء عن » انخ ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « واعتبروا » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا في الأصل . والمشهور في روايته : « من نسج » .

(٤) العلوق بفتح العين : المنية .

يريد ثعلبة بن سيار^(١) ، وكقول الآخر :

فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ * وَلَاكِ آسَقْنِي إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ

(٧٣)

[أراد وإيكن]^(٢) قال : وكذلك لا ينبغي في الرسائل أن يُصَغَّرَ الأَسْمُ في موضع التعظيم وإن كان ذلك جائزا ، مثل قولهم : دَوِيهِيَّةٌ تصغير داهية ، وجذيل وعذيق^(٣) ، تصغير جذل وعذيق . قال لبيد :

وَكُلُّ أَنْاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ * دَوِيهِيَّةٌ تصغر منها الأنامل

قال : فتخير في الألفاظ أرجحها وزنا ، وأجزلها معنى ، وأشرفها جوهرًا وأكرمها حسبا ، وأليقها في مكانها ، وأدبر الكلام في أماكنه ، وقلبه على جميع وجوهه ، ولا تجعل اللئيمة قاتمة في موضعها ، نافرة عن مكانها ، فإنك متى فعلت ذلك هجنتَ الموضوع الذي حاولت تحسينه ، وأفسدت المكان الذي أردت إصلاحه . فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها ، والقصد بها إلى غير مظاهرها ، إنما هو كترقيق الثوب الذي إن لم تشابه رقاؤه ، ولم تتقارب أجزاؤه ، خرج عن حد الجدة ، وتغير حسنه ، كما قال الشاعر :

إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقٍ * يَبِينُ لِلنَّاسِ أَنَّ الثَّوبَ مَرْقُوعٌ

انتهى ما أورده ابن عبد ربه .

وقال المولى الفاضل شهاب الدين محمود الحلبي : ومما يتعين على الكاتب استعماله ، والمحافظة عليه ، والتمسك به ، إعطاء كل مقام حقه ، فإذا كتب في أوقات

(١) في الأصل : «يسار» ؛ وفيه قلب ، والتصويب عن شرح القاموس . ويدل عليه أيضا ما تقدم في البيت .

(٢) التلمذة عن العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٢ ط الشرفية ؛ وقد أثبتناها ليوافق ما مر في الأبيات التي قبله ، إذ أنه بعد إيراد البيت يعتبه بمراد قائله من الكلمة التي حذف بعض حروفها .

(٣) الجذل : عود ينصب للإبل الجربي تحنك به لتشفى ؛ أو هو ما عظم من أصول الشجر . والعذق : الذخلة بجملها ؛ أشار بهذا إلى قول الحباب بن المنذر يوم السقيفة : أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب .

الحروب إلى ثواب الملك عنه ، وإلى مقدّمى الحيوش والسرايا ، فليَتَوَخَّ الإيجاز والألفاظ البليغة الدالة على القصد من غير تطويل ولا بسط يضيع المقصد ، ويفصل الكلام بعضه من بعض ، ولا تهويل لأمر العدو يُضعِف به القلوب ، ولا تهوين لأمر يحصل به الأغرار . وذكر لذلك أمثلة من إنشائه .

قال : فمن ذلك صورةُ كتاب أنشأته الى مقدّم سرية كَشَفٍ — ولم أكتب به — وهو :

لا زال أخَف في مقاصده من وَطْأَة ضيف ، وأخَفَى في مطالبه من زَوْرَة طيف ، وأسرع في تنقله من سحابة صيف ، وأرَوَعَ للعدا في تطلّعه من سَلَة سيف ، حتى يعجب عدو الدين في الاطّلاع على عوراتِه من أين دُهِى وكيف ؟ ويعلم ^(١) [أن] من أوّل قِسمته اللّقاء حصل عليه في مقاصده الحيف ؛ أصدرناها إليه نُحْثُه ^(٢) على الركوب بطائفة أعجل من السَّيل ، وأهول من الليل ، وأيمن من نواصى الخيل ؛ وأقدم من النمر ، وأوقع على المقاصد من الغيث المنهمر ، وأرَوَغ في مُحَاثَلَة العدا من الذئب الحذر ؛ على خيل تجرى ما وجدت فلاه ، وتطيع راكبيها مهما أراد منها سرعة أو أناة ؛ تَتَسَمَّ الجبال الصَّم كالوعل ^(٣) ، وإذا جارتها البروق غدت وراءها * تمشى الهوينى كما يمشى الوجى الوجيل ^(٤) * وليكن كالنجم في سراه ، وبعْد ذُراه ؛ إن جرى فكسهم ، وإن خطر فكوهم ؛ وإن طلب فكالليل الذى هو مُدرك ، وإن طُلب فكالجنة التى لا يجد ريحها مُشرك ؛ حتى يأتى على عدو الدين من كل شرف ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد نقلناها عن حسن التوسل .

(٢) فى الأصل : « بالحيف » ؛ والباء زيادة من النسخ إذ لا مقتضى لها فى هذه العبارة .

(٣) الوعل بكسر العين وسكونها : تيس الجبل .

(٤) الوجى بكسر الجيم : من الوجى بفتحها ، وهو الحفا أو أشد منه .

- وَيَرَى جَمْعَهُ مِنْ كُلِّ طَرَفٍ ، وَلَا يُسْرِفُ فِي الْإِقَامَةِ عَلَيْهِ إِلَّا إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْخَيْرَ فِي السَّرَفِ ؛ وَلِيُحْرِزَ جَمْعَهُمْ ، وَيَسْبِقَ إِلَى التَّحَرُّزِ مِنْهُمْ بِصَرِّهِمْ وَسَمْعِهِمْ ؛ وَيَنْظُرُهُمْ بَعَيْنَ مَنْعِهَا الْحَزْمُ أَنْ تَرَى الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا ، وَصَدَّهَا الْعِزْمُ أَنْ تَرَى الْعَدُوَّ الْحَقِيرَ جَلِيلًا ؛ بَلْ تَرَى الْأَمْرَ عَلَى فَصِّهِ ، وَتَرَوِي الْخَبَرَ عَلَى نَصِّهِ ؛ وَإِنْ وَجَدَ مَغْرَرًا فَلْيَأْخُذْ خَبْرَهُ ، إِنْ قَدَّرَ عَلَى الْإِتْيَانِ بَعَيْنَهُ وَإِلَّا فَلْيَذْهَبْ أَثَرَهُ ؛ وَلَا يَهْيِجْ فِيمَا لَدَيْهِ نَارَ حَرْبٍ إِلَّا بَعْدَ الثِّقَةِ بِإِطْفَائِهَا ، وَلَا يُوقِظْ [عَلَيْهِ] ^(١) عَيْنَ عَدُوٍّ مَهْمَا ظَهَرَ لَهُ أَنْ [الْمَصْلُحَةُ ^(٢) فِي إِغْنَائِهَا] ؛ وَلِيَكْشِفَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يُبْدِي عِنْدَ الْمُلتَقَى عَوْرَتَهُمْ ، وَيُخَيِّدُ فِي حَالَةِ الرَّحْفِ فَوْرَتَهُمْ ؛ وَلِيَجْعَلَ قَلْبَهُ فِي ذَلِكَ رَبِيبَةً طَرْفُهُ ، وَطَلِيعَةً طَرْفُهُ ، وَسَرِيَّةً كَشْفِيهِ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِدُّهُ بِلَطْفِهِ ، وَيَحْفَظُهُ بِمَعْقَبَاتٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ .

(٧٤)

١٠. وَإِذَا كَتَبَ عَنِ الْمَلِكِ فِي أَوْقَاتِ حَرَكَاتِ الْعَدُوِّ إِلَى أَهْلِ الثَّغُورِ يُعَلِّمُهُمْ بِالْحَرَكَةِ لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ ، فَلْيَبْسُطِ الْقَوْلَ فِي وَصْفِ الْعِزَائِمِ ، وَقُوَّةِ الْحِمَمِ ، وَشِدَّةِ الْحِمَاةِ لِلدِّينِ ، وَكَثْرَةِ الْعَسَاكِرِ وَالْجِيُوشِ ، وَسُرْعَةِ الْحَرَكَةِ ، وَطَيِّ الْمَرَاكِحِ ، وَمُعَالَجَةِ الْعَدُوِّ ، وَتَخْيِيلِ أَسْبَابِ النِّصْرِ ، وَالْوُثُوقِ بِعَوَائِدِ اللَّهِ فِي الظَّفَرِ ، وَتَقْوِيَةِ الْقُلُوبِ مِنْهُمْ ، وَبَسْطِ آمَالِهِمْ ، وَحَثِّهِمْ عَلَى التِّيَقُّظِ ، وَحَضِّهِمْ عَلَى حِفْظِ مَا بِأَيْدِيهِمْ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَيُبرِّزُهُ فِي أَمْتِنِ كَلَامِ وَأَجَلِهِ وَأَمْكِنِهِ ، وَأَقْرَبِهِ مِنْ الْقُوَّةِ وَالْبَسَالَةِ ، وَأَبْعَدِهِ مِنَ اللَّيْنِ وَالرَّقَةِ ، وَيَبَالِغْ فِي وَصْفِ الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَاسْتِزَالِ نَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ ، وَالرَّجُوعِ إِلَيْهِ فِي تَثْبِيتِ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن حسن التوسل .

(٢) مهما في هذه العبارة إما حرف بمعنى إن الشرطية ، أو ظرف بمعنى متى ، وكلا الاستعمالين ضعيف .

انظر مغنى اللبيب ج ٢ ص ١٩ و ٢٠ ط الحلبي .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن حسن التوسل إذ بها تستقيم العبارة ؛ وموضعها

في الأصل كلمتان مكررتان مع ما سيأتى ، وهما : « الزحف فورتهم » .

(٤) في حسن التوسل : « أبين » ؛ وكلاهما يصح به المعنى .

الأقدام ، والأعتصام به في الصبر ، والاستعانة به على العدو ، والرغبة إليه في خذلانهم ،
وزلزلة أقدامهم ، وجعل الدائرة عليهم ، دون التصريح بسؤال بطلان حركتهم ، ورجاء
تأخيرهم ، وانتظار العرضيات في خلفهم ، لما في ذلك من إيهاام الضعف عن لقاءهم
وأستشعار الوهن والخوف منهم ، وليسلك في مثل ذلك كما سلك المولى شهاب الدين
محمود في نحو ما كتب في صدر كتاب سلطاني إلى بعض نواب الثغور عند حركة
العدو ، فإنه قال :

أصدرناها ومنادى النفير قد أعلن : يا خيل الله أركبي ، ^(١) ويا ملائكة الرحمن أصحبي ^(٢)
ويا وفود الظفر والتأييد أقربي ، والعزائم قد ركضت على سوابق الرعب إلى العدا
والهيمم قد نهضت إلى عدو الإسلام فلو كان في مطلع الشمس لأستقربت ما بينها
وبينه من المدى ، والسيوف قد أنفتحت من الغمود فكادت تنفجر من قربها ، والأسنة
قد ظمئت إلى موارد القلوب فتشوقت إلى الارتواء من قلبها ^(٣) ، والكماة قد زارت
كالليوث إذا دنت من فرائسها ، والحياد قد مريحت لما عودتها من الانتعال بمجامع ^(٤)
الأبطال فوارسها ، والجيوش قد كاثرت النجوم أعدادها ، وسائرتها للهجوم على أعداء
الله من ملائكته الكرام أمدادها ، والنفوس قد أضمرت الحمية نار غضبها ، وعداها ^(٥)
حرًا إشفاق على ثغور المسلمين عن برد الثغور وطيب شذنها ، والنصر قد أشرق

(١) أراد بالخيل هنا فرسانها .

(٢) في الأصل : «وللائكة» ؛ وما أثبتناه عن حسن التوصل إذ هو المناسب لسياق ما قبله وما بعده
من الكلام .

(٣) القلب بضم القاف : الآبار ، واحده قلب بفتحها .

(٤) عبارة حسن التوصل : «دنت فرائسها» بدون «من» ؛ وهو أظهر ، إذ به يحصل السجع الذي
توخاه الكاتب في رسالته .

(٥) عداها : صرفها ، يقال : عدته العوادي عن كذا ، أي صرفته الصوارف .

في الوجود دلائله ، والتأييد قد ظهرت على الوجوه مخايله ، وحسن اليقين بالله
 في إعزاز دينه قد أنبأت بحسن آمال أوائله ، والألسن باستنزال نصر الله لهجه
 والأرجاء بأرواح القبول أرجه ، والقلوب بعوائد لطف الله بهذه الأمة مبهجه
 والحماة وما منهم إلا من استظهر بإمكان قوته وقوة مكانه ، والأبطال وليس فيهم من
 يسأل عن عدد عدو بل عن مكانه ، والنيات على طلب عدو الله حيث كان مجتمع
 والخواطر مطمئنة بكونها مع الله بصدقها ، ومن كان مع الله كان الله معه ، وما بقي
 إلا طي المراحل ، والنزول على أطراف الشغور نزول الغيث على البلد الماحل ،
 والإحاطة بعدو الله من كل جانب ، وإنزال نفوسهم على حكم الأمرين الأمرين :
 من عذاب واصب ، وهم ناصب ، وإحالة وجودهم إلى العدم ، وإزالة السيوف
 التي [إن] أنكرتها أعناقهم فما بالعهد من قدم ، وأصطلامهم^(٢) على أيدي العصابة المؤيدة
 بنصر الله في حربها ، وأبتلاؤهم من حمالاتها بريح عاد التي تدمر كل شيء بأمر ربها ،
 فليكن مرتقبا لطلوع طلائعها عليه ، متيقنا من كرم الله استئصال عدوه الذي إن
 فرأدركته من ورائه ، وإن ثبت أخذته من بين يديه ، وليجتهد في حفظ ما قبله
 من الأطراف وضمتها ، وجمع سوام الرعايا من الأماكن المتخوفة ولمها ، وإصلاح
 ما يحتاج إلى إصلاحه من مسالك الأرباض المتطرفة ورمها ، فإن الاحتياط على
 كل حال من أكد المصالح الإسلامية وأهمها ، فكأنه بالعدو وقد زال طمعه ، وزاد
 ظلمه ، وذم عقبي مسيره ، وتحقق سوء منقلبه ومصيره ، وتبرأ منه الشيطان الذي
 دلّاه بغروره ، وأصبح لجمه موزعا بين ذئاب الفلا وضباعها ، وبين عقبان الحق

(٧٥)

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن حسن التوصل ص ٩٤ ط الوهبة إذ بها

يستقيم الكلام .

وَنُصُورِهِ ؛ ثِقَةً مِنْ وَعْدِ اللَّهِ الَّذِي تَمَسَّكْنَا مِنْهُ بِالْيَقِينِ ، وَتَحَقَّقْنَا أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقِيَيْنِ .

قال : وزيادةُ البسط في ذلك ونقصُها بحسب المكتوب إليه .

وَإِذَا كُتِبَ فِي التَّهَانِي بِالْفُتُوحِ ، فَلَيْسَ إِلَّا بَسْطُ الْكَلَامِ ، وَالْإِطْنَابُ فِي شُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ ، وَالتَّبَرُّؤُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ ، وَوَصْفُ مَا أُعْطِيَ مِنَ النُّصْرَةِ ، وَذِكْرُ مَا مَنَحَ مِنَ الثَّبَاتِ ، وَتَعْظِيمُ مَا يَسَّرَ مِنَ الْفَتْحِ ؛ ثُمَّ مَا وَصَفَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ عَزِيمٍ وَإِقْدَامٍ وَصَبْرٍ وَجَلَدٍ عَنِ الْمَلِكِ وَعَنْ جَيْشِهِ حَسَنَ وَصْفِهِ ، وَلَاقَ ذِكْرَهُ ، وَرَاقَ التَّوْسِيعَ فِيهِ ، وَعَذَّبَ بَسْطَ الْكَلَامِ فِيهِ ؛ ثُمَّ كَلَّمَا اتَّسَعَ مَجَالُ الْكَلَامِ فِي ذِكْرِ الْوَاقِعَةِ وَوَصَفِهَا كَانَ أَحْسَنَ [وَأَدْلَّ عَلَى الْبَلَاغَةِ ، وَأَدْعَى لِسُرُورِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ^(١) لِمَوْقِعِ الْمِنَّةِ عِنْدَهُ ، وَأَشْهَى إِلَى سَمْعِهِ ، وَأَشْفَى لَغَلِيلِ تَشْوِيقِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَالِ عَلَى جَلِيلَتِهِ ، وَلَا بَأْسَ بِتَهْوِيلِ [أَمْرِ^(٢) الْعَدُوِّ ، وَوَصْفِ جَمْعِهِ وَإِقْدَامِهِ ، فَإِنْ تَصَغِيرَ أَمْرِهِ تَحْقِيرُ لِلظُّفَرِ بِهِ ؛ وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي بَابِ التَّهَانِي مِنْ ذَلِكَ مَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ ، فَلْنَذْكُرْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ كَلَامِهِ فِيهِ مَا لَمْ نُورِدْهُ فِي بَابِ التَّهَانِي ؛

قال : وَإِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ مَلِكًا صَاحِبَ مَمْلَكَةٍ مُنْفَرَدَةٍ تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْبَسْطُ أَكْثَرَ ، وَالْإِطْنَابُ أَمَدًّا ، وَالتَّهْوِيلُ أَبْلَغَ ، وَالشَّرْحُ أَتَمَّ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ فَصَلُّ كِتَابَتِهِ فِي جَوَابِ ابْنِ الْأَحْمَرِ صَاحِبِ غَرْنَاطَةِ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، قَالَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَيْدَنَا بِجُنُودِهِ ، وَأَنْجَزَ لَنَا مِنْ نَصْرِ الْأُمَّةِ صَادِقَ وَعُودِهِ وَخَصَّنَا مِنْ أَسْتِدَامَةِ الْفُتُوحِ بِمَزَايَا مَزِيدِهِ ، وَأَيْدَنَا بِنُصْرِهِ ، وَنَصَرَنَا بِتَأْيِيدِهِ ، وَالصَّلَاةُ

(١) هذه التكلة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ٩٥ ط الوهية .

(٢) في الأصل : «ولا يأمن» ؛ وهو تحريف . ٢٠

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل إذ لا تستقيم العبارة بدونها .

- والسلام على سيدنا محمد أشرف رسله ، وخاتم أنبيائه ، وأكرم عبيده ، وأعز من دعا
 الأمم وقد أنكرت خالقها الى الإقرار بتوحيده ، وعلى آله وصحبه الذين أشرق أفق
 الدين منهم بكواكب سعوديه ، فإننا أصدرناها ونعم الله تعالى بنا مطيفه ، ومواقع نصره
 عندنا لطيفه ، وجنود تأييده لمالك الأعداء الى ممالك الشريفة مضيفه ، وثغور
 الإسلام بذبنا عن دين الله منيره ، وبإعلاننا منار الهدى منيفه ، ونحن نحمد الله على ذلك
 حمدا نستدبر به أخلاف الظفر ، ونستديم به مواد التأييد على من كفر به ونستمد به
 عوائد النصر التي كم أقدمها علينا إقدام ، وأسفر لنا عنها وجه سفر ، ونهدي إليه ثناء
 تعبق بنشر الرياض نحائله ، وتنطق بحض الوداد مخائله ، وتشرق على أفق مفاخره غدواته
 وأصائله ، يُشافه مجده بمصونه^(١) ، ويصارع نحره بمكنونه ، ويجلو على حضرته العلية
 عقائل الشرف من أبكار الهناء وعونه ، ونبدى لعلمه الكريم ورود كتابه الجليل مسفرا
 عن لوامع صفائه ، منبثا بجوامع وده ووفائه ، مشرقا بلائى فرائده ، محدقا بروض
 كرمه الذى سعاد رأى رائده ، محتويا على سروره بما بلغه من أنباء النصرة التي سارت
 بها إليه سرعان الركبان ، وذلت بعز ما تلى منها عليه عباد الصلبان ، وطبق ذكرها
 المشارق والمغارب ، ومزقت مواكب أعداء الله التتار وهم فى رأى العين أعداد
 الكواكب ، وخلطت التراب بدمائهم حتى لم يبيح بها التيمم ، ومزجت بها الفرات
 حتى ما تحلل لشارب ، وهى النصرة التي لا يدرك الوصف كنهها ، ولا تعرف لها
 البلاغة مشبها فتذكر شبهها ، ولا يتسع نطاق النطق لذكرها ، ولا تنهض الألسنة
 على طول الأبد بشكرها ، فإن التتار المخذولين أقبلوا كالرمال ، وأصطفوا كالجبال ،
 وتدفعوا كالبهار الزواجر ، وتوالوا كالأمواج التي لا يعرف لها الأول من الآخر ،
 فصدمتهم جيوشنا المنصورة صدمة بددت شملهم ، وعلمت الطير أكلهم ، وحصرتهم

(١) فى الأصل : « بمضمونه » ؛ وما أثبتناه عن حسن التوصل ، وهو ما يدل عليه سياق الكلام .

في الفضاء، وطالبت أرواحهم الكافرة بدين دينها وأسرفت في الاقتضاء، وحصدت
 منهم سيوفنا المنصورة ما يخرج عن وصف الواصف، ومزقت بقيتهم في الفلوات
 فكانوا كرماد آشتدت به الريح في يوم عاصف، وأحاطت بهم كئائبنا المنصورة
 فلم ينج إلا من لا يؤبه له من فريقهم، وقسمتهم جيوشنا المؤيدة من الفلوات الى
 الفرات بين القتل والأسر، فلم يخرج عن تلك القسمة غير فريقهم، وأعقبهم تلك
 الكسرة أن هلك طاغيهم أسفا وحسره، وحزنا على من قتل من تلك المقاتلة، وأسر
 من تلك الأسره، وأماته الرعب من جيوشنا المنصورة بجأه، وأستولى عليه الوجل
 بجأه من أمر الله ما جاءه، وقعد أخوه بعده مكانه، والخوف من عساكرنا يضعض
 أركانه، والفرق من جيوشنا يفرق أعوانه، ويمزق إخوانه، ويوهي سلطانه
 ويبرئ منه شيطانه، فلاذ بالالتجاء الى سلمنا، وعاذ بإسناد الرجاء الى كفنا عنه
 وحلمنا، فكرر رسله ورسائله مستعطفا، ووالى كُتبه ووسائله مستعفيا من حربنا
 ومستسعفا، وهاهو الآن وجنوده يتوسلون بالخضوع الى مراحمنا، ويتوصلون ببذل
 الطاعة الى مكارمنا، ويسألون صفح الصفاح الإسلامية عن رقابهم، ويبدون
 ما أظهره الله عليهم من الذل الذي جعلته تلك النصرة خالدا في أعقابهم، وسيوفنا
 تأبى قبول وسائلهم، وتصر على نهر سائلهم، وتمنع من الكف عن مقاتلتهم،
 وتأنف أن تغمد إلا في قيم محاربهم ومقاتلتهم، ونحن على ما نحن من الأبهة لغزؤهم
 في عقر دارهم، وانتزاع مواطن الخلافة وغيرها من ممالك الإسلام من بين أيديهم
 وأظفارهم، مستنصرين بالله على من بقي في خط^(١) المشرق منهم، قائمين فيهم بفرض
 الجهاد الذي لولا دفاع الله به لم يمتنع خط المغرب عنهم، ولينصرن الله من
 ينصره، ولو عددنا نعم الله علينا حاولنا عد ما لا نحصيه ولا نحصره.

وإن اضْطُرَّ أن يكتبَ بِمثل ذلك إلى ملكٍ غيرِ مسلمٍ لكنَّه غيرُ مُحاربٍ ، فالْحُكْمُ في ذلك أن يذْكَرَ من أسبابِ المَوَدَّةِ ما يَقْتَضِي المشاركةَ في المَسَارَةِ ، وأن أمرَ هذا العددِ مع كثرتِه أخذَ بأطرافِ الأناملِ ، وآلَ أمرُهُ إلى ما آلَ ، ويُعْظَمُ ذِكرُ ما جرى عليه من القتلِ والأسْرِ ، وتلكَ عوائدُ نصرِ الله ، وانتقامُهُ ^(١) ممَّن عادانا ؛

- فمن ذلك ما أنشأه المشار إليه لبعض ملوك البحر — ولم يكتب به — وهو :
- صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ مَبَشِّرَةً لَهُ بِمَا مَنَحَنَا اللَّهُ مِنْ نُصْرَةٍ أَجْزَلَ الصَّفَاءِ مِنْهَا سَهْمَهُ ، وَأَكْمَلَ الْوَفَاءِ مِنَ التَّهْنِئَةِ بِهَا قِسْمَهُ ؛ وَخَصَّصَهُ الْوِدَادُ بِأَجَلٍ أَجْزَأَهَا ، وَأَجْلَسَهُ الْإِتِّحَادُ عَلَى أَسِرَّةٍ مَسَرَّتْهَا إِذَا أَجْلَسَ الْعِنَادُ غَيْرَهُ عَلَى بَسَاطِ عَزَائِهَا ؛ عَلِمَا بِأَنَّهُ الصَّدِيقُ الَّذِي تُبْهِجُهُ مَسَارُ صَدِيقِهِ ، وَالصَّاحِبُ الَّذِي يَرَى مَسَاهِمَةَ صَاحِبِهِ فِي بَشْرَى الظَّفَرِ بِأَعْدَائِهِ أَدْنَى حَقْوِقِهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ التَّتَارِ فِي حَرَكَاتِهِمْ الذَّمِيمَةِ ، وَعَزَمَاتِهِمْ الَّتِي مَا أَحْتَفَلُوا لَهَا إِلَّا وَكَانَ أَحَدُ سَلَاحِهِمْ فِيهَا الْهَزِيمَةُ ، وَغَارَاتِهِمْ الَّتِي مَا حَشَدُوا لَهَا إِلَّا وَقَنِعُوا فِيهَا بِالْإِيَابِ مِنَ الْغَنِيمَةِ ؛ وَأَنَّهُمْ مَا أَقْدَمُوا عَلَيْنَا إِلَّا وَعُدِمُوا ، وَلَا سَلَكُوا إِلَيْنَا إِلَّا وَهَلَكُوا ؛ حَتَّى إِنَّا الْأَرْضَ إِلَى الْآنَ لَمْ تَجِفَّ مِنْ دِمَائِهِمْ ، وَإِنَّ الْفُرَاتَ يَكَادُ يَشِفُّ ^(٢) لِلتَّامُّلِ عَنْ أَشْلَائِهِمْ ؛ وَأَنَّ الشَّيْطَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَدَّدَ طَمَعَهُمْ ، وَسَكَّنَ هَلَعَهُمْ ؛ وَأَنَسَاهُمْ مَصَارِعَ إِخْوَانِهِمْ ، وَأَسْلَاهُمْ بِمَا زَيْنَ لَهُمْ مِنْ بُلُوغِ أَوْطَارِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ ؛ وَقَالَ لَهُمْ : لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَتِلْكَ الْوَقَائِعُ الَّتِي أُصِيبْتُمْ فِيهَا قَدْ لَا يَجْرِي الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى الْقِيَاسِ ؛ وَحَسَّنَ لَهُمُ الْمُحَالُ وَغَرَّهُمْ وَجَرَّاهُمْ عَلَى قَصْدِ الْبِلَادِ الْمُحْرُوسَةِ ، وَفِي الْحَقِيقَةِ اسْتَجَرَّهُمْ ؛ فَحَشَدُوا جُمُوعَهُمْ

(١) في الأصل : « وانتقامنا » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٢) في حسن التوسل : « يكشف » ؛ وكلا اللفظين يستقيم به المعنى .

وَجَمَعُوا حُشُودَهُمْ ، وَاسْتَفَرَّغُوا فِي الِاسْتِنْفَارِ وَالِاسْتِظْهَارِ طاقَتَهُمْ وَمَجْهُودَهُمْ ؛ وَمَا لَهُمْ
 عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَجَاوِرِينَ مِنْ أَبْطَنِ شِقَاقِهِ ، وَكَتَمِ نِفَاقِهِ ، وَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ مَا سَلَفَ
 مِنْ تَنْفِيسِنَا عَنْهُ وَقَدْ لَازِمَ الْحَتْفِ خِنَاقَهُ ؛ وَنَحْنُ فِي ذَلِكَ نُوسِعُهُمْ إِمْهَالًا ، وَنَبْسُطُ
 لَهُمْ فِي التَّوْغُلِ آمَالًا ، وَنَأْخِذُ أَمْرَهُمْ بِالْأَنَاءِ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ لَا إِهْمَالًا ؛ إِلَى أَنْ بَعُدُوا
 عَنْ مَوَاطِنِ الْهَرَبِ ، وَحَصَلَ مِنْ اسْتِدْرَاجِهِمُ الْآرَبُ ؛ فَوَثَبْنَا عَلَيْهِمْ وَثُوبَ اللَّيْثِ إِذَا
 ظَفَرَ بِصَيْدِهِ ، وَنَهَضْنَا نَحْوَهُمْ نُهُوضَ الْحَازِمِ إِذَا وَقَعَ [عَدُوُّهُ^(١)] فِي أُحْبُولَةٍ كَيْدِهِ ؛ وَصَدَمْتَهُمْ
 جِيوشُنَا الْمَنْصُورَةُ صَدْمَةً قَلَّتْ غَرَبُهُمْ ، وَأَبْطَلَتْ طَعْنُهُمْ وَضَرْبُهُمْ ، وَصَبَغَتْ بِدُمَائِهِمْ
 ثُرْبَهُمْ ؛ وَحَكَمْتَ السِّيُوفُ فِي مَقَاتِلِهِمْ ، [وَمَكَّنْتَ الْحُتُوفَ مِنْ صَاحِبِ رَأْيِهِمْ وَمُقَاتِلِهِمْ^(٢)] ؛
 وَسَلَّطْتَ الْعَدَمَ عَلَى وَجُودِهِمْ ، وَحَطَّطْتَ عَنْ سُرُوجِهِمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ أَوْ قِيُودِهِمْ ؛
 ”فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ“ ، وَعَادُوا عَلَى عَادَتِهِمْ خَاسِرِينَ ، وَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ
 خَاسِرِينَ ؛ وَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ جَمْعُهُمْ ، وَمَا أَفَادَهُمْ بَصَرُهُمْ فِيمَا شَاهَدُوهُ مِنْ قَبْلِ وَلَا سَمِعُهُمْ ؛
 فَرَكْنَ مِنْ بَقِيٍّ مِنْهُمْ إِلَى الْفِرَارِ ، وَعَازَ يَبْرُدُ الْهَرَبِ مِنْ لَهَبِ تِلْكَ السِّيُوفِ الْحَرَارِ
 وَظَنُّ مِنْ أَنْهَزَمَ مِنْهُمْ أَنَّهُ فَاتَ الرِّمَاحَ ، فَتَنَاوَلْتُهُ بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْقِفَارِ ؛ فَوَلَّوْا
 وَالرَّعْبُ يَزْلُزِلُ أَقْدَامَهُمْ ، وَالذُّعْرُ يَقْلِلُ إِقْدَامَهُمْ ؛ وَالصَّفَاحُ تَخْطَفُهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ^(٣)
 وَالْجِرَاحُ تُطِمِعُ الطَّيْرَ فِي أَكْلِهِمْ حَتَّى تَقَعَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ ؛ حَتَّى أَصْبَحُوا هَشِيمًا تَلْعَبُ بِهِمُ
 الصَّيْبُ وَالِدَّبُورُ ، أَوْ أَحْيَاءٌ يَتَسَّ مِنْهُمْ أَهْلُهُمْ ”كَمَا يَتَسَّ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ“
 وَصَفَحْنَا عَمَّنْ نَافَقْنَا وَوَافَقَهُمْ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَّا نَجَا ، وَرَجَا عَوَاطِفُنَا فِي الْإِبْقَاءِ عَلَى
 نَفْسِهِ ، فَأَجَابَهُ حِلْمُنَا — وَعَلِمْنَا أَنَّهُ فِي الْقَبْضَةِ — إِلَى مَا رَجَا ؛ فَلْيَأْخِذِ الْمَلِكُ حِظَّهُ مِنْ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ٩٧ ط الوهية إذ لا يستقيم

الكلام بدونها .

(٢) التكملة عن حسن التوسل ؛ وقام السجع الذي التزمه الكاتب في رسالته يقتضى إثباتها .

(٣) في الأصل : «بلغت بهم» الخ وهو تحريف .

هذه البشرى التى تَسْرِقُ قلبَ الوليِّ المحبِّ بوادِرُها، وتُشْرِحُ صدرَ الحَفِيِّ المحقِّ موارِدُها ومَصَادِرُها ؛ والله تعالى يُبْهِجُه عِنا بِسَماعِ أمثالها ، ويديمُ سروره بما جالوناه عليه مِن مثَلها^(٢) .

قال : فإن كان المكتوب إليه متَّهماً بِمُالأةِ العدوِّ كتب إليه بما يَدُلُّ على التقرير والتَّهْكُمِ ، وإبرازِ التهديد في مَعْرِضِ الإخبارِ ، كما كتب المشار إليه عن السلطان الى مَمْلَكِ سِيس^(٣) — وكان قد شَهِدَ الوقعة مع العدوِّ — قال منه :

بَصْرَه الله بِرشدِه ، وأراه مَواقِعَ غِيَّه في الإصرار على مخالفتِه ونَقِضِ عَهْدِه وأَسْلَاه بِسَلامَةِ نَفْسِه عَمَّن رَوَّعَتِه السيوفُ الإِسلامِيَّة بِفَقْدِه ؛ صَدَرَتْ تُعَرِّفُه أَنه قد تَحَقَّقَ ما كان من أمرِ العدوِّ الذى دَلَّاه بِغُرُورِه ، وَحَمَلَه التَّمسُّكُ بِخِداعِه على مِجانِبَةِ الصَّوابِ فى أمورِه ؛ وأنهم أَسْتَنْجَدُوا بِكُلِّ طائِفِه ، وأَقْدَمُوا على البلادِ الإِسلامِيَّة بِنَفُوسِ طامِعَةٍ وقلوبِ خائِفِه ؛ وذلك بعد أن أقاموا مَدَّةً يَشْتَرُونَ المُخادَعَةَ بالمُوادَعَةِ ، وَيُسَيِّرُونَ المِصارِمَةَ فى المِسالِمَةِ ؛ وَيُظْهِرُونَ فى الظاهرِ أُمُورًا ، وَيَدْبُرُونَ فى الباطنِ أُمُورًا ، وَيَعِدُّونَ كُلَّ طائِفَةٍ من أعداءِ الدينِ مِثْلَه وَيَمْنُونَهُمْ ” وَمَا يَعِدُهُم الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا“ ؛ وَكُنَّا بِمَكْرِهِم عَالِمِينَ ، وعلى مِعالِجَتِهِم عَامِلِينَ ؛ وَحينَ تَبَيَّنَ مِرادُهُم وَتَكَلَّلَ أَحْتِشادُهُمْ ؛ اسْتَدْرَجَناهُمْ الى مِصارِعِهِمْ ، وَأَسْتَجَرِناهُمْ لِيَقْرُبُوا فى القَتْلِ مِنْ مَضاجِعِهِمْ ، وَيَبْعُدُوا فى الهَرَبِ عَن مَواضِعِهِمْ ؛ وَصَدَمَناهُمْ بِقُوَّةِ الحِصْنِ دَمْدَمَةً

(١) كذا فى الأصل ؛ والذى فى حِسنِ التَّوَسُّلِ : «الصفى» بالصاد ؛ وكلا اللَّفْظَيْنِ يَسْتَقِيمُ بِهِ المَعْنَى .

(٢) فى الأصل : «أمثالها» ؛ والألفُ الأولى زيادةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) قال ياقوت فى معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٧ ط جوتنجن : سِيسِيَّة — وعامةُ أَهلِها يَقولون :

سِيس — : بلدٌ هُوَ اليومُ أَعْظَمُ مَدَنِ التَّغُورِ الشَّامِيَّةِ بَيْنَ أَنْطاكيَّةِ وَطَرَسُوسَ عَلى عَينِ زَرْبَةٍ الخ .

(٤) فى الأصل : «يسرون» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٥) كذا فى الأصل وَحِسنِ التَّوَسُّلِ ؛ وَلَمْ نَقِفْ

عَلىهِ فى كِتابِ اللِّغَةِ بِمَعْنَى حَمَلِناهُمْ عَلى الجَرى كَما هُوَ المَعْنَى المُتبادِرُ مِنَ سِياقِ العِبارَةِ ؛ وَلَعَلَّهُ : «وأَجَرِناهُمْ» .

لم يكن لهم بها قبل ، وحمّلنا عليهم حملة أبلأهم طوفانها الى ذلك الجبل ، وهل تعصم
 من أمر الله حيل ؟ فحصرناهم في ذلك الفضاء المتسع ، وضائقناهم كما قد رأى
 ومنقناهم كما قد سمع ، وأنزلناهم على حكم السيف الذي نزل من دماءهم حتى روى
 وأكل من لحومهم حتى شبع ، وتبعتهم جيوشنا المنصورة تتخطفهم رماحها ، وتلقفهم
 صفاحها ، ويبددهم في القلوات رعبها ، ويفرقهم في القفار طعن المتدارك وضربها ،
 ويقتل من فات السيوف منهم العطش والجوع ، ويخيل للحى منهم أن وطنه كالدينا
 التي ليس لليت اليها رجوع ، ولعله قد رأى ذلك فوق ما وُصف عيانا ، وتحقق من
 كل ما لا يحتاج أن نزيده به علما ولا نُقيم له عليه برهانا ، وقد علم أن أمر هذا العدو
 المخذول ما زال معنا على هذه الوتيرة ، وأنهم ما أقدموا إلا ونصر الله عليهم في مواطن
 كثيرة ، وما ساقتهم الأطماع في وقتٍ إلا الى حتوفهم ، ولا عاد منهم قط في وقعة
 إلا آحاد تُخبر عن مصارع ألوفهم ، ولقد أضاع الحزم من حيث لم يستدبر نعم الله
 عليه بطاعتنا التي كان في مهاد أمنها ، ووهاد يمنها ، وحماية عفوها ، وبرد رأفتها التي
 كدرها بالمخالفة بعد صفوها ، يصون رعاياه بالطاعة عن القتل والإسار ، ويحیی
 أهل ملته بالحد من الحركات التي ما نهضوا اليها إلا وجرّوا ذبول الخسار ، ولقد
 عرّض نفسه وأصحابه لسيوفنا التي كان من سطاواتها في أمان ، ووثق بما ضمن له
 التار من نصره وقد رأى ما آل اليه أمر ذلك الضمان ، وجرّ لنفسه بموالات التار
 عناء كان عنه في غنى ، وأوقع رُوحه بمظاهرة المغول في حومة السيوف التي تخطفت
 أوليائه من هنا ومن هنا ، واقتحم بنفسه موارد هلاك سلبت رداء الأمن عن منكبيه
 وأغترّ هو وقومه بما زين لهم الشيطان من غروره ” فلمّا تراءت الفئتان نكص على
 عقبيه “ وما هو والوقوف في هذه المواطن التي تتزلزل فيها أقدام الملوك الأكاسر
 وأنّى لضعاف المقدرة على الثبات لو ثبات الأسود الضارية واللّيوث الكاسر ،

٥

١٠

١٥

٢٠

- لقد أَعْتَرَضَ بين السهم والهدف بنحره ، وتَعَرَّضَ للوقوف بين ناب الأسد وظُفْرِهِ ؛ وهو يعلم أننا مع ذلك نرعى له حقوق أسلافه التي ماتوا عليها ، ونحفظ له خدمة آبائه التي بذلوا نفوسهم ونفائسهم في الوصول إليها ؛ ونُجْرِيه وأهل بلاده مُجْرَى أَهْلِ ذَمَّتْنَا الَّذِينَ لَا تُؤَيِّسُهُمْ مِنْ عَفْوِنَا مَهْمَا آسْتَقَامُوا ، وَنَسْلُكُ بِهِمْ حُكْمَ مَنْ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ مِنْ رَعَايَانَا الَّذِينَ هُمْ فِي قَبْضَتِنَا نَزَحُوا أَوْ أَقَامُوا ؛ وَنَحْنُ نَتَحَقَّقُ أَنَّهُ مَا بَقِيَ يَنْسَى مَلَاذِمَةَ رِبْقَةِ الْحَتَفِ خِنَاقَهُ ، وَلَا يَرْجِعُ يَهُورُ نَفْسَهُ فِي مَوَارِدِ الْهَلَاكِ ، وَهَلْ يَرْجِعُ إِلَى الْمَوْتِ [مَنْ] ذَاقَهُ ؟ فَيَسْتَدْرِكُ بَابَ الْإِنَابَةِ قَبْلَ أَنْ يُغْلَقَ دُونَهُ ، وَيَصُونُ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ قَبْلَ أَنْ تَبْدُلَ السِّيُوفُ الْإِسْلَامِيَّةُ مَصُونَهُ ، وَيَبَادِرَ إِلَى الطَّاعَةِ قَبْلَ أَنْ يَبْذُلَهَا فَلَا تُقْبَلَ ، وَيَتَمَدَّكَ بِأَذْيَالِ الْعَفْوِ قَبْلَ أَنْ تُرْفَعَ دُونَهُ فَلَا تُسَبَّلَ ؛ وَيُعْجَلُ بِحَمْلِ أَمْوَالِ الْقَطِيعَةِ وَإِلَّا كَانَ أَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ فِي جَمَلَةٍ مَا يُحْمَلُ مِنْهَا إِلَيْنَا ، وَيُسَلِّمُ مَفَاتِحَ مَا عَدَا عَلَيْهِ مِنْ فُتُوحِنَا ، وَإِلَّا فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا وَجَمِيعَ مَا تَأَخَّرَ فِي بِلَادِهِ بَيْنَ يَدَيْنَا ؛ وَيَكُونُ هُوَ السَّبَبَ فِي تَمَزُّقِ شَمْلِهِ ، وَتَفَرُّقِ أَهْلِهِ ، وَقُلْعِ بَيْتِهِ مِنْ أَصْلِهِ ؛ وَهَدْمِ كَنَائِسِهِ ، وَابْتِدَالِ نَفْسِهِ وَنَفَائِسِهِ ؛ وَاسْتِرْقَاقِ حَرَمِهِ ، وَاسْتِخْدَامِ أَوْلَادِهِ قَبْلَ خَدَمِهِ ؛ وَاقْتِلَاعِ قِلَاعِهِ ، وَإِحْرَاقِ

- (١) كذا في الأصل ؛ ومهما في هذه العبارة حرف بمعنى إن الشرطية ، وهو مذدب ضعيف ؛ وقد سبق أن أوضحنا ذلك في ت ٢ ص ١٩٠ من هذا الجزء .
- (٢) يهور نفسه ، يريد يلقى بها ، وهو من هَوَّرَ إذا صرعه وألقاه . وعبارة حسن التوسل : « ولا يورد » .
- (٣) عبارة الأصل : « المؤمنين فاقة » ؛ وفيه نقص وتحريف ، وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا وانظر حسن التوسل ص ٩٨ ط الوهبة .
- (٤) في الأصل : « وقد قلع » ؛ وقوله : « قد » زيادة من النسخ .
- (٥) في الأصل : « واستقلاع » بسين وتاء ؛ ولم نقف عليه فيما لدينا من كتب اللغة .

رُبوعه وِرْبَاعُهُ ^(١) ، وتعجيل رؤية ما أُوعِدَ ^(٢) به قبل سماعه ، ومن لقازان بأن يجاب إلى مثل ذلك ، أو يُسَمَّحَ له مع الأمن من سيوفنا ببعض ما في يده من الممالك ؛ ليقنع بما أبقت جيوشنا المؤيَّدة في يده من الخيل والحول ، ويعيش في الأمن ببعض ما نسمح له به ، ومن للُغُور ^(٣) بالحول ؛ والسيوف الآن مُصَغَّيَّةٌ إلى جوابه لتكفَّ إن أبصر سبل الرشاد ، أو تتعوض برءوس حِمَاتِهِ وكِمَاتِهِ عن الأعماد إن أصرَّ على العناد ، والخير يكون .

وأما التقاليد والمناشير والتواقيع وما يتعلق بذلك — فالأحسن فيها بسط الكلام ، وتعتبر كثرتُه وقلَّتُه بحسب الرتب ، ويجب أن يراعى فيها أمور :
منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة أو الحال ، أو قدر النعمة ، أو لقب صاحب التقليد أو اسمه بحيث لا يكون المطلع أجنبيًّا من هذه الأحوال ، ولا بعيدا منها ، ولا مباينا لها ، ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق المقصد من أول الخطبة .

(١) الرباع بكسر الراء : جمع ربع بضم أوله وفتح ثانيه ، وهو الفصيل في أول التاج ؛ والمراد ماشيته ، يريد بهذه العبارة توعده بإحراق منازل وأمواله .

(٢) في الأصل : «وعده» بإسقاط الهمزة ؛ والمشهور عند أئمة اللغة وجوب إثباتها في مثل هذا الموضع ؛ قال الأزهري : كلام العرب : وعدت الرجل خيرا ، ووعدته شرا ، وأوعدته خيرا وأوعدته شرا ؛ فاذا لم يذكروا الخير قالوا : وعدته ولم يدخلوا ألفا ، واذا لم يذكروا الشر قالوا : أوعدته ولم يسقطوا الألف ؛ وأنشد لعامر بن الطفيل :

وإني إن أوعدته أو وعدته * لأخلف إيعادي وأنجز موعدي .

انظرا لسان وشرح القاموس . والكاتب هنا لم يذكر الشر ، فلزم إثبات الهمزة كما تقتضيه عبارة الأزهري ؛ والذي يفهم من كلام المصباح أنه يقال في الخير والشر : وعده بدون ألف سواء أذكر الخير والشر أم لم يذكر ، والفارق بينهما المصدر ، فانه في الخير : الوعد ، وفي الشر : الوعيد .

(٣) عبارة الأصل : «ومن العمور» ؛ وهو تحريف .

الى آخرها؛ قال : وَيَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ فِي التَّقْلِيدِ مَنْقَسِمًا إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ
مُقَارِبَةِ الْمَقَادِيرِ ، فَالرُّبْعُ الْأَوَّلُ الْخُطْبَةُ ، وَالثَّانِي ذِكْرُ مَوْقِعِ الْإِنْعَامِ فِي حَقِّ الْمَقْلَدِ ،
وَذِكْرُ الرِّتَبَةِ وَتَفْخِيمُ أَمْرِهَا ، وَالثَّالِثُ فِي أَوْصَافِ الْمَقْلَدِ وَذِكْرُ مَا يَنْسَبُ تِلْكَ الرِّتَبَةَ
وَيَنْسَبُ حَالُهُ مِنْ عَدْلِ وَسِيَاسَةٍ وَمَهَابَةٍ وَبُعْدِ صِيتٍ ، وَسُتْعَةٍ وَشَجَاعَةٍ إِنْ كَانَ
نَائِبًا ، وَوَصْفِ الْعَدْلِ وَالرَّأْيِ وَحَسَنِ التَّدْبِيرِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِوُجُوهِ الْأَمْوَالِ ، وَعِمَارَةِ
الْبِلَادِ ، وَصَلَاحِ الْأَحْوَالِ ، وَمَا يَنْسَبُ ذَلِكَ إِنْ كَانَ وَزِيرًا ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ رَتَبَةٍ
بِحَسَبِهَا ، وَالرَّابِعُ فِي الْوَصَايَا ؛

ومنها [أَنْ يُرَاعَى ^(١)] الْمُنَاسَبَةُ وَمَا تَقْتَضِيهِ الْحَالُ ، فَلَا يُعْطَى أَحَدًا فَوْقَ حَقِّهِ ،
وَلَا يَصِفُهُ بِأَكْثَرِ مِمَّا يَرَادُ مِنْ مِثْلِهِ ، وَيُرَاعَى أَيْضًا مَقْدَارُ النِّعْمَةِ وَالرِّتَبَةِ ، فَيَكُونُ
وَصْفُ الْمِنَّةِ عَلَى مَقْدَارِ ذَلِكَ .

١٠

ومنها أَنْ لَا يَصِفَ الْمُتَوَلَّى بِمَا يَكُونُ فِيهِ تَعْرِضٌ بِالْمَعْزُولِ وَتَنْقُصٌ لَهُ ، فَإِنْ
ذَلِكَ مِمَّا يُؤْغِرُ الصَّدُورَ ، وَيُؤَرِّثُ الضَّغَائِنَ فِي الْقُلُوبِ ، وَيُدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْآرَاءِ
فِي اخْتِيَارِ الْأَوَّلِ ، وَلَهُ أَنْ يَصِفَ الثَّانِي بِمَا يَحْصُلُ بِهِ الْمَقْصُودُ مِنْ غَيْرِ تَعْرِضٍ
بِالْأَوَّلِ ؛

ومنها أَنْ يَتَخَيَّرَ الْكَلَامَ وَالْمَعَانِي ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَشِيعُ وَيَذِيعُ ^(٢) ، وَلَا يُعْذَرُ الْمُقْصِرُ فِي ذَلِكَ
بِعِجْلَةٍ وَلَا ضَيْقِ وَقْتٍ ، فَإِنَّ مَجَالَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مَتَّعٌ ، وَابِلَاغَةُ تَظْهَرُ فِي الْقَلِيلِ
وَالكَثِيرِ ، وَالْأَمْرُ الْجَارِي فِي ذَلِكَ عَلَى الْعَادَةِ مَعْرُوفٌ ، لَكِنْ تَقَعُ أَشْيَاءٌ خَارِجَةٌ عَنِ
الْعَادَةِ ، نَادِرَةٌ الْوُقُوعِ ، فَيَحْتَاجُ الْكَاتِبُ فِيهَا إِلَى حَسَنِ التَّصَرُّفِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْحَالُ ؛

(١) التَّكَلُّمُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ ص ١١٠ ط الوهبيّة ؛ وسياق الكلام يقتضى إثباتها .

٢٠

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَلَا يَعِجَل » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا أَنْظَرِ حَسَنَ التَّوَسُّلِ .

فمن ذلك تقليدٌ ^(١) [من] إنشاء المولى الفاضل شهاب الدين محمود الحلبي كتبه
لمتملك سيسى بإقراره على ما قاطع النهر من بلاده ، وهو :

الحمد لله الذى خَصَّ أيا منا الزاهرةً باصطناع ملوك الملل ، وفضل دولتنا
القاهرة بإجابة من سأل بعض ما أحرزته لها البيض والأسل ، وجعل من
خصائص ملكنا إطلاق الممالك وإعطاء الدول ، والمن بالنفوس التى جعلها النصر لنا
من جملة الخول ، وأغرى عواطفنا بتحقيق رجاء من مدَّ إلى عوارفنا كفَّ الأمل ،
وأفاض بمواهب نعمائنا على من أناب الى الطاعة حلال الأمن بعد الوجَل ، وأنترع
بالائنا [لمن تمسك بولائنا] ^(٢) أرواح رعاياه من قبضة الأجل ، وجعل برد العفو عنه
وعنهم بالطاعة نتيجة ما أذاقهم العصيان من حرارة الغضب ، إذ ربما صحت الأجسام
بالعلل ، نحمده على نعمه التى جعلت عفونا ممن رجاه قريبا ، وكرمنا لمن دعاه بإخلاص
الطاعة مجيبا ، وبرنا لمن أقبل اليه منيبا بوجه الأمل مُثيبا ، وبأسنا مصيبا لمن لم يجعل
الله له فى التمسك بمراحنا نصيبا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة
تعيصم دم من تمسك بدمامها ، وتحمي مَوادَّ من عاندها بانتقام حسامها ، وتقيصم عُرا
الأعناق ممن أطعمه الغرور فى انفصال أحكامها وأنفصامها ، وتقيصم من قصد
إطفاء ما أظهره الله من نورها ، وانقطاع ما قضاه من دوامها ، وتجعل كلمة حملتها
هى العليا ، فلا تزال أعناق جاحديها فى قبضة أوليائها وتحت أقدامها ، ونشهد أن
م هذا عبده ورسوله المبعوث بالهدى ودين الحق الى كل أمه ، المنعوت فى الكتب
المنزلة بالرأفة والرحمة ، المخصوص مع عموم المعجزات بنجس منهن الرعب الذى كان
يتقدمه الى من قصده ، ويسبقه مسيرة شهر الى ^(١) [من] أمه ، المنصوص

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل السلى ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) التكملة عن حسن التوسل .

في الصحف المحكمة على جهاد أمته ، الذي لاهياة لمن لم يتمسك من طاعته بدمته ؛
 صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فتحوا بدعوته الممالك ، وأوضحوا بشرعته الى الله
 المسالك ، وجلّوا بنور سُنّته عن وجه الزمن كلّ حال حالك ، وأوردوا من كفر بربرهم
 ورسليه مَوارد المهالك ، ووثقوا بما وعد الله نبيّه حين زوى له مَشارِق الأرض
 ومَغارِبها من أنّ ملكهم سيبلغ ما زوى الله له من ذلك ؛ صلاة لا تزال الأرض لها
 مسجدًا ، ولا يبرح ذكرها مغيرا في الآفاق ومنجدا ؛ ما استفتحت السنة الأسنّة
 النصر بإقامتها ، وأبادت أعداءها باستدامتها ، وسلم تسليما كثيرا ؛

وبعد ، فإنه لما آتانا الله مُلك البسيطة ، وجعل دعوتنا بأعنة ممالك الأقطار
 محيطه ؛ ومكّن لنا في الآفاق^(١) ، وأنهضنا من الجهاد في سبيله بالسنة والفرض ، وجعل
 كلّ يوم تُعرض^(٢) [فيه] جيوشنا من أمثلة يوم العرض ؛ وأظلمنا بوادِر الفتوح ،
 وأظلمت على الأعداء سيوفنا التي هي على من كفر بالله وكفر النعمة دعوة نوح
 وأيدنا بالملائكة والروح ، على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة فانتصر بالأب والابن
 والروح ؛ وألقت إلينا ملوك الأقطار السّلم ، وبذلت كرائم بلادها رغبة في الالتجاء
 من عفونا الى ظل أعلى من علم ؛ وتوسّل من كان منهم يُظهر الغلظة بالذلة والخضوع
 وتوصّل من كان منهم يُبدي القوّة بالإخلاص الذي رأوه لهم أقوى الجُنن وأوقى
 الدروع ؛ عاهدنا الله تعالى ألا نردّ منهم آملا ، ولا نصدّ عن مَشارِع كرمنا ناهلا ؛
 ولا نخيب من إحساننا راجيا ، ولا نُجلى عن ظِلِّ ربنا لاجيا ؛ علما أنّ ذلك شكرٌ
 للقدرة التي جعلها الله لنا على ذلك الآمل ، ووثوقا بأنه حيث كان في قبضتنا كما نشاء

(١) كذا في الأصل السلي . والذي في حسن التوسل ص ١١١ : « الأرض » ؛ وهو أظهر بدليل

ما يأتي في الفقرة بعده ، ليم به السجع الذي التزمه الكاتب في رسالته .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل السلي ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل .

نجمع عليه الأنامل ؛ اللهم إلا أن يكون ذلك اللّاجئ للغلّ مُسرّاً ، وعلى عداوة الإسلام
مُصرّاً ؛ فيكون هو الجاني على نفسه ، والجاني على موضع رأسه ؛ ولما كان من
تقدّم بالمملكة الفلانية قد زين له الشيطان أعماله ، وعقد بحبال الغرور آماله ؛ وحسن
له التمسك بالتّار الذين هم بمهابتنا محصورون في ديارهم ، مأسورون في حبائل
إدبارهم ؛ عاجزون عن حفظ مآلديهم ، قاصرون عن ضبط ما استلبته سرايانا
المنصورة من يديهم ؛ ليس منهم إلا من له عند سيوفنا ثار ، ومن يعلم أنه لا بد له
عندنا من خُطّتي خسف : إما القتل أو الإسار ؛ وحين تمادى المذكور في غيّه ، وحمله
الغرور على ركوب جواد بغيه ؛ أمرنا جيوشنا المنصورة بخاست خلال تلك الممالك
وداست حوافر خيلها ما هنالك ، وساوت في عموم القتل والأسرين العبد والحرّ
والمملوك والمالك ؛ وألحقت رواسى جبالهم بالصّعيد ، وجعلت حماتهم كزروع
فلاتهم منها قائم وحصيد ؛ فأسلمهم الشيطان ومّر ، وتركهم وفرّ ، وما كرههم وما كتر
وأعلمهم أن الساعة موعدهم ”والسّاعة أدهى وأمر“ ، وأخلفهم ما ضمن لهم من العون
وقال لهم : ”إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون“ ؛ وكان الملكُ فلان ممن يريد طُرُق
النجاة فلم ير إليها بسوى الطاعة سبيلا ، ويأمل أسباب النجاح فلم يجد عليها غير
صدق الانتماء دليلا ؛ فأبصر بالخدمة موضع رُشده ، وأدرك بسعيه نافر سعيه ؛
وأراه الإقبال كيف تثبت قدمه في الملك الذي زلت عنه قدم من سلف ، وأظهر له
الإشفاق على رعاياه مصارع من أوردته سوء تدبير أخيه موارد التّلف ، وعرفه
التمسك بإحساننا كيف أحتوت يده على ما لم يُبق غضبنا في يد أخيه منه إلا الأسى
والأسف ؛ وحسنت له الثقة بكرمنا كيف يَجُلُّ الطلب ، وعلمته الطاعة كيف
تُستنزَل عوارفنا عن بعض ما غلبت عليه سيوفنا وإنما الدنيا لمن غلب ؛ وأنتمى
إلينا فصار من خدام أيا منا ، وصنائع إنعامنا ، وقطع علائقه من غيرنا ؛ فلجأ منا الى

٥

١٠

١٥

٢٠

- رُكن شديد، وظلٌّ مديد، ونصير عتيد؛ وحرِّم يأوى أمله إليه، وكرم تُقر نضارته ناظريه، وإحسان يُمتعه بما أقره عطاؤنا في يديه، وأمتنان يضع عنه إصره والأغلال التي كانت عليه؛ اقتضى إحساننا أن نُغضى له عن بعض ما حلت جيوشنا ذراه وحلت سَطَوَاتُ عساكرنا عُراه؛ وأضعفت عَزَمَاتُ سَرايانا قواه، ونشرت طلائع جنودنا ما كان ستره صَفْحُنَا عنهم من عورات بلادهم وطواه؛ وأن نخوله بعض ما وردت خيولنا مناهله، ووطئت جيادنا غاربه وكاهله؛ وسَلَكْتُ كُماثنا فَلَكَتْ دَارِسَه وآهله؛ وأن نُبقي مملكة البيت الذي مضى سلفه في الطاعة عليه، ويستمر مُلْكُ الأُردن الذي أُهْمِلَ السعي في مصالحه بيديه؛ لِيَتِمَّنَ رعاياه به، ويعلموا أنهم أَمِنُوا على أرواحهم وأولادهم بسببه؛ وَيَتَحَقَّقُوا أَنَّ أَثْقَالَهُمْ بِحُسْنِ تَوَصُّلِهِ إِلَى طَاعَتِنَا قَدْ خَفَّتْ، وَأَنَّ بَوَادِرَ الْأَمْنِ بِإِطْفَافِ تَوَسُّلِهِ إِلَى مَرَاضِينَا قَدْ أَطَافَتْ بِهِمْ وَخَفَّتْ وَأَنَّ سَيُوفَنَا الَّتِي كَانَتْ مَجْرَدَةً عَلَى مَقَاتِلِهِمْ بِجَمِيلِ اسْتِعْطَافِهِ قَدْ كَفَّتْهُمْ بِأَسْنَا وَكَفَّتْ وَأَنَّ سَطَوَاتِنَا الْخَاكِمَةَ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ قَدْ عَفَّتْ [عَنْهُمْ بِمَلَاطِفَتِهِ وَعَفَّتْ]؛ فَرَسَمَ أَنْ يُقْلَدَ كَيْتُ وَكِيتٍ مِنَ الْمَمْلَكَةِ الْفُلَانِيَّةِ، وَيَسْتَقَرَّ بِيَدِهِ اسْتِقْرَارًا لَا يِنَازَعُ فِي اسْتِحْقَاقِهِ وَلَا يُعَارِضُ فِيهَا سَبَقٌ مِنْ إِعْطَائِهِ وَإِطْلَاقِهِ؛ وَلَا يُطَالَبُ عَنْهُ بِقَطِيعَةٍ، [وَلَا يُطْلَبُ مِنْهُ بِسَبَبِهِ غَيْرُ طَوِيَّةٍ مُخَاصِمَةٍ وَنَفْسٍ مُطِيعَةٍ]؛ وَلَا يَخْشَى عَلَيْهِ يَدَا جَائِرِهِ، وَلَا سَرِيَّةً فِي طَلَبِ الْغَيْثَةِ سَائِرِهِ؛ وَلَا يَطْرُقُ كِنَاسُهُ أُسْدُ جِيُوشِ مَفْتَرِسِهِ، وَلَا سَبَاعُ نِهَابٍ مُخْتَابِسِهِ؛ بَلْ تَسْتَمِرُّ بِلَادُهُ الْمَذْكُورَةُ فِي ذِمَامِ رَعَايَتِنَا، وَحَصَانَةِ عَنَانَتِنَا؛ وَكَفَّفَ إِحْسَانِنَا، وَوَدِيعَةَ بَرِّنَا وَأَمْتِنَانِنَا؛ لَا تَطْمَحُ إِلَيْهَا عَيْنُ مُعَانِدٍ، وَلَا يَمْتَدُّ إِلَيْهَا إِلَّا سَاعِدُ

(١) كذا في النسخة السلية لهذا الكتاب، وحسن التوصل ص ١١٢ ط الوهية؛ وفي بعض نسخ

حسن التوصل: «أجل» بالجيم؛ والمعنى يخلف في كلتا الروايتين.

(٢) التكملة عن حسن التوصل؛ وسياق الكلام يقتضى إثباتها.

(٣) القطيعة: الضريبة.

مساعد، وعضدٌ مُعاضدٌ، فليقابل هذه النعمة بشكر الله الذي هداه الى الطاعة وصان بإخلاص ولأئه نفسه ونفائس بلاده من الإضاعة ؛ وليقرن ذلك بإصفاء موارد المودّة، وإضفاء ملابس الطاعة التي لا تزداد بحسن الوفاء إلا جدّه ؛ واستمرار المناصحة في السرّ والعلن ، واجتناب المخادعة ما ظهر منها وما بطن ، وأداء الأمانة فيما استقرّ معه الحلف^(١) عليه ، ومباينة ما يخشى أن يتوجه بسببه وجه عتب إليه ؛ واستدامة هذه النعمة بحفظ أسبابها ، واستقامة أحوال هذه المنة برفض موجبات الكدر واجتنابها ، وإخلاص النية التي لا تُعتبر ظواهر الأحوال الصالحة إلا بها .

ومن تقليد كتبه المشار اليه أيضا لسلامش بمملكة الروم حين ورد كتابه يسأل ذلك قبل حضوره ، أوله :

الحمد لله الذي أيدنا بنصره ، وأمّدتنا من جنود الظفر بما لم يؤت ملة في عصره ، وجعل مهابتنا قائمة في جهاد عدو الدين ، إن قرب مقام كسره ، وإن بعد مقام حصيره ، ونشر دعوة ما كنا في الأقطار كلها اذا اقتضت دعوة غيرنا من ملوك الأمصار على مصره ، وأنجّد من نادانا بلسان الإخلاص من جنود الله وجنودنا بالجيش الذي لم تزل أرواح العدا بأسرها في أسره ، وعضد من تمسك بطاعة الله وطاعتنا من إجابة عساكرنا بما هو أقرب الى مقاتل عدوه من بيضه المرهفة وسمره ، وأعاد بنا من حقوق الدين كلّ ضالة ملك ظن العدو أنّ أمره غالب عليها والله غالب على أمره ؛ فجنودنا إلى نصرة من دعاها بالإيمان أقرب من رجّع نفسه اليه ، وأسرع من ردّ الصدى جوابه عليه ؛ وأسبق الى عدو

(١) الحلف بكسر أوله وسكون ثانيه : العهد .

(٢) في الأصل : « ودى » ؛ وهو تحريف .

- الدين من مواقع عيانه ، وأَقْدَرُ على التصرف في أرواح أهل الشرك من تصرف
الكبي في عنانه ؛ وأَذَبُّ عن حمى الدين من الجفون عن نواظرها ، وأَضْرَى على
نفوس المعتدين من أَسُودَ عَنَتِ الْفَرَّائِسُ^(١) لكواصرها ؛ قد عَوَّدَهَا النصرُ الإلهيُّ
أَلَّا تَسْلَ ظُبَاهَا فَتُغَمَدَ حَتَّى تُسْتَبَاحَ مَمَالِكُ ، وَضَمِنَ لَهَا الْوَعْدُ الْمُحَمَّدِيُّ أَنَّهَا الطَائِفَةُ
الذين لا يزالون ظاهرين الى يوم القيامة حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ؛ نحمده
على نعمه التي لم نزل نصون بها حمى الدين ونصول ، ونقلدَ بِمِنْهَا من لجأ إلينا سيف
نصر يَصْدَعُ به ليل العدا ولو أن النجوم نُصُول ، ونُورِدَ بِأَسْمِهَا من آتتصر بنا
مُورِدَ عَزٍّ يُحْزِمُهُ^(٢) لِمُعِ الْأَسْنَةِ فوقه ، فليس لظمان من العدا إليه وُصُول ؛ وبعد ، فإن
أولى من أَصْغَتْ عِزَّائِمُنَا الشريفة إلى نداء إخلاصه ، وأجابت مكارمنا العَمِيْمَةَ
دعاء تَمِيْزِهِ بِالْوَلَاءِ واختصاصه ، وقابلت مَرَّاسِمُنَا آتتصاره في الدين بالنفير لإعانتته
على ما ظَفِرَ باقتلاعه من يد الكفر واقتناصه ، وتكفلت له مَهَابَتُنَا بِالْأَمْنِ على مُلْك
مذ وسمه باسمنا الشريف يئس العدو من استخلاصه ؛ وأجيبَت كُتْبُهُ في الاستنجا
بَسْرَعَانِ الْكُتَّابِ ، وَلَمْعَانِ الْقَوَاضِبِ ، وَتَتَابَعُ أُمْدَادُ جِيُوشِنَا التي تنوء بحملها كواهلُ
المشارك والمغارب ، وَتَدْفِقُ أمواج عساكرنا التي تُنْشِدُ طلائعُها ملوك العدا :
- « أَيْنَ الْفِرَارُ وَلَا مَفَرٌّ لِهَارِبٍ »

١٥

وَتَأْتِي بُرُوقُ النَّصْرِ مِنْ خَفَقِ أَلْوَيْتِنَا الشَّاهِدَةِ بِأَنْ قَبِيلُنَا

« إِذَا مَا التَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبٍ » .

(١) في الأصل : « الفوارس » ؛ وهو تحريف ، وسياق العبارة يقتضي ما أثبتنا . والفرائس :

جمع فريسة . (٢) في الأصل : « يجزمه » بالجم والزاى المعجمتين ؛ وهو تصحيف .

(٣) سرعان الناس بفتح السين والراء : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، قاله الأصمعي فيمن يسرع

٢٠

ومنه :

وَفَوَّضْتُ إِلَيْهِ مَرَّاسِمُنَا الْحُكْمَ فِي الرِّعَايَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَقَلَّدْتُهُ^(١) أَوْامِرُنَا مِنْ عُقُودِ النَّظَرِ فِي تِلْكَ الْمَمَالِكِ [مَا تَوَدَّ جِبَاهُ الْمُلُوكِ^(٢)] لَوْ حَلَّتْ بِدُرِّهَا مَعَاقِدَ التَّيْجَانِ ، وَعَلَّقَتْ بِهِ^(٣) مِنَ الْأَوْامِرِ مَا بَنَّا تَنْفُذَ مَوَاقِعُهُ ، وَكَذَا الْأُمُورِ الْمَعْتَبَرَةَ لَا تَنْفُذَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ، مِنْ أَلْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ ، وَهَدَاهُ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ فَأَصْبَحَ فِيهِ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، وَأَرَادَ بِهِ خَيْرًا فَتَقَلَّهَ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ إِلَى حِزْبِهِ ، وَأَنْقَذَهُ بِطَاعَتِهِ مِنْ مَوَارِدِ الْهَلَاكِ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ أَذِنَ بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَقَدْ خَسِرَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةَ مِنْ أَذْنٍ مِنْ اللَّهِ بِحَرْبِهِ ، وَأَيَّقَظَهُ مِنْ طَاعَتِنَا الَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَى الْأُمَمِ لِمَا أَبْصَرَهُ رُشْدَهُ ، وَرَأَى قَصْدَهُ ، وَعَلِمَ بِهِ أَنَّ الَّذِي كَانَ فِيهِ كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَأَنَّ الَّذِي آتَقَلَّ إِلَيْهِ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ ، وَأَنْهَضَهُ مِنْ مُوَالَاتِنَا بِمَا حَتَمَ بِهِ النَّهْوُضَ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا ، وَأَخْرَجَهُ بِنُورِ الْهُدَى مِنْ عِدَادِ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ خَوْفُنَا «كَأَنَّمَا أَغْشَيْتُ وُجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنْ اللَّيْلِ مُظْلِمًا» ، وَأَرَاهُ الرُّشْدُ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْرَثَنَا مُلْكَ الْإِسْلَامِ فَبِطَاعَتِنَا يَتِمُّ الْأَنْتَاءُ إِلَيْهِ ، وَأَعْطَانَا مَقَالِيدَ الْبَسِيطَةِ فَمَنْ اغْتَصَبَ مِنْهَا شَيْئًا أَنْتَرَعَهُ اللَّهُ لَنَا بِجُنُودِهِ الْمَسُومَةِ مِنْ يَدَيْهِ ، فَلَجَأَ مِنْ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ إِلَى الظِّلِّ الَّذِي يُلْجَأُ إِلَيْهِ كُلُّ ذِي مَنَبَرٍ وَسُرِيرٍ ، وَرَجَا مِنْ كَرَمِنَا الْإِعْتَصَامَ بِجِيُوشِنَا الَّتِي مَا رَمَيْنَا بِهَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَقَدَّرْتُهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الزِّيَادَةُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ ص ١١٣ طَبْعُ الْوَهْبِيَّةِ ، وَاسْتِقَامَةُ الْكَلَامِ تَقْتَضِيهَا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « جَلَّتْ » بِالْجِيمِ الْمَعْجَمَةِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَعَذَقْتُ » بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) لَمْ يَرِدْ هَذَا اللَّفْظُ فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ .

(٦) الْقِيَعَةُ بِكَسْرِ الْقَافِ : الْمَسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ ، أَشَارَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا

أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ يَحْسِبُهُ الظُّمَأْنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا » .

- عدوا إلا ظن أن الرمال تسيل والجبال تسير؛ وتخيّرنا إلى فئة الإسلام، وانتصر بسيفنا التي هو يعلم كيف تسلها على العدا الأحلام؛ ومّت إلينا بذمة الإسلام وهي عندنا أبرّ الذمم، وطلب تقليده الحكم منا من عرف بإعازته النظرات الصادقة أنه كان يحسب الشحم فيمن شحمه ورم؛ وعقد بنا بناء رجائه، وهل لمسلم عن ملك الإسلام من معذل؟ وأنزل بنا ركائب آماله، وهل بعد رامة لمرايم من منزل؟ فتلقت نعمنا كرائم قصده بالترحيب، وأحلت وفادة آثمائه بالحرم الذي شأوه بعيد ونصره قريب؛ وتسارعت إلى نصرته جنودنا التي أيامها مشهورة في عدوها، وآثارها مشكورة في رواحها وعدوها، وأعلامها منصوره في أنتراحها ودنوها؛ وتتابعت يتلو بعضها بعضا تتابع الغمام المتراكم، والموج المتلاطم؛ تقدم عليه بالنصر القريب من الأمد البعيد، وتعلم بوادرها أن طلائعها عنده وساقها بالصعيد؛ ولما كان فلان هو الذي أراد الله به من الخير ما أراد، ووطّد له بعنايته أركان الرشاد؛ وجعل له بعد الجهل به علما، وتداركه برحمته، فما أمسى للإسلام عدوا حتى أصبح هو ومن معه له سلما؛ "قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فأنفرحوا"، وبكرمه العميم فليفسحوا صدورهم ويشرحوا، وبارشاده الحلّي وهدايته فليدعوا قومهم إلى ذلك وينصحوها؛ وحين وضحت له هذه الطرق أرشدته من خدمتنا الشريفة إلى الطاعة، ودلته على

(١) في الأصل : «من معادنه» ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .

(٢) في الأصل وحسن التوسل : «بإدارته» ؛ وهو تحريف في كليهما ، وسياق الكلام يقتضى

ما أثبتنا إذ بقية الكلام تدل على أنه حل لبيت المتنبي وهو :

أعيدها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم .

(٣) كذا في الأصل ؛ والذي في حسن التوسل : «لمرتاد» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) في الأصل : «أسمائه» ؛ وهو تحريف .

مُؤَالَاةِ مَلِكِ الْإِسْلَامِ الَّتِي مِنْ لَمْ يَتَمَسَّكَ [بِهَا] فَقَدْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرَنَ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَاعَةِ أُولَى الْأَمْرِ ، وَحَثَّ عَلَى مَلَاذِمَةِ الْجَمَاعَةِ فِي وَقْتٍ يَكُونُ الْمُتَمَسِّكُ فِيهِ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ ؛ وَهَذَا فِعْلٌ مِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا ، وَسَمِعِي مَنْ يُحْسِنُ فِي دِينِ اللَّهِ سِيرَةً وَسَيْرًا ؛ وَلِذَلِكَ آقَتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ إِمْضَاءَ عَزْمِهِ عَلَى الْجِهَادِ بِالْإِجَادِ ، وَإِنْفَاذَ سَهْمِهِ فِي أَهْلِ الْعِنَادِ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ ؛ وَأَرْسَلْنَا الْجِيُوشَ الْإِسْلَامِيَّةَ كَمَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ يَطْئُونَ الصَّحَابِصَّحَ ، وَيَسْتَقْرِبُونَ الْمَدَى النَّازِحَ ، وَيَأْخُذُونَ كُلَّ كَيْفٍ فَلَوْ آسْتَطَاعَ السَّمَاءُ لَمْ يَتَسَمَّ بِالرَّاحِ ، وَيَحْتَسِبُونَ الشُّقَّةَ فِي طَلَبِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ عَلِمَا أَنَّهُمْ لَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيَا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ؛ فَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ — لَا زَالَ يَهَبُ الدَّوْلَ ، وَيَقْلُدُّ أَجْيَادَ الْعِظَاءِ مَا تَوَدَّ لَوْ تَحَلَّتْ بَعْضُ فَرَائِدِهِ تِيْجَانُ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ — أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ الْمَمَالِكِ الْفُلَانِيَّةِ تَفْوِيضًا يَصُونَ بِهِ قِلَاعَهَا ، [وَيَصُولُ بِمَهَابَتِهِ عَلَى مَنْ حَاوَلَ أَنْتَرَاعَهَا مِنْ يَدِهِ وَأَقْتَلَاعَهَا] ؛ وَيُجْرِيهَا عَلَى [مَا] أَلْفَتْ مَمَالِكُنَا مِنْ أَمْنٍ لَا يُرَوِّعُ سِرُّهُ ، وَلَا يَكْدُرُ شَرُّهُ ؛ وَلَا يُوجَدُ فِيهِ بَاغٌ تُخَافُ السَّبِيلُ بِسَبَبِهِ ، وَلَا مَنْ يَجْرُدُ سَيْفَ بَغْيٍ وَإِنْ جَرَّدَهُ قَتَلَ بِهِ ؛ وَلِيَحْفَظَ مِنَ الْأَطْرَافِ مَا آسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ وَهَذَا التَّقْلِيدُ الشَّرِيفُ حِفْظُهُ ، وَلِيَعْمَلَ فِي قِتَالِ مُحَارِبِيهِ مِنَ الْعِدَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَابْجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ١١٤ طبع الوهية .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ليم بها السجع الذي التزمه الكاتب

في رسالته .

(٣) في الأصل : « على ألفت » بدون « ما » والسباق يقتضى إثباتها .

ومنه : وليعلم أن جيوشنا في المسير إليه متى قصدت عدواً سابقاً خيولها خيالها، وجارت جياذها ظلالها، وأنفت سنايها أن تجعل غير جاجم الأعداء نعالها، ودهاى قد تقدمت ونهضت لإنجاده، فلو سامها أن تخوض البحار في سبيل الله لخاضت، أو تصدم الجبال لصدمت .

ومنه : والشرع الشريف مهمه المقدم، وأمره السابق على كل ما تقدم، فليعل مناره، ويستشف من أمور أنواره، وينفذ أحكامه، ويعاضد حكمه، ومن عدل عن حكمه معانداً، أو ترك شيئاً من أحكامه جاحداً، فقد برئت الذمة من دمه حتى يفى إلى أمر الله، ويرجع عن عناده وينيب إلى الله، فإن الله يهدي إليه من أناب "وهو الذي يقبل التوبة عن عباده" .

وأما الرسائل التي تتضمن أوصاف السلاح وآلات الحرب وأوصاف الخيل والجوارح وأنواع الرياضات وما أشبه ذلك، فالكاتب فيه مطلق العنان، مخلي بينه وبين فصاحته، موكول إلى اطلاعه وبلاغته . وقد تقدم من أوصاف السلاح ما فيه كفاية لمن يريد ذلك .

وأما الخيل والجوارح وما يلتحق بذلك من الفهود والضواري فلا غنية للكتاب عن معرفته جياذها، والأمارات الدالة على فرائدها، وكل طير من الجوارح وأفعاله وأستطالته، وكيفية فعله، وتمكنه من الطير والوحش، وسنورد إن شاء الله تعالى في فن الحيوان الأصاميت — وهو آلفن الثالث من هذا الكتاب — ما يتبدى للكتاب بمثاله، وينسج على منواله .

(١) كذا في الأصل . قال في تاج العروس مادة « لحق » : وقولهم : "التحق به" ، أى لحق ،

مولدة ، قال الصاغاني : لم أجده فيما دون من كتب اللغة ، فليجنب ذلك اهـ .

وأما الرسائل التي تُعمل رياضةً للخواطر وتجربةً للقـرائح، كالمفاتيح بين الفواكه والأزهار، ووصف الرياحين والأنهار والغدران والسواقي والحدائق والبحار والمراكب وأمثال ذلك، فقد تقدم منها في الفن الأول من هذا الكتاب ما وقفت أو تقف عليه، وسنورد منها إن شاء الله تعالى في الفن الرابع في النبات ما تجده هناك .

وأما الرسائل الإخوانية وما يتجدد من الأمور ويطرأ من الحوادث وغير ذلك، فسنورد إن شاء الله تعالى منها في هذا الباب ما آتخبرناه من رسائل الكتاب والبلغاء المشاركة والمغاربة على ما تقف عليه؛ ولنبدأ من ذلك بذكر شيء من كلام الصحابة والصدر الأول .

ذكر شيء من الرسائل المنسوبة إلى الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وشيء من كلام الصدر الأول وبلاغتهم
قدّمنا أن الكاتب يحتاج في صناعته إلى حفظ مخاطبات الصحابة رضي الله عنهم، ومحاوراتهم ومراجعاتهم، فأحببنا أن نورد من ذلك في هذا الموضع ما استوقف إن شاء الله عليه ؛

فمن ذلك الرسالة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق إلى عليّ، وما يتصل بها من كلام عمر بن الخطاب وجواب عليّ رضي الله عنهم، وهذه الرسالة قد أعتنى الناس بها وأوردوها [في] المجاميع، ومنهم من أفردوها في جزء، وقطع بأنها من كلامهم رضي الله عنهم، ومنهم من أنكرها ونفاها عنهم، وقال : إنها موضوعة، واختلف القائلون بوضعها، فمنهم من زعم أن فضلاء الشيعة وضعوها، وأرادوا بذلك الاستناد إلى

(١) [أن] علياً بن أبي طالب رضى الله عنه إنما بايع أبا بكر الصديق بسبب ما تضمنته ؛ وهذا الاستناد ضعيف ، وحجة واهية ، والصحيح أن علياً بن أبي طالب رضى الله عنه بايع بيعة رضى باطنه فيها كظاهره ، والدليل على ذلك أنه وطئ من السبي الذى سبي في خلافة أبي بكر ، وأستولد منه محمد بن الحنفية ، ولا جواب لهم عن هذا ؛ ومنهم من زعم أن فضلاء السنة وضعوها ، والله أعلم ؛ وعلى الجملة فهذه الرسالة لم تُوردها في هذا الكتاب إثباتاً لها أنها من كلامهم رضى الله عنهم ولا نفيها ، وإنما أُوردها لما فيها من البلاغة ، وأتساق الكلام ، وجودة الألفاظ ، وها نحن نُوردها على نص ما وقفنا عليه

قال أبو حيان علي بن محمد التوحيدى البغدادى :

- ١٠ سَمَرْنَا لَيْلَةً عِنْدَ الْقَاضِي أَبِي حَامِدِ بْنِ بَشْرِ الْمَرْوَرُودِيِّ بِبَغْدَادٍ ، فَتَصَرَّفَ فِي الْحَدِيثِ كُلِّ مُتَصَرِّفٍ — وَكَانَ غَزِيرُ الرَّوَايَةِ ، لَطِيفُ الدَّرَايَةِ — بِخَرَى حَدِيثِ السَّقِيفَةِ ، فَرَكَبَ كُلُّ مَرْكَبًا ، وَقَالَ قَوْلًا ، وَعَرَّضَ بِشَيْءٍ ، وَنَزَعَ إِلَى فَنٍّ ، فَقَالَ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَحْفَظُ رِسَالَةَ لِأَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَجَوَابَ عَلِيٍّ عَنْهَا ، وَمُبَايَعَتِهِ إِيَّاهُ عَقِبَ تِلْكَ الْمُنَازَعَةِ ؟ فَقَالَ الْجَمَاعَةُ : لَا وَاللَّهِ ، فَقَالَ : هِيَ وَاللَّهِ مِنْ بَنَاتِ الْحَقَائِقِ ، وَمُخَبَّاتِ الصَّنَادِقِ ، وَمِنْذُ حَفَظْتُهَا مَا رَوَيْتُهَا إِلَّا لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ فِي وَزَارَتِهِ ، فَكَتَبْتُهَا عَنِّي بِيَدِهِ ، وَقَالَ : لَا أَعْرِفُ رِسَالَةَ أَعْقَلَ مِنْهَا وَلَا أَبِينَ ، وَإِنِهَا لَتَدُلُّ عَلَى عِلْمٍ وَحِلْمٍ وَفِصَاحَةٍ وَنَبَاهَةٍ ، وَبُعْدٍ غَوْرٍ ، وَشِدَّةٍ غَوْصٍ ، فَقَالَ لَهُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) في الأصل : « غزير » ؛ وهو تصحيف .

(١) العباداني : أيها القاضي ، لو أتممت المنّة علينا بروايتها سمعناها ، فنحن أوعى لها عنك
من المهلب ، وأوجب ذماما عليك ، فاندفع وقال : حدثنا الخزازي بمكة ، عن
أبي ميسرة قال : حدثنا محمد بن فليح^(٤) عن عيسى بن دأب^(٥) [نبأ صالح بن كيسان^(٦)
وزيد بن رومان ، قالا : حدثنا هشام بن عروة ، نبأ^(٧)] أبو النفاح قال : سمعت

٥ (١) العباداني : نسبة الى عبادان ؛ وعبادان : موضع منسوب الى عباد بن حصين الحبلى لأنه
أول من رابط به فنسب إليه بزيادة الالف والنون على طريقة أهل البصرة ونواحيها في النسبة ، فإنهم
إذا سموا موضعا ونسبوه الى رجل أو صفة يزيدون في آخره ألفا ونونا ، كقولهم في قرية عندهم منسوبة الى
زياد بن أبيه : زيادان ، وأخرى الى عبد الله : عبد اللان ، وأخرى الى بلال بن أبي بردة : بلالان ،
وعبادان هذه تحت البصرة قرب البحر الملح ، فإن دجلة اذا قاربت البحر انفرقت فرقتين عند قرية تسمى
المحرزى : ففرقة يركب فيها الى ناحية البحرين نحو بر العرب ، وهى اليمنى ، فأما اليسرى فيركب فيها الى
سيزاف وجنابة فارس ، فهى مثلثة الشكل . وعبادان فى هذه الجزيرة التى بين النهرين ، وهى موضع
ردى ، سبخ لا خير فيه ، وماءه ملح ، وفيه مشهد لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه . اهـ ملخصا من يا قوت
ج ٣ ص ٩٨ طبع جوتيجن .

١٥ (٢) فى صبح الأعشى : «أسمعناها» بصيغة الأمر ؛ والمعنى يستقيم على كليهما .
(٣) كذا فى صبح الأعشى ؛ والذي فى الأصل : «ابن أبى ميسرة» : ولم نقف عليه فيما لدينا من
الكتب المدونة فى أسماء الرواة .

٢٠ (٤) فى الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٧ طبع المطبعة الأميرية : «ابن أبى فليح» ؛ ولم نقف
عليه فيما بين أيدينا من المظان ، وما أثبتناه عن خلاصة تذهيب التهذيب للخزرجى وغيرها .
(٥) كذا فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٢ ص ٩٣ طبع مطبعة الحلبي ، والمشتبه فى أسماء
الرجال ، وتاج العروس مادة دأب ، وغير ذلك من المصادر ؛ والذي فى الأصل : «ابن ذؤاب» ولم نقف
عليه فيما لدينا من المظان .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وبها يستقيم السند انذار محاضرة الأبرار لابن العربى ج ٢
ص ١٠٣ طبع السعادة .

٢٥ (٧) كذا وردت هذه الكنية فى محاضرة الأبرار لابن العربى المحفوظ منها نسخة مخطوطة
بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٨ أدب م وكذلك فى النسخة المطبوعة طبع السعادة السالفة الذكر ، ونص
فيها على أن أبا النفاح مولى أبى عبيدة بالنون والفاء . والذي فى الأصل : «ابن المتاح» ؛ ولم نقف عليه
فما لدينا من المظان .

- مولاي أبا عبيدة يقول : لما استقامت الخلافة لأبي بكر رضى الله عنه بين المهاجرين والأنصار بعد فتنة كاد الشيطان بها ، فدفع الله شرها ، ويسر خيرها ، بلغ أبا بكر عن عليّ تلکؤ وشماس ، وتهمم ونفاس ، فكره أن يتمادي الحال فتبدو العوره ، وتشتعل الجمره ، وتفرق ذات البين ، فدعاني ، فحضرته في خلوة ، وكان عنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحده ، فقال : يا أبا عبيدة ، ما أئمن ناصيتك ، وأبين الخير بين عينيك ، وطالما أعز الله بك الإسلام ، وأصلح شأنه على يدك ، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط ، والمحل المغبوط ، ولقد قال فيك في يوم مشهود : ” لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة “ ، ولم [تزل] ^(٢) للدين ملتجأ ، وللمؤمنين مرتجى ، ولإهلك ركا ، ولإخوانك رداء ، قد أردت لك لأمر له خطر مخوف ، وإصلاحه من أعظم المعروف ؛ ولئن لم يندمل جرحه بيسارك ويرفك ، ولم تجب حيتته برؤيتك ، فقد وقع اليأس ، وأعضل البأس ؛ واحتيج بعد ذلك إلى ما هو أمر منه وأعلق ، وأعسر منه وأغلق ؛ والله أسأل تمامه بك ، ونظامه على يدك ، فتأت له يا أبا عبيدة ، وتلطّف فيه ، وأنصح لله عز وجل ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذه العصابة غير آل جهدا ، و [لا] قال حمدا ، والله كاللئك وناصرك ، وهاديك ومبصرك ، إن شاء الله ؛ امض إلى عليّ وأخفّض له جناحك ، وأغضض

(١) يقال : تهمم فلان الشيء ، إذا طالبه ، والمراد هنا طالب الخلافة . وفي رواية : ” تهممهم “ ، وهو الكلام الخفي ؛ والمعنى يستقيم على ذلك أيضا . والنفاس : المنافسة .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها انظر صبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٨ طبع المطبعة الأميرية .

(٣) كذا في الأصل ؛ وفي رواية : ” بمسبارك “ ؛ انظر محاضرة الأبرار ج ٢ ص ١١١ طبع السعادة في تفسير هذه الرسالة . والمسبار : فتيل يدخل في الجرح ليعرف كم عمقه ؛ يقال : سبرت الجرح إذا اختبرته بالمسبار .

عنده صوتك ، وأعلم أنه سُلالةُ أبي طالب ، ومكانه ممن فقدناه بالأمس صلى الله عليه وسلم مكانه ، وقل له : البحر مغرقه ، والبر مفرقه ، والجو أكلف^(١) ، والليل أغدق^(١) ، والسماء جلاء ، والأرض صلعاء ، والصعود متعذر ، والهبوط متعسر ، والحق عطوف رءوف ، والباطل عنوف عسوف ، والعجب قذاحة الشر^(٣) ، والضغن رائد البوار ، والتعريض سجال الفتنه ، والقحة ثقب العداوة^(٥) ، وهذا الشيطان متكئ على شماله ، متجبل بيمينه^(٦) ، نافخ حضنيه لأهله ، ينتظر الشتات والفرقة ، ويدب بين الأئمة بالشحناء والعداوة ، عنادا لله عز وجل أقولا ، ولآدم ثانيا ، ولنبيه صلى الله عليه وسلم ودينه ثالثا ، يوسوس بالفجور ، ويدلى بالغرور ، ويمنى أهل الشرور ، يوحى إلى أوليائه زخرف القول غرورا بالباطل ، دأبا له منذ كان على عهد أبينا آدم صلى الله

١٠ (١) الأكلف من الكلف ، وهولون بين السواد والحرمة . وأغدق الليل : أرخى سدرة وأظلم ، ولم نعر عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة إلا فعلا . وفي محاضرة ابن العربي ج ٢ ص ١٠٤ طبع السعادة : « أغلف » باللام ، وذكر في تفسيره ص ١١١ أنه الشديد الظلمة . كنى بهذا عن اشتباه الأمور وخفاء طرق الهداية .

١٥ (٢) كذا في الأصل وغيره من المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة ، ولم نقف على هذه الصيغة فيما لدينا من كتب اللغة .

(٣) القذاحة بتشديد الدال : حجر الزند .

(٤) السجال : جمع سجال بفتح أوله وسكون ثانيه ، وهو الدلو العظيمة .

(٥) الثقب بفتح الثاء : ما تشعل به النار من دقاق العيدان . والذي في الأصل : « ثقب » بالفاء الموحدة ؛ وهو تحريف .

٢٠ (٦) المتجبل بتشديد الباء الموحدة : المتصيد بالحبال ؛ وفي الأصل : « متجبل » بالياء المثناة ، وهو تصحيف .

(٧) قال في اللسان مادة « نفخ » في تفسير هذه العبارة : أي منتفخ ، مستعد لأن يعمل عمله من الشراء . وفي الأصل وصح الأعرابي ج ١ ص ٢٣٨ : « خصيه » : وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٩٣ طبع مطبعة الحلبي . وفي النهاية لابن الأثير : « نافخ حضنيه » بالهمزة ، وقال في تفسيره : كنى به عن التعظيم والتكبر والخيلاء .

- عليه ، وعادةً له منذ أهانه الله تعالى في سالف الدهر ، لا منجى منه إلا بعض
الناجذ على الحق ، وغض الطرف عن الباطل ، ووطء هامة عدو الله بالأشد فالأشد ،
والآكد فالأكد ، وإسلام النفس لله عز وجل في آبتغاء رضاه ، ولا بد الآن من
قول ينفع اذا ضر السكوت وخيف غبه ، واقد أرشدك من أفاء ضالتك ، وصافاك
من أحياء مودته بعتابك ، وأراد لك الخير من أثر البقاء معك ، ما هذا الذي تسؤل
لك نفسك ، ويدوى به قلبك ، ويلتوى عليه رأيك ، ويتخاوص دونه طرفك ، ويسرى
فيه ظعنك ، ويترادف معه نفسك ، وتكثر عنده صعداؤك ، ولا يفيض به اسألك ؟
أعجمة بعد إفصاح ؟ أتلبس بعد إيضاح ؟ أدين غير دين الله ؟ أخلق غير خلق
القرآن ؟ أهدي غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أمثلي تمشي إليه الضراء وتدب
له الخمر ؟ أو مثلك ينقبض عليه الفضاء ويكسف في عينه القمر ؟ ما هذه التعمقة
بالشنان ؟ وما هذه الوعوة باللسان ؟ إنك والله جد عارف باستجابتنا إلى الله عز
وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبمخرجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا
وأحبينا لله عز وجل ولرسوله ونصرة لدينه ، في زمان أنت فيه في كن الصبا ،

(١) يدوى : من الدوى بفتح الواو ، وهو داء باطن في الصدر .

(٢) التخواص : غض البصر مع تحديق كمن يقوم سهماً .

(٣) قال في اللسان مادة ضرا : يقال للرجل اذا ختل صاحبه ومكر به : هو يدب له الضراء ويمشي
له الخمر ، ويقال : لا أمشي له الضراء ولا الخمر ؛ أى أجاهره ولا أخاتله ؛ وللضراء الاستخفاء . ثم قال
بعد ذلك نقلاً عن ابن شميل : ما وارك من شئ ، وادرات به فهو نجر .

(٤) نقل عن ثعلب أن الأجود أن يقال : كسفت الشمس ، وخسف القمر انظر اللسان والمصباح

مادة « خسف » .

(٥) قال في اللسان مادة قعع : وفي المثل فلان لا يقعقع له بالشنان ، أى لا يخدع ولا يروغ ، وأصله

من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع .

(٦) عبارة صبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٩ « هجرة إلى الله » الخ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

وَحِدْرِ الْغَرَارَةِ، وَعُنُقُوانِ الشَّيْبَةِ ^(١) [غافلا عما] يُشِيبُ وَيُرِيبُ ^(٢)، لَا تَعَى مَا يُرَادُ وَيُشَادُ،
وَلَا تُحْصَلُ مَا يُسَاقُ وَيُقَادُ، سَوَى مَا أَنْتَ جَارٌ عَلَيْهِ إِلَى غَايَتِكَ الَّتِي إِلَيْهَا عُدِلَ بِكَ،
وَعِنْدَهَا حُطَّ رَحْلُكَ، غَيْرَ مَجْهُولِ الْقَدْرِ، وَلَا مَجْهُودِ الْفَضْلِ، وَنَحْنُ فِي أَشْءٍ ذَلِكَ
نَعَانِي أَحْوَلاً تُزِيلُ الرُّوَاسِيَّ، وَنَقَاسِي أَهْوَالاً تُشِيبُ النَّوَاصِي، خَائِضِينَ غِمَارَهَا،
رَاكِبِينَ تَيَّارَهَا، تَتَجَرَّعُ صَابَهَا، وَنُشْرِجُ عِيَابَهَا ^(٣)، وَنُحْكِمُ آسَاسَهَا، وَنُبْرِمُ أَمْرَاسَهَا،
وَالْعَيُونَُ تَحْدُجُ ^(٤) بِالْحَسَدِ، وَالْأَنْوُفُ تَعِطُّسُ بِالْكِبَرِ، وَالصَّدُورُ تَسْتَعِيرُ بِالْغَيْظِ،
وَالْأَعْنَاقُ تَتَطَاوَلُ بِالْفَخْرِ، وَالشَّفَارُ تُشْجَذُ بِالْمَكْرِ، وَالْأَرْضُ تَمِيدُ بِالْخَوْفِ، لَا نَنْتَظِرُ
عِنْدَ الْمَسَاءِ صَبَاحًا، وَلَا عِنْدَ الصَّبَاحِ مَسَاءً، وَ [لَا] نَدْفَعُ فِي نَحْرِ أَمْرٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ
نَحْسُوَ الْمَوْتَ دُونَهُ، وَلَا نَبْلُغُ مُرَادًا إِلَى شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ جَرِّعِ الْعَذَابِ مَعَهُ، وَلَا نُقِيمُ
مَنَارًا إِلَّا بَعْدَ الْإِيَّاسِ مِنَ الْحَيَاةِ عِنْدَهُ، فَادِينِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِالْأَبِّ وَالْأُمِّ، وَالْخَالِ وَالْعَمِّ، وَالْمَالِ وَالنَّشَبِ، وَالسَّبَدِ وَاللَّبَدِ، وَالْهَلَّةِ وَالْبِلَّةِ ^(٥)،
بِطَيْبِ أَنْفُسٍ، وَقُوَّةِ أَعْيُنٍ، وَرُحْبِ أَعْطَانٍ، وَثَبَاتِ عِزَائِمٍ، وَصِحَّةِ عَقُولٍ، وَطَلَاقَةِ
أَوْجُهُ، وَذَلَالَةِ أَلْسُنٍ، هَذَا مَعَ خَفِيَّاتِ أَسْرَارٍ، وَمَكْنُونَاتِ أَخْبَارٍ كُنْتَ عَنْهَا غَافِلًا،

(١) التكملة عن صبح الأعشى ؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها .

(٢) عبارة الأصل : « تشب وتغيب » ، وهو تحريف ؛ وقوله : « ويريب » ، هو من رابى الأمر وأرابى ، إذا رأيت منه ما تكره .

(٣) أشرح العيبة وشرحها بدون همز : شد عراها .

(٤) التحديق بالجم : التحديق . وفى الأصل : « تحدع » بالخاء والعين ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « وندفع » بدون « لا » ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

(٦) السبد واللبد : كناية عن القليل والكثير ؛ وأصل السبد : الوبر ، واللبد : الصوف المتلبد .

(٧) يريد بالهلة والبلة كل شئ ؛ والعرب تقول : ما أصاب هلة ولا بلة : أى شئنا ، ويقال : جاءنا فلان فلم يأتنا بهلة ولا بلة ؛ قال ابن السكيت : فاهلة من الفرح والاستهلال ، والبلة من البلل والخير .

- ولولا سِنَّكَ لم تكن عن شيء منها ناكلاً ؛ كيف وفؤادك مشهور^(١) ، وعُودك معجوم !
والآن قد بلغ الله بك ، وأنقض الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك ، وعن علم أقول ما تسمع ؛ فأرتقب زمانك ، وقصص^(٢) أردائك ؛ ودع^(٣) التقعس والتجسس لمن لا يظلم لك إذا خطا ، ولا يتزحج عنك إذا عطا ؛ فالأمر غص ، والنفوس فيها مض^(٤) ؛
وإنك أديم هذه الأمة فلا تحلم^(٥) لجأجا ، وسيفها العصب فلا تنب أعوجاجا ، وماؤها العذب فلا تحل أجاجا ؛ والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر فقال لي : ” يا أبا بكر ، هو لمن يرغب عنه لا لمن يجاحش عليه ، ولمن يتضاءل عنه لا لمن ينتفج^(٦) إليه ، هو لمن يقال : هو لك ، لا لمن يقول : هو لي “ ولقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصهر ، فدكر فتيانا من قریش ، فقلت : أين أنت من علي ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إني لأكره لفاطمة مئعة شبابه ، وحداثة سنه ، فقلت له : متى كنته يدك ، ورعته عينك ، حقت بهما البركة ، وأسبغت عليهما النعمة ، مع كلام كثير خاطبته به رغبة فيك ، وما كنت عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء ، فقلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك ، وأجد

(١) المشهور : الذكي الفؤاد المتوقد ، كالشمس .

(٢) التقليص : التشهير .

(٣) التقعس : التأخر ، كالتمعس .

(٤) المض : الألم والحزن .

(٥) حلم الجلد : وقع فيه الحلم بفتح اللام ، وهو دود يقع في الجلد فيأكله ، فإذا دبغ وهي موضع الأكل منه ؛ يريد أنه الذي يجتمع به شمل الأمة واتصان به أمورها ، فإذا فسد تفرق ما كان مجتمعاً منها

كلأديم الذي يصاب به سائر البدن .

(٦) يجاحش : يدافع .

(٧) الانتفاج : الارتفاع ، أو هو مستعار هنا من قولهم : انتفجت الأرب إذا وثبت ، ومعنى

العبارة يستقيم على كلا التفسيرين .

رائحة سواك، وكنْتُ إذ ذاك خيرا لك منك الآن لي؛ ولئن كان عَرَضَ بك رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر فلم يكن مُعْرِضاً عن غيرك، وإن كان قال فيك
فما سَكَت عن سواك، وإن تَلَجَّجَ في نَفْسِكَ شَيْءٌ فَهَلُمَّ فَالْحَكْمَ مَرْضَى، والصَّوَابُ
مسموع، والحقُّ مُطاع؛ ولقد نُقِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما عند الله
عزَّ وجلَّ وهو عن هذه العِصَابَةِ راضٍ، وعليها حَذِبٌ، يَسْرَهُ ما يَسْرُهَا، ويسوءه
ما يسوءها، ويكيده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويُسِخِطُهُ ما أُسِخِطَها، أما تعلم
أنه لم يدع أحدا من أصحابه وأقاربه وسُجَرَاءِهِ إِلَّا أَبَانَهُ بِفَضِيلَةٍ، وَخَصَّهُ بِمَزِيَّةٍ،
وَأَفْرَدَهُ بِحَالَةٍ؟ أَتَظُنُّه صلى الله عليه وسلم ترك الأُمَّةَ سَدَى بَدَا، عِبَاهِلَ مَبَاهِلٍ،
طَاحِيٍّ، مَفْتُونَةٍ بِالْبَاطِلِ، مَعْنُونَةٍ عَنِ الْحَقِّ، لَا ذَائِدَ وَلَا رَائِدَ، وَلَا ضَابِطَ
وَلَا حَائِطَ وَلَا رَابِطَ، وَلَا سَاقِيَّ وَلَا وَاقِيَّ، وَلَا هَادِيَّ وَلَا حَادِيَّ، كَلَّا، والله ما أَشْتَاقُ
إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى، وَلَا سَأَلَهُ الْمَصِيرَ إِلَى رِضْوَانِهِ وَقُرْبِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ الْمَدَى، وَأَوْضَحَ



(١) كذا ورد هذين الفعلين في الأصل بصيغة المضارع، والذي في صحيح الأعشى ج ١ ص ٢٤١ :
« ما سردا » و « ما ساءها » بصيغة الماضي، وهو أظهر لما كتبه لما بعده .

(٢) السجراء : الأصفياء، واحده سَجِيرٌ كَأَمِيرٍ .

(٣) العباهل من الإبل : المهملّة . والمباهل بمعناه ؛ استعار ذلك للذين تفرقت كلمتهم وتشّتت
شملهم .

(٤) الطاحي : الإبل التي تشنكى بطونها من أكل الطلح، أراد به هنا القوم الذين لا راعى لهم
يصدّهم عما يضرهم، ولا قانون يمنعهم عن أن يردوا موارد تسوءهم، فهم يتبعون ما تقودهم اليه الشهوة
كالإبل التي تأكل من الطلح الذي يؤذيها حتى تشنكى بطونها .

(٥) معنونة : من عنذت الفرس، أي حبسته بالعنان .

(٦) في الأصل : « ذادى » ؛ وهو تحريف .

(٧) ضرب المدى، يريد : بين الغاية .

- الهدى ، وأبان الصَّوْى^(١) ، وأَمَّن المسالك والمطارح ، وسَمَّهَل المَبَارَك والمُهَاجِع ، وإلا بعد أن شَدَخ يَأْفُوخ الشَّرِك بإذن الله تعالى ، وشَرَم وَجَه النِّفَاق لوجه الله سبحانه ، وَجَدَعَ أَنْفَ الْفِتْنَةِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، وَتَذَلَّ فِي عَيْنِ الشَّيْطَانِ بَعُونَ اللَّهِ ، وَصَدَعَ بِمِلْءٍ فِيهِ وَيَدِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَبَعْدَ ، فَهَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ عِنْدَكَ وَمَعَكَ فِي بَقْعَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَدَارٍ جَامِعَةٍ ، إِنْ أَسْتَقَالُونِي لَكَ ، وَأَشَارُوا عِنْدِي بِكَ ، فَأَنَا وَاضِعٌ^(٢) يَدِي فِي يَدِكَ ، وَصَائِرُ إِلَى رَأْيِهِمْ فِيكَ ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى فَأَدْخِلْ فِي صَالِحِ مَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَكُنِ الْعَوْنُ عَلَى مَصَالِحِهِمْ ، وَالنَّفَاتِحُ لِمَغَالِقِهِمْ ، وَالْمُرْشِدُ لَضَلَالَتِهِمْ ، وَالرَّادِعُ لَغَوَايَتِهِمْ ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَالتَّنَاصُرِ عَلَى الْحَقِّ ، وَدَعَانَا نَقِضَ هَذِهِ الْحَيَاةَ بِصُدُورِ بَرِيثَةٍ مِنْ الْغِلِّ ، سَلِيمَةٍ مِنَ الضَّغَائِنِ وَالْحَقْدِ ، وَتَلَقَّى اللَّهُ تَعَالَى بِقُلُوبِ سَلِيمَةٍ مِنَ الضَّغْنِ ، وَبَعْدَ ، فَالنَّاسُ ثُمَامَةٌ^(٣) فَارْفُقْ بِهِمْ ، وَأَحْنُ عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ لَهُمْ ، وَلَا تُشَقِّ نَفْسَكَ بِنَا خَاصَّةً مِنْهُمْ ، وَأَتْرَكَ نَاجِمَ الْحَقْدِ

(١) فِي الْأَصْلِ : «الضوى» بِالضَادِّ الْمَعْجَمَةِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالضَوَى بِضَمِّ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ : حِجَارَةٌ مَرْكُومَةٌ فِي الطَّارِيقِ تَجْعَلُ أَعْلَامًا .

- (٢) فِي الْأَصْلِ : «انمايح» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ صَبْحِ الْأَعْشَى .
(٣) فِي الْأَصْلِ : «وَاسْتَقَادُونِي» ؛ وَلَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ فِيمَا لَدَيْنَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ الْإِفْعَالِ لَا زِمًا ، نَقُولُ : اسْتَقَادَ فُلَانٌ لِي إِذَا أَعْطَاكَ مَقَادَتَهُ ، أَوْ مَتَعَدَّيَا إِلَى مَفْعُولٍ مِنَ الْقَوْدِ بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْوَاوِ ، وَهُوَ الْقَصَاصُ .

- (٤) الْمَغَالِقُ : جَمْعُ مَغْلَقٍ بِكَسْرِ الْمِيمِ ، وَالْمَغْلَقُ : مَا يَغْلَقُ بِهِ الْبَابُ ، كَالْمَغْلَاقِ ؛ كَمَا فِي شَرْحِ الْقَامُوسِ مَادَّةِ «غلق» نَقْلًا عَنِ الرَّاغِبِ .
(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَهَذَا اللَّفْظُ مَكْرُورٌ مَعَ مَا يَأْتِي فِي الْفَقْرَةِ الَّتِي بَعْدَهُ مَعَ اخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا بِالْإِفْرَادِ وَاجْتِمَاعِهِ ، وَلَمْ يَرِدْ فِي الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ .
(٦) الثَّمَامَةُ بِضَمِّ الثَّاءِ : وَاحِدَةُ ائْتِمَامٍ ، وَهُوَ نَبَتْ ضَعِيفٌ لَهُ خُوصٌ ، وَرَبَّمَا حَثِي بِهِ وَسَدَّ بِهِ خِصَاصَ الْبُيُوتِ ، وَيُشَبِّهُ بِهِ فِي الضَّعْفِ .
(٧) فِي الْأَصْلِ : «تَوَلَّى» وَلَمْ نَجِدْ مِنْ مَعَانِيهِ مَا يَنْسَبُ الْمَقَامَ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ صَبْحِ الْأَعْشَى .

حَصِيدًا ، وطائرَ الشرِّ واقعا ، وبابَ الفتنة مُغلَقًا ، فلا قَالَ ولا قِيلَ ، ولا لَوْمَ ولا ^(١) تعنيفَ ، واللهُ على ما نقول شهيدٌ ، وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تأهبتُ للنهوض قال عمرُ رضى الله عنه : كُنْ لدى البابِ هَنِيئَةً فلى معك دور من القول ، فوقفْتُ وما أدري ما كان بعدى إلا أنه لحقنى بوجه يُبْدِي تَهَلُّلاً ، وقال لى : قل لعلّى : الرُّقَادُ مُحَلَّمَةٌ ، والهوى مَقْجَمَةٌ ؛ ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ ، وحقُّ مُشَاعٍ أو مقسوم ، ونَبَأٌ ظَاهِرٌ أو مكتوم ؛ وإنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسَى مَنْ مَنَحَ الشَّارِدَ تَأْلُفًا ، وقَارِبَ الْبَعِيدَ تَأْطُفًا ؛ ووَزَنَ كُلَّ شَيْءٍ بِمِيزَانِهِ ، ولمْ يَخِاطْ خَبْرُهُ بِعِيَانِهِ ؛ ولمْ يجعلْ فِتْرَهُ مَكَانَ شِبْرِهِ دِينًا كان أو دُنْيَا ، ضَلَالًا كان أو هُدًى ، ولا خَيْرَ فى عِلْمٍ مُسْتَعْمَلٍ فى جَهْلٍ ، ولا خَيْرَ فى مَعْرِفَةٍ مَشُوبَةٍ بِنُكْرٍ ، وَلِسَانًا جِلْدَةً ^(٢) رُفِعَ الْبَعِيرُ بَيْنَ الْعِجَانِ وَالذَّنَبِ ، وكلُّ صَالٍ فَبِنَارِهِ ، وكلُّ سَيِّئٍ فإلى قَرَارِهِ ؛ وما كان سَكُوتُ هَذِهِ الْعِصَابَةِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ لِعَمَى وَشَى ^(٤) ، ولا كَلَامُهَا الْيَوْمَ لِفَرَقٍ أَوْ رَفَقٍ ، وقد جَدَعَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْفَ كُلِّ ذِي كِبَرٍ ، وَقَصَمَ ظَهَرَ كُلِّ جَبَّارٍ ، وَقَطَعَ لِسَانَ كُلِّ كَذُوبٍ ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ ، ما هَذِهِ الْخُزْوَانَةُ ^(٥) [التى] ^(٦) فى فِرَاشِ ^(٧)

(١) فى الأصل : « تتبع » وفى صبح الأعشى : « تبع » وهو تحريف فى كليهما ؛ وما أثبتناه عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٩٤ طبع مطبعة الحلبي . ١٥

(٢) الرفع بفتح الراء وضبطها ، أصول الفخذين من باطن ؛ وكأن وجه التشبيه فى ذلك الحسة وضعة المنزلة .

(٣) فى الأصل : « الرأس » وما أثبتناه عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٢ إذ به يستقيم المعنى .

(٤) الشئ بكسر الشين : إتباع للى . وفى الأصل : « ومى » بالميم ، وهو تحريف .

(٥) الخزوانة : الكبر . ٢٠

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى .

(٧) فراش الرأس : عظام دقاق تلى القحف .

رَأْسِكَ ؟ ما هذا الشجَا المَعْتَرِضُ في مدارج أنفاسك ؟ ما هذه القَذَاةُ التي تَغَشَّتْ
 نَاطِرَكَ ؟ وما هذه الوَحْرَةُ^(١) التي أَكَلَتْ شَرَا سَيْفِكَ ؟ وما هذا الذي لَبِستَ بسببه
 جِلْدَ النَّمْرِ ، واشتَمَّتْ عليه بالَشَحْنَاءِ وَالنُّكْرَ ، وَلَسْنَا في كَسْرِيَّةٍ كَسْرِي ، وَلَا في قَيْصَرِيَّةٍ
 قَيْصَرٍ ، تَأْمَلُ لِإِخْوَانِ فَارَسٍ وَأَبْنَاءِ الْأَصْنَمِ ، قَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ جَزَارًا لِسُيُوفِنَا ، وَدَرِيثَةً
 لِرِمَاحِنَا ، وَمَرَعَى لِطِعَانِنَا ، وَتَبَعًا لِسُلْطَانِنَا ، بَلْ نَحْنُ نُورُ نُبُوَّةٍ ، وَضِيَاءُ رِسَالَةٍ ، وَثَمَرَةُ
 حِكْمَةٍ ، وَأَثَرَةُ رَحْمَةٍ ، وَعِوَانُ نِعْمَةٍ ، وَظَلُّ عِصْمَةٍ ، بَيْنَ أُمَّةٍ مَهْدِيَّةٍ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ ،
 مَأْمُونَةٍ عَلَى الرَّتْقِ وَالْفَتْقِ ، لَهَا مِنْ اللَّهِ إِبَاءٌ أَبْيُّ ، وَسَاعِدٌ قَوِيٌّ ، وَيَدٌ نَاصِرَةٌ ، وَعَيْنٌ
 نَاطِرَةٌ ، أَتُظَنُّ ظَنًّا يَا عَلِيُّ أَنْ أَبَا بَكْرٍ وَثَبَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مُفْتَاتًا عَلَى الْأُمَّةِ ، خَادِعًا
 لَهَا ، أَوْ مُتَسَاطًا^(٢) [عَلَيْهَا] ؟ أَتَرَاهُ حَلَّ عُقُودِهَا [وَأَحَالَ عَقُولَهَا] ؟ أَتَرَاهُ جَعَلَ نَهَارَهَا لَيْلًا ،
 وَوَزَنَهَا كَيْلًا ، وَيَقْظَتَهَا رُقَادًا ، وَصَلَاحَهَا فُسَادًا ؟ لَا وَاللَّهِ ، سَلَا عَنْهَا فَوَلَّحَتْ لَهُ ،
 وَتَطَامَنَ لَهَا فَاصْصَقَتْ بِهِ ، وَمَالَ عَنْهَا فَمَالَتْ إِلَيْهِ ، وَأَشْمَازَ دُونَهَا فَاشْتَمَّتْ عَلَيْهِ ، حَبُوءَةً
 حِبَادَ اللَّهِ بِهَا ، وَعَاقِبَةً بَلَّغَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَنِعْمَةً سَرَبَلَهُ بِجَاهِلِهَا ، وَيَدًا أَوْجَبَ عَلَيْهِ شُكْرَهَا
 وَأَقَمَةً نَظَرَ اللَّهُ بِهِ لَهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِخَلْقِهِ ، وَأَرَأْفُ بِعِبَادِهِ ، يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ
 الْخَيْرَةُ ، وَإِنَّكَ بِحَيْثُ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُكَ مِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَلَا يُجْحَدُ
 حَقُّكَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ ، وَلَكِنْ لَكَ مِنْ يَزَاحِمِكَ بِمَنْكِبِ أَضْخَمٍ مِنْ مَنْكِبِكَ ، وَقُرْبِ أَمَسٍّ
 مِنْ قَرَابَتِكَ ، وَسَنٍّ أَعْلَى مِنْ سَنِّكَ ، وَشَيْبَةٍ أَرْوَعَ مِنْ شَيْبَتِكَ ، وَسِيَادَةٍ لَهَا أَصْلٌ
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِرْعٌ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمَوَاقِفٌ لَيْسَ لَكَ فِيهَا جَهْلٌ وَلَا نَاقَةٌ ، وَلَا تُذَكَّرُ فِيهَا

(٨٥)

(١) الوَحْرَةُ : ضَرْبٌ مِنَ الْعُضَا ، وَهِيَ صَغِيرَةٌ حَمْرَاءُ تَعْدُو فِي الْجَبَابِينِ لَهَا ذَنْبٌ دَقِيقٌ تَمْصَعُ بِهِ إِذَا عَدَتْ ،

وَهِيَ أَخْبَثُ الْعُضَا ، لَا تَطْأُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا شَتَنَهُ وَلَا يَأْكُلُهُ أَحَدٌ إِلَّا دَقَّ بَطْنُهُ ، وَرَبَّمَا هَلَكَ ، شَبَّهَ

الْعِدَاوَةَ وَالْغُلَّ بِهَا . قَالَ فِي الْمَسَانِدِ : « وَحْرٌ » : الْوَحْرُ : غَشَّ الصَّدْرَ وَبَلَابِلَهُ ، وَيُقَالُ : إِنْ أَصْلَ

هَذَا مِنَ الدَّوْيَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْوَحْرَةُ ، ثُمَّ قَالَ : شَبَّهُوا الْعِدَاوَةَ وَلَزُوفَهَا بِالصَّدْرِ بِالتَّزَاقِ الْوَحْرَةُ بِالْأَرْضِ .

(٢) التَّكْلِمَةُ عَنْ صَبِيحِ الْأَعَشَى .

(١) في مقدّمة ولا ساقه ، ولا تضرب فيها بذراع ولا إصبع ، ولا تخرج منها بيازٍ
 ولا هُبعٌ (١) ولم يزل أبو بكر حبة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلاقة نفسه
 وعيبة سرّه ، ومفزع رأيه ، وراحة كفه ، ومرمق طرفه ، وذلك كله بحضرة الصادر
 والوارد من المهاجرين والأنصار شهرة مغنية عن الدليل عليه ، ولعمري إنك أقرب
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ، ولكنه أقرب منك قرابة (٢) ، والقرابة لحم
 ودم ، والقرابة نفس وروح ، وهذا فرق عرّفه المؤمنون ، ولذلك صاروا إليه
 أجمعون ، ومهما شككت في ذلك فلا تشك أن يد الله مع الجماعة ، ورضوانه لأهل
 الطاعة ، فأدخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع غدا ، وآلفظ من فيك ما يعلق
 بلهاتك ، وأنفت سخيمة صدرك عن ثقّاتك ، فإن يك في الأمل طول ، وفي الأجل
 فسحة (٣) ، فستا كله مريئاً أو غير مريء ، وستشربه هنيئاً أو غير هنيء ، حين لا رادّ
 لقولك إلا من كان منك ، ولا تابع لك إلا من كان طامعاً فيك ، يمتص إهابك ،
 ويعرك أديمك ، ويزري على هدّيك ، هنالك تفرع السن من ندم ، وتجرع الماء
 ممزوجاً بدم ، وحينئذ تأسى على ما مضى من عمرك ، ودارج قوتك ، فتودّ أن
 لو سقيت بالكأس التي أبيتها ، ورُدّدت إلى حالتك التي استغويتها ، والله تعالى فينا
 وفيك أمرٌ هو بالغه ، وغيبٌ هو شاهده ، وعاقبةٌ هو المرجو لسرائها وضرائها ، وهو
 الولي الحميد ، الغفور الودود .

(١) البازل والبزول : الجمل أو الناقة في التاسع من سنه ، وليس بعده سن تسمى . والهبع بضم الهاء ،

وفتح الباء : الفصيل في آخر التاج .

(٢) القرابة : الوسيلة .

(٣) في الأصل : « هنيئاً مريئاً » وقوله : « هنيئاً » زيادة من الناصح كما يدل على ذلك سياق ما بعده ،

وانظر صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٣ .

قال أبو عبيدة : فمَشَيْتَ مَتَزَمِّلًا أَنْوً^(١) كَأَنَّمَا أَخْطُو عَلَى رَأْسِي فَرَقَا مِنَ الْفُرْقَةِ ،
وَشَفَقَا عَلَى الْأُمَّةِ ، حَتَّى وَصَلْتَ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خَلَاءٍ ، فَأَبْثَثْتَهُ^(٢) بَنَى كَلَّهُ ،
وَبَرَيْتُ إِلَيْهِ مِنْهُ ، وَرَفَقْتُ بِهِ ، فَلَمَّا سَمِعَهَا وَوَعَاَهَا ، وَسَرْتُ فِي مَفَاصِلِهِ حُمَيَّاهَا ، قَالَ :
حَلَّتْ مَعْلُوطَةٌ^(٣) ، وَوَلَّتْ مَحْرُوطَةٌ^(٣) ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
إِحْدَى لِيَالِيكَ فَهَيْسِي هَيْسِي * لَا تَنْعَمِي اللَّيْلَةَ بِالتَّعْرِيسِ^(٤)

نَعَمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، أَمْ كُلُّ هَذَا فِي أَنْفُسِ الْقَوْمِ يُحْسِنُونَ بِهِ ، وَيَضْطَبِعُونَ عَلَيْهِ ؟
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : فَقُلْتُ : لَا جَوَابَ لَكَ عِنْدِي ، إِنَّمَا أَنَا قَاضٍ حَقَّ الدِّينِ ، وَرَاتِقٌ^(٥)
فَتَقَّ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَادَّ ثُلُمَةَ الْأُمَّةِ ، يَعْلَمُ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ جُلْجُلَانِ قَلْبِي ، وَقَرَارَةِ نَفْسِي ،
فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَاللَّهِ مَا كَانَ قَعُودِي فِي كِسْرِ هَذَا الْبَيْتِ قَصْدًا
لِلْخِلَافِ ، وَلَا إِنْكَارًا لِلْعُرُوفِ ، وَلَا زِيَارَةً عَلَى مُسْلِمٍ ، بَلْ لَمَّا وَقَدْنِي^(٦) بِهِ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِرَاقِهِ ، وَأَوْدَعَنِي مِنَ الْحُزْنِ لِفَقْدِهِ ، وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَشْهَدْ
بَعْدَهُ مَشْهَدًا إِلَّا جَدَّدَ عَلَيَّ حُزْنَ ، وَذَكَّرَنِي شَجْنًا ، وَإِنْ الشُّوقُ [إِلَى] التَّلَاقِ بِهِ كَافٍ
عَنِ الطَّمَعِ فِي غَيْرِهِ ، وَقَدْ عَكَنْتُ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ أَنْظُرَ فِيهِ ، وَأَجْمَعَ مَا تَفَرَّقَ [مِنْهُ]

(١) المتزمل : الملتف ؛ يريد أنه خرج مستخفيا .

(٢) يقال : أبْثَثْتَهُ السَّرَّ ، إِذَا أَطْلَعْتَهُ عَلَيْهِ .

(٣) المعلقة : من الألقاظ ، وهو ركوب الرأس والتَّحْنَمُ عَلَى الْأُمُورِ مِنْ غَيْرِ رُوْيَةٍ ؛ وَالْمَحْرُوطَةُ :
السَّرِيعَةُ .

(٤) هو مثل يضرب للرجل يأتي الأمر يحتاج فيه إلى الجِدِّ والاجْتِهَادِ . وَالْهَيْسُ بَفَتْحِ الْهَاءِ : السَّيْرُ مُطْلَقًا .

(٥) أراد بالاضطباع هنا : الانطواء ، وَالْأَشْتِمَالُ ؛ وَقَدْ اسْتَعَارَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : اصْطَبَعَ الشَّيْءُ ، إِذَا جَعَلَهُ
تَحْتَ ضَبْعِيهِ ، وَهَمَّا عَضْدَاهُ . وَفِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ : « يَضْطَبِعُونَ » ؛ وَالْاضْطِعَانُ :
الْأَشْتِمَالُ أَيْضًا .

(٦) جلجلال القلب : سويداؤه .

(٧) وقْدَ : تَرَكَهُ عَلِيًّا .

رجاء ثواب مُعَدٍّ لمن أخلص لله عَمَلَهُ ، وسَلَّمَ لِعَلَمِهِ ومَشِيتَتِهِ ، وأَمَرِهِ ونَهْيِهِ ؛ على أنى ما علمت أن التظاهر على واقع ، ولي عن الحق الذى سبق لى دافع ، و إذ قد أُفْعِم الوادى بى ، وحُشِدَ النادى من أجلى ، فلا مَرَحَبًا بما ساء أحدا من المسلمين وسرتنى ، وفى النفس كلامٌ لولا سابق عَقْدٌ ، وسالف عهد ، لَشَفَيْتُ نفسى بِخُنْصِرَى وبِنُصْرَى ، وخُضْتُ لِحَتَهُ بِأَخْمَصَى ومَفَرِّقى ، ولكنى مُلْجَمٌ الى أن ألقى ربى ، وعنده احتسب (١) ما نزل بى ، وإنى غاد إلى جماعتكم ، مبايعٌ لصاحبكم ، صابرٌ على ما ساءنى وسركم ، "إِيْقِضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا" .

قال أبو عبيدة : فعادت الى أبى بكر رضى الله عنه ، فقَصَصَت القول على غَرِهِ (٢) ، ولم أختزل شيئا من حُلُوهِ ومُرِّهِ ، وبَكَرْتُ غُدُوَّةً إلى المسجد ، فلما كان صباح يومئذ إذا على يُخْتَرِقُ الجماءة إلى أبى بكر رضى الله عنهما ، فبايعه ، وقال خيرا ، ووصف جميلا ، وجلس زميلا ، واستأذن للقيام فمضى ، وتبعه عمر مكرما له ، مستثيرا لما عنده ، فقال على رضى الله عنه : ما قعدت عن صاحبكم كارها له ، ولا أتيتَه فرقا ، ولا أقول ما أقول تَعَلَّةً ، وإنى لأعرف منتهى طَرْفَى ، ومحطَ قَدَمَى ، ومَنَزَعَ قوسى ، ومَوَاقِعَ سهمى ، ولكن قد أَزَمْتُ على فأسى ثِقَةً بربى فى الدنيا والآخرة .

فقال له عمر رضى الله عنهما : كَفَّكَ غَرْبَكَ ، وأَسْتَوْقِفُ سَرْبَكَ ؛ ودع العصا بلحائها ، والدلاء على رِشائِها ، فإننا من خَلْفِها وورائِها ؛ إن قَدَحْنَا أَوْ رَيْنَا ، وإن

(١) كذا فى صبح الأعشى ؛ وفى الأصل : « ما ترك لى » .

(٢) على غره ، يريد : على أصله ؛ وأصل الغر : الكسر المتثنى فى جلد أو ثوب ، يقال : اطو الثوب على غروره ، أى على مكاسره .

(٣) الزقيت بتشديد الميم : الوقور ، وبابه كرم .

(٤) يقال : أزم الفرس على فأس النجام ، أى عض وأمسك ؛ يريد أنه كتم ما فى نفسه من الشكوى ، ولم يبيع بما يعانى به من الألم .

مَتَحْنًا أُرْوَيْنَا، وَإِنْ قَرَحْنَا أَدْمَيْنَا، وَلَقَدْ سَمِعْتُ أُمَاثِيلَكَ الَّتِي لَغَزْتُ فِيهَا عَنْ صَدْرِ
 أَكْلِ بِالْحَوَى، وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ [عَلَى] مَقَالَاتِكَ مَا إِنْ سَمِعْتَهُ نَدِمْتَ عَلَى مَا قُلْتَ بِهِ
 وَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَعَدْتَ فِي كَسْرِ بَيْتِكَ لِمَا وَقَدَّكَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
 فَقْدِهِ، فَهُوَ وَقَدَّكَ وَلَمْ يَقْدُ غَيْرَكَ؟ بَلْ مُصَابَهُ أَعَمُّ وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ مِنْ حَقِّ
 مُصَابِهِ أَلَّا تَصْدَعَ شَمْلَ الْجَمَاعَةِ بِفُرْقَةٍ لَا عِصَامَ لَهَا، وَلَا يُؤْمَنُ كَيْدُ الشَّيْطَانِ فِي بَقَائِهَا،
 هَذِهِ الْعَرَبُ حَوْلَنَا، وَاللَّهُ لَوْ تَدَاعَتْ عَلَيْنَا فِي صَبْحِ نَهَارٍ لَمْ نَلْتَقِ فِي مَسَائِهِ، وَزَعَمْتَ
 أَنَّ الشُّوقَ إِلَى التَّلَاقِ بِهِ كَافٍ عَنِ الطَّمَعِ فِي غَيْرِهِ، فَمِنْ عَلَامَةِ الشُّوقِ إِلَيْهِ
 نُصْرَةُ دِينِهِ، وَمُؤَاوَزَةُ أَوْلِيَائِهِ وَمَعَاوَنَتُهُمْ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ عَكِمْتَ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ
 تَجْمَعُ مَا تَفْتَرِقُ مِنْهُ، فَمِنْ الْعَكُوفِ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ النَّصِيحَةُ لِعِبَادِ اللَّهِ، وَالرَّأْفَةُ عَلَى خَلْقِ
 اللَّهِ، وَبَذْلُ مَا يَصْلُحُونَ بِهِ، وَيُرْشِدُونَ عَلَيْهِ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ التَّظَاهِرَ
 وَقَعَ عَلَيْكَ، وَأَيُّ حَقِّ أُطَّ دُونَكَ؟ قَدْ سَمِعْتَ وَعَلِمْتَ مَا قَالَتِ الْأَنْصَارُ بِالْأَمْسِ
 سِرًّا وَجَهْرًا، وَتَقَلَّبَتْ عَلَيْهِ بَطْنًا وَظَهْرًا، فَهَلْ ذَكَرْتُكَ، أَوْ أَشَارَتْ بِكَ، أَوْ وَجَدْتَ
 رِضَاهُمْ عَنْكَ؟ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِلِسَانِهِ: إِنَّكَ تَصْلُحُ لِهَذَا الْأَمْرِ، أَوْ أَوْدَأَ بَعِينَهُ،
 أَوْ هَمَّهُمْ فِي نَفْسِهِ؟ أَتَنْظُرُ أَنَّ النَّاسَ خَضَلُوا مِنْ أَجْلِكَ، وَعَادُوا كُفَّارًا زَهْدًا فِيكَ،
 وَبَاعُوا اللَّهَ تَعَالَى تَحَامُلًا عَلَيْكَ؟ لَا وَاللَّهِ، لَقَدْ جَاءَنِي عَقِيلُ بْنُ زِيَادٍ الْخَزْرَجِيُّ
 [فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَمَعَهُمْ شُرَحْبِيلُ بْنُ يَعْقُوبَ الْخَزْرَجِيُّ] وَقَالُوا: إِنْ عَلِيًّا يَنْتَظِرُ
 الْإِمَامَةَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ أَوْلَى بِهَا مِنْ غَيْرِهِ، وَيَنْكَرُ عَلَيَّ مِنْ يَعْقِدِ الْخِلَافَةَ، فَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِمْ،

(١) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْفِعْلُ بِتَشْدِيدِ الْغَيْنِ فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ، وَقَدْ أُثْبِتْنَاهَا عَنْ صَبْحِ الْأَعَشَى، إِذْ بِهَا تَسْتَقِيمُ الْعِبَارَةُ .

(٣) الْمُهْمَلَةُ: الْكَلَامُ الَّذِي لَا يَصْرَحُ بِهِ .

(٤) التَّكْمِلَةُ عَنْ صَبْحِ الْأَعَشَى ج ١ ص ٢٤٦؛ وَمَا بَعْدَهَا يَنْتَضِي إِثْبَاتُهَا .

ورددتُ القول في نحوهم حين قالوا : إنه يَنْتَظِرُ الْوَحْيَ ، وَيَتَوَكَّفُ ^(١) مُنَاجَاةَ الْمَلِكِ ،
 فقلت : ذلك أمرٌ طواه الله تعالى بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أكان الأمر
 معقودا ^(٢) بالأنشودة ، أو مشدودا ^(٣) بأطراف لِيطة ؟ كَلَّا والله ، لا عَجَاءَ بحمد الله إلا وقد
 أَفْصَحْتَ ، ولا شَوْكَاءَ إلا وقد تَفَتَّحْتَ ، وَمِنْ أَعْجَبِ شَأْنِكَ قَوْلُكَ : لولا سالفُ
 عهد ، وسابقُ عقد ، لَشَفِيتُ غِيظِي ، وهل تَرَكَ الدِّينَ لأَهْلِهِ أَنْ يَشْفُوا غِيظَهُمْ
 بيد أو لسان ؟ تلك جاهليةٌ قد استأصل الله شأقتها ، واقتلع جرثومتها ، وهَوَّرَ لِيلَهَا ^(٤) ،
 وَغَوَّرَ سِيلَهَا ، وأبدل منها الرُّوحَ والرَّيْحَانَ ، والهدى والبرهان ، وزعمت أنك مُلْجَمٌ ،
 ولعمري إن من اتقى الله ، وآثر رضاه ، وطلب ما عنده ، أمسك لسانه ، وأطبق
 فاه ، وجعل سعيه لما وراه .

فقال علي رضي الله عنه : مهلا مهلا يا أبا حفص ، والله ما بذلتُ ما بذلتُ وأنا
 أريد نكثته ، ولا أقررتُ ما أقررتُ وأنا أبتغي حولا عنه ، وإن أخسر الناس صفقةً
 عند الله من آثر النفاق ، وآحتضن الشقاق ، وفي الله سلوةٌ عن كل حادث ، وعليه
 التوكل في كل الحوادث ، إرجع يا أبا حفص إلى مجلسك نافع القلب ، مبرود الغليل ،
 فَسِيحَ اللَّبَانِ ^(٥) ، فَصِيحَ اللِّسَانِ ، فليس وراء ما سمعتَ وقلتُ إلا ما يَشُدُّ الْأَزَرَ ،
 وَيَحُطُّ الْوِزَرَ ، وَيَضَعُ الْإِصْرَ ، ويجمع الألفة بمشيئة الله وتوفيقه .

قال أبو عبيدة رضي الله عنه : فانصرف علي وعمر رضي الله عنهما ، وهذا
 أصعب ما مرّ عليّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) يتوكف : ينتظر ، ويقال : فلان يتوكف الأخبار ، نحو يستفطر الأخبار .

(٢) الأنشودة : عقدة تحل إذا جذب أحد طرفيها .

(٣) الليطة : واحد الليط ، وهو قشر النصب .

(٤) هور : أذهب . (٥) اللبان : الصدر .

ومن كلام عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما ، وهو مما اتصل إلينا بالرواية الصحيحة ، والأسانيد الصريحة ، عن محمد بن أحمد ابن [أبي] المثنى^(١) ، عن جعفر بن عون ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها : أنه بلغها أن أقواما يتناولون أبا بكر رضى الله عنه ، فأرسلت الى أزفلة من الناس ، فلما حضروا أسدلت أستارها ، وعلت وسادها ، ثم قالت : أي وما أبيه ! أي والله لا تعطوه الأيدي ، ذاك طودٌ منيف ، وظلٌ مديد ، هيات ، كذبت الظنون ، أنجح^(٢) إذ أكديتم ، وسبق إذ ونيتم "سبق الجواد إذا استولى على الأمد" ، فتى قريش ناشئا ، وكهنتها كهلا ، يفك عانيها ، ويريش مماتها ، ويرأب شعبها ، ويلم شعبها ، حتى حليت^(٣) قلوبها ، ثم استشرى في دين الله ، فما برحت شكيمة في ذات الله عز وجل حتى اتخذ بفنائها مسجدا يحيى فيه ما أمات المبطلون ، وكان رحمه الله غزير الدمة ، وقيد الجوانح ، شجى النشيج ، فانعطفت اليه نسوان مكة وولدائها يسخرن منه ، ويستهنون به ، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فأكبرت ذلك رجالا قريش ، فحنت قسيها ، وفوقت سهامها ، وامتلوه غرضا^(٤) فما قلوا له صفاة ، ولا قصفوا له قناة ، ومرّ على سيسائه ، حتى اذا ضرب الدين بجرانه ، وألقى برّكه ، ورست أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا

(١) كذا ورد هذا الاسم في تهذيب التهذيب لابن حجر أثناء الكلام على جعفر بن عون ، والذي في الأصل : « ابن المثنى » ، ولم تقف عليه فيما لدينا من الكتب المدونة في أسماء الرواة .

(٢) في اللسان مادة « كذا » « ونجح » بدون همز .

(٣) حليت : استحلته .

(٤) في الأصل وصبح الأعشى : « وانتلوه » بالنون ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر اللسان

مادة « مثل » .

وأشتاتاً، اختار الله لنبيه ما عنده، فلمّا قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نصب^(١)
 الشيطان رواقه، ومدّ طنبه، ونصب حباله، وأجلب بخيله ورجله، واضطرب
 حبل الإسلام، ومرّج عهده، وماج أهله، وبغى الغوائل، وظنّت رجال أن
 قد أكثب^(٢) نهزها، ولات حين الذي يرجون، وأنى والصدّيق بين أظهرهم؟ فقام
 حاسراً مشمراً، بجمع حاشيته، ورفع قطريه، فردّ رسن الإسلام على غريبه، ولم
 شعثه بطبه، وأقام أوده بثقافه، فابذعر النفاق بوطنه، وانتاش الدين فنعشه، فلما
 أراح الحقّ على أهله، وقتر الرءوس على كواهلها، وحقن الدماء في أهبها، ألتته منيته،
 فسدت ثلثته بنظيره في الرحمة، وشقيقه في السيرة والمعدلة، ذاك ابن الخطاب، لله دَر
 أم حفلت له، ودّرت عليه! لقد أوحدت به، ففنّخ الكفرة وديّجها، وشرّد الشرك^(٣)
 شذر مذر، وبعج الأرض وجمعها، فقاءت أكّله، ولفظت جنيها، ترامه^(٤)
 ويصدف عنها، وتصدى له ويأبأها، ثم وزع فيها فيئها، وودّعها كما صحبها، فأروني
 ما ترتابون؟ وأى يومى أبى تنقيمون؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم، أم يوم ظعنه وقد
 نظر لكم؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت: أنشدكم الله، هل أنكرتم مما قلت شيئاً؟

قالوا: اللهم لا.

(١) فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨ : «ضرب» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) كذا فى الأصل ؛ والذى فى اللسان مادة «كثب» «أكثبت أطاعهم» ؛ وفى صبح الأعشى

ج ١ ص ٢٤٨ : «أكثبت أطاعهم نهزها» ، والمعنى يستقيم على كل من هذه الروايات الثلاث .

(٣) فى الأصل : «حملت به» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما سيأتى فى شرحه هذه الكلمة .

(٤) فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨ : «خبأها» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

ذكر شرح غريب رسالتها رضى الله عنها

الْأَزْفَلَةُ : الجماعة . وَتَعَطَّوْهُ : تَنَاوَلْهُ . وَالطَّوْدُ : الْجَبَلُ . وَالْمُنِيفُ : الْمُشْرِفُ .
 وَأَكْدَيْتُمْ : خَبْتُمْ وَيُنْسَ مِنْ خَيْرِكُمْ . وَوَنَيْتُمْ : فَتَرْتُمْ وَضَعْتُمْ . وَالْأَمَدُ : الْغَايَةُ .
 وَيَرِيشُ : يُعْطَى وَيُقْضَى . وَالْمُلَاقُ : الْفَقِيرُ . وَيَرَّابُ : يَجْمَعُ . وَالشَّعْبُ : الْمَتَفَرِّقُ .
 وَيَلْمُ : يَضْمُ . وَاسْتَشْرَى : جَدَّ وَأَنْكَشَ . وَالشَّكِيمَةُ : الْأَنْفَةُ وَالْحِمِيَّةُ . وَالْوَقِيدُ :
 الْعَلِيلُ . وَالْجَوَانِحُ : الضَّلُوعُ الْقِصَارُ الَّتِي تَقْرُبُ مِنَ الْفُؤَادِ . وَالشَّجِيُّ : الْحَزِينُ .
 وَالنَّشِيجُ : صَوْتُ الْبَكَاءِ . وَانْعَطَفْتُ : انْتَهَيْتُ . وَامْتَلَوْهُ : مَثَلُوهُ . وَالْغَرَضُ :
 الَّذِي يُقْصَدُ لِلرَّمْيِ . وَفَلَّوْا : كَسَرُوا . وَالصَّفَاةُ : الصَّخْرَةُ الْمَلْسَاءُ . وَقَصَفُوا :
 كَسَرُوا . وَسَيْسَاءُ : شِدَّتُهُ ، وَالسَّيْسَاءُ : عَظْمُ الظَّهْرِ ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُهُ مَثَلًا لِشِدَّةِ
 الْأَمْرِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :^(٢)

١٠

لَقَدْ حَمَلَتْ قَيْسُ بْنُ عِيْلَانَ حَرْبَنَا * عَلَى يَابِسِ السَّيْسَاءِ مُحْدَوْدِبِ الظَّهْرِ^(٣)
 وَالْجِرَانُ : الصَّدْرُ . وَرَسَتْ : ثَبَتَتْ . وَمَرَجَ : اخْتَلَطَ . وَمَا جَ أَهْلُهُ :
 اضْطَرَبُوا وَتَنَازَعُوا . وَبَغَى الْغَوَائِلُ ، مَعْنَاهُ وَطَّلِبَ الْبَلَايَا . وَأَكْثَبَ : قَرَّبَ .
 وَالنَّهْزُ : اخْتِلَاسُ الشَّيْءِ وَالظَّفَرُ بِهِ مِبَادَرَةٌ . وَلَاتَ حِينَ الَّذِي يَطْلُبُونَ ، مَعْنَاهُ :
 وَلَيْسَتْ السَّاعَةُ حِينَ ظَفَرِهِمْ . وَقَوْلُهَا : بِجَمْعِ حَاشِيَّتِهِ وَرَفَعَ قُطْرِيهِ ، مَعْنَاهُ تَحَزَّمَ^(٤)
 وَلَيْسَتْ السَّاعَةُ حِينَ ظَفَرِهِمْ . وَقَوْلُهَا : بِجَمْعِ حَاشِيَّتِهِ وَرَفَعَ قُطْرِيهِ ، مَعْنَاهُ تَحَزَّمَ^(٥)

١٥

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَعِبَارَةُ اللِّسَانِ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ : أَيْ نَصَبُوهُ هَدَفًا لِسَهَامٍ مَلَامَهُمْ وَأَقْوَاهُمْ
 وَهُوَ افْتَعَلَ ، مِنْ الْمَثَلَةِ إِهْ . (٢) دَوَّ الْأَخْطَلُ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ « سَيْس » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « زَيْنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ يَحْتَمِلُ بِهِ الْوِزْنَ وَالْمَعْنَى ؛ وَالتَّصْوِيبُ عَنِ اللِّسَانِ .

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَالَّذِي سَبَقَ فِي الْخُطْبَةِ : « يَرْجُونَ » .

٢٠

(٥) فِي الْأَصْلِ : « الشَّجَاعَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) عِبَارَةُ الْأَصْلِ : « وَقَوْلُهَا : فَرَفَعَ حَاشِيَّتِهِ ، وَجَمَعَ قُطْرِيهِ » وَفِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَالصَّوَابُ
 الْعَكْسُ . لِيُوَافِقَ مَا مَرَّ فِي الْخُطْبَةِ ، وَنَصَهَا فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ « قَطَر » « قَدْ جَمَعَ حَاشِيَّتِهِ ، وَضَمَّ قُطْرِيهِ »
 وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ ، جَمَعَ جَانِبَيْهِ عَنِ الْإِنْتِشَارِ وَالتَّبَدُّدِ وَالتَّفَرُّقِ .

للأمر وتأهب له . والقَطْرُ : الناحية . والطَّبُّ : الدواء . والأَوْدُ : العِوَجُ .
والثَّقَافُ : تقويمُ الرماح وغيرها . وابْدَعَرَّ : تَفَتَّقَ . وانتاش الدين ، أى أزال عنه
ما يُخاف عليه . ونَعَشَه : رَفَعَه . وأراح الحق على أهله ، أى أعاد الزكاة التى
منعها العرب فقاتل عليها حتى رُدَّت الى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقَرَّرَ
الرؤوس على كواهلها ، معناه وقى المسلمين القتل . والكاهلُ : أعلى الظهر وما يتصل به .
وحَقَّنَ الدماء فى أهدبها ، معناه أنه حقن دماء المسلمين فى أجسادهم . والأهدبُ :
جمع إهاب ، وأصل الإهاب الجلد ، فكُنْتُ به عن الجسد . وقولها : لله دَرَأَمٌ
حَفَلت له ، أى جمعت له اللبن . وقولها : أُوحدتُ به ، معناه جاءت به منفردا
لا نظير له . وقولها : ففَنَخَ الكفرة ، معناه أذلها . وديَنَها : صَغَرَبها ^(١) . وبعَجَ
الأرضَ وبنَجَها ، معناه شَقَّها واستقصى ثائتها ^(٢) . وشَذَرَ مَذَرَ ، معناه تفريقا ، يقال :
شَذَرَ مَذَرَ ، وشَغَرَ بَغَرَ ، بمعنى واحد . وقولها : حتى قاءت أَكْلَها ، معناه أخرجت
خبزها . وتَرَأَّمَه : تعطف عليه . وتَصَدَّى له : تَعَرَّضُ له .

ومن كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه ما كَتَبَ به إلى
معاوية بن أبى سفيان جوابا عن كتابه — وهو من محاسن الكتب — كتب
رضى الله عنه :

أما بعد ، فقد أتانى كتابك تذَكُّرُ فيه أصطفاء الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
لدينه ، وتأَيِّدَه إِيَّاهُ بِمَنْ أَيْدَه به من أصحابه ، فلقد خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا ،

(١) كذا فى الأصل ؛ ولم نقف فيها لدينا من كتب اللغة على تعدية هذا الفعل بالياء .

(٢) فى الأصل : « عليها » وهو تحريف ؛ وذكر فى اللسان مادة « بنج » فى تفسير هذه الكلمة
أن المعنى قهر أهلها وأذلهم واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك .

(٣) فى الأصل : « جاء » ؛ وهو تحريف لا تستقيم به العبارة ، والصواب ما أثبتنا كما فى صحيح الأعشى

أَفْطَفِقْتُ نُحَيْرُنَا بِآلَاءِ اللَّهِ عِنْدَنَا؟ فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَمَا قَوْلُ التَّمْرِ إِلَى هَجَرٍ، أَوْ دَاعَى مَذْرَةٍ إِلَى النَّضَالِ؛ وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فَلَانٌ وَفَلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ آعَتْزَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَبْأَحَقِّكَ قُلُّهُ؛ وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِلَ وَالْمَسْئُولَ؟ وَمَا الْبُطْلَاءُ وَأَبْنَاءُ الْبُطْلَاءِ وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ؟ هِيَئَاتِ لَقَدْ «حَنْ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا»^(١)، وَطَفِيقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مِنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا، أَلَا تَرَبَّعَ عَلَى ظُلْمِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَتَّحَرَكُ الْقَدْرُ، فَمَا عَلَيْكَ غَايَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ، وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التَّيِّهِ، رَوَاغٌ عَنِ الْفَضْلِ، أَلَا تَرَى — غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ — أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ — وَلِكُلِّ فَضْلٍ — حَتَّى إِذَا اسْتَشْهِدَ شَهِيدُنَا (هُوَ حِمَزَةٌ) قِيلَ: سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ، وَخَصَّصَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ؛ أَلَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ — وَلِكُلِّ فَضْلٍ — حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِأَحَدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ، وَذُو الْجَنَاحَيْنِ (هُوَ جَعْفَرٌ) وَلَوْلَا [مَا] نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِئَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَا كُرٍّ فَضَائِلَ جَمَّةٍ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجِّجُهَا آذَانُ السَّامِعِينَ، فَدَعِ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الدُّنْيَةُ فَإِنَا

١٥ (١) فِي الْأَصْلِ: «بِفَضٍّ»؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «وَالْتِمِيمِينَ»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا تَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى.

(٣) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَفْتَخِرُ بِقَبِيلَةٍ لَيْسَ مِنْهَا، أَوْ يَمْدَحُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ؛ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْوَاحِدَ

مِنْ قِدَاحِ الْمَيْسَرِ إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِ جَوْهَرِ أَخَوَاتِهِ وَأَجَالِهِ الْمَقِيضِ خَرَجَ لَهُ صَوْتٌ يَخَالِفُ أَصْوَاتَهَا.

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ؛ وَالَّذِي فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ٢ ص ١٩ طَبَعُ بَيْرُوتِ: «الْقَصْدُ»؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى

٢٠ كُنَّا الرُّوَابِتِينَ. (٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِيهَا.

(٦) فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ٢ ص ١٩ طَبَعُ بَيْرُوتِ: «الرَّمِيَّةُ»؛ وَالرَّمِيَّةُ الصَّيْدُ تَرْمِيهِ فَتَقْصِدُهُ، وَالْمُرَادُ

بِهَا الدُّنْيَا؛ وَقَالَ شَارِحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ «مَالَتْ بِهِ» مَا نَصَّه: «وَمَالَتْ بِهِ»: خَالَفَتْ قَصْدَهُ

فَاتَّبَعَهَا، مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ أَعْوَجَ غَرَضُهُ قَالَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ لَطْلَبُهُ.

صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا، لم يمنعنا قديم عزنا، وعادى^(١) طولنا على قومك
 أن خلطناهم بأنفسنا، فنكحنا وأنكحنا ففعل الأكتفاء ولستم هناك، وأنى يكون ذلك
 كذلك؟ ومنا النبي^(٢) ومنكم المكذب^(٢)، ومنا أسد الله^(٢)، ومنكم أسد الأحلاف^(٢)، ومنا سيدها^(٢)
 شباب، أهل الجنة^(٢)، ومنكم صبية النار^(٢)، ومنا خير نساء العالمين^(٢)، ومنكم حمالة الخطب^(٢)،
 فإسلامنا قد سمع، وجاهليتنا لا تدفع، كتاب الله يجمع لنا ما شدد عا^(٣) و [هو] قوله
 سبحانه : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ
 أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فنحن
 مرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة، ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم
 السقيفة برسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحق لنا
 دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم، وزعمت أنى لكل الخلفاء حسدت،
 وعلى كلهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك، فتكون المَعْدِرَةُ إليك.
 «وتلك شكاة ظاهر^(٤) عنك عارها»

(١) العادى : القديم .

(٢) المكذب : أبو جهل . وأسد الله : حمزة بن عبد المطلب . وأسد الأحلاف : أبو سفيان
 ابن حرب ، لأنه حزب الأحزاب وحالفهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق . وسيدها
 شباب أهل الجنة : هما الحسن والحسين ولدا على كرم الله وجهه . وصبية النار هم أولاد مروان بن
 الحكم . وخير نساء العالمين : فاطمة . وحمالة الخطب : أم جميل بنت حرب عممة معاوية ، وزوجة
 أبي لهب .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٠ .

(٤) يقال : ظهر عنه العار، إذا لم يعلق به ونبا عنه . وقوله : وتلك شكاة الخ عجز بيت لأبي ذؤيب
 الهذلي ، وصدرة : * وعيردا الواشون أنى أحبا * انظر اللسان مادة «ظهر» .

وقلت : إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش^(١) حتى أبايع ، ولعمرك الله [لقد]^(٢) أردت أن تدم خيمدت ، وأن تفضح فافتضحت ، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكاً في دينه ، ولا مرتاباً في يقينه ، وهذه حجتى إلى غيرك قصدها ، ولكنى أطلقت لك منها بقدر ما سنع من ذكرها ؛

ثم ذكرت ما كان من أمرى وأمر عثمان^(٣) ، [فلك] أن تجاب عن هذه لرحمة^(٤) منك ، فأينا كان أعدى له ، وأهدى إلى مقاتله ؟ أم من بذل له نصرتَه فاستقعده وأستكفه ، أتمن استنصره فترأخى عنه ، وبث المنون إليه ، حتى [أتى]^(٥) قدره عليه ؟ كلا والله ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وما كنت أعذر من أنى كنت أنقم عليه أحداثا ، فإن كان الذنب إليه إرشادى وهدايتى له "فرب ملوم لا ذنب له" .

* وقد يستفيد الظنة المنتصح^(٥) *

وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت "وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت" ؛ وذكرت أنه ليس لى ولا أصحابى إلا السيف ، فلقد أضحكت بعد استعبار ، متى ألفت بنى عبد المطلب عن الأعداء ناكليين ، وبالسيوف مخوفين ؟ "لبث قليلا يلحق الهيجا^(٦)"

١٥ (١) المخشوش : الذى أدخل فى أنفه الخشاش بكسر الخاء ، وهو ما يدخل فى عظم أنف البعير من خشب .

(٢) الزيادة عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٠ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد نقلناها عن نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١ طبع بيروت ؛ إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

٢٠ (٤) هذه اللام ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٥) الظنة : التهمة . وصدر هذا البيت : * وكم سقت فى آثاركم من نصيحة *

(٦) لبث بتشديد الباء ، من اللبث ، وهو المكث . وحمل بفتح الحاء والميم هو ابن بدر ، وهذا مثل يضرب للتهديد بالحرب ، ورواية اللسان مادة حمل : « ضج قليلا يدرك » الخ .

حَمَلٌ“ فسيطلبك من تَطْلُبُ ، ويقرب منك ما تستبعد ، وأنا مُرْقِلٌ نحوك في بحفل من المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان ، شديد زحائمهم ، ساطع قتائمهم ، متسريلين سرايل الموت ، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم ، قد صحبتهم ذرية بدرية ، وسيوف هاشمية ، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك ^(١) ”وما هي من الظالمين ببعيد“ .

ومن كلام الأحنف بن قيس حين وَجَّه معاوية بن أبي سفيان بتخذيله عائشة رضي الله عنها ، وأنه شهيد صفيين ، وقال له : فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، لِمَ تَرُدُّ الأمورَ على أعقابها ؟ أما والله إن القلوبَ التي أبغضناك بها لبين جوائحننا ، والسيوفَ التي قاتلناك بها لعلَى عواتقنا ، ولئن مَدَدْتَ بِشِيرٍ من غدر ، لَنَمُدَّنَّ ^(٢) باعا من ختر ، ولئن شئتَ لَنَسْتَصِفِينَ كَدَرَ قلوبنا بصفوَ حلمك ؛ قال معاوية : أَفَعُلُ .

وجلس معاوية يوما وعنده وجوه الناس ، وفيهم الأحنف ، فدخل رجل من أهل الشام ، فقام خطيبا ، فكان آخر كلامه أن لعن عليا رضي الله عنه ، فأطرق الناس ، وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا القائل آتفا ما قال لو علم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم ، فاتق الله ، ودع عليا فقد لقي الله ، وأفرد في حُفْرَتِهِ ، وخلا بعمله ، وكان والله — ما علمنا — المبرز بشقّه ، الطاهر في خلقه ، الميمون النقيبه ، العظيم المصيبه . قال معاوية : يا أحنف ، لقد أغضيت العينَ على القذى ، وقلتَ بغير ما ترى ، وأيم الله لتصعدن المنبر فلتلعنن طائعا أو كارها ؛ فقال الأحنف : إن تُعْفِنِي فهو خير ، وإن تُجْبِرْنِي على ذلك فوالله لا تجرى به شفتاي ؛ فقال معاوية : قم فاصعد ؛ قال : أما والله لأنصفنك في القول والفعل ؛ قال معاوية : وما أنت

(١) أخوه : حنظلة . وخاله : الوليد بن عتبة . وجدّه : عتبة بن ربيعة .

(٢) الختر : أقبح الغدر .

قائل إن أنصفتنى؟ قال : أصدق فأحمد الله وأثنى عليه وأصلى على نبيه ، ثم أقول : أيها الناس ، إن معاوية أمرنى أن ألعن علياً ، ألا وإن علياً ومعاوية اختلفا واقتتلا ، وأدعى كل واحد منهما أنه مبعي عليه وعلى فئته ، فإذا دعوت فأمّنوا رحمكم الله ؛ ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكك وأنبيائك ورسلك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه ، والفئة الباغية على المبعي عليها ، آمين يارب العالمين ؛ فقال معاوية :
إذن نغفبك يا أبا بجر .

وأتى الأحنف مضعب بن الزبير يكلمه في قوم حبسهم فقال : أصلح الله الأمير ، إن كانوا حبسوا في باطل فالحق يُخرجهم ، وإن كانوا حبسوا في حق فالعفو يسعهم ؛ فخّلاهم .

ولما قديم وفد العراق على معاوية وفيهم الأحنف ، خرج الآذن فقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليكم ألا تتكلم أحدٌ إلا لنفسه ، فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافّة^(١) (أى الجماعة) دفت^(٢) ، ونازلة نزلت ، ونائبة نابت ، وكلّهم بهم الحاجة إلى معروف أمير المؤمنين ويرّه ؛ فقال : حسبك يا أبا بجر ، فقد كفيت الغائب والشاهد .

ولما خطب زياد بن أبيه بالبصرة قام الأحنف فقال :
لله الأمير ! قد قلت فاستمعت ، ووعظت فأبلغت ؛ أيها الأمير ، إنما السيف بحده ، والقوس بشده ، والرجل مجده ؛ وإنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ؛ ولن نثنى حتى نبلى ، ولا نحمد حتى نعطى .

(١) فى الأصل : « لأجزته » بالجميم والزاي المعجمين ؛ وهو تحريف .

(٢) دفت : أتت .

(٣) فى الأصل : « ودغطت » ؛ وهو تصحيف .

ولما حُكِّمَ أبو موسى الأشعريُّ أتاه الأحنف فقال له : يا أبا موسى ، إن هذا مَسِيرُكُمَا ما بعده من عزِّ الدنيا أو ذلِّها آخر الدهر ، أدعُ القوم إلى طاعة عليٍّ ، فإن أبوا فادعهم أن يختار أهل الشام من قريش العراق من أحبوا ، ويختار أهل العراق من قريش الشام من أحبوا ، وإياك إذا لقيت ابنَ العاص أن تصاحبه بنية ، وأن يُقعدك على صدر المجلس ، فإنها خديعةٌ ، وأن يضمَّك وإياه بيتٌ فيمكن لك فيه الرجال ، ودعه فليتكلم لتكون عليه بالخيار ، فالبادئُ مُستغلقٌ^(١) ، والمحيبُ ناطقٌ ، فمما عمِلَ أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف وأشار به ، فكان من الأمر ما كان ، فلقِيَه الأحنف بعد ذلك فقال له : أدخلَ والله قدميك في خُفٍّ واحدةٍ .

وقال بخراسان : يا بني تميم ، تحابَّوا [تَجْتَمِعْ كَلِمَتُكُمْ]^(٢) وتَبَاذَلُوا تَعْتَدِلْ أُمُورَكُمْ ، وأَبْدُوا بِجِهَادِ بَطُونِكُمْ وفُروجِكُمْ يَصْلُحْ دِينُكُمْ ، ولا تَغْلُوا يَسْلَمْ لَكُمْ جِهَادُكُمْ .

ولما قَدِمَت الوفود على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قام هِلَالُ بْنُ بُشَيْرٍ^(٣) فقال : يا أمير المؤمنين : إنا غُرَّةٌ مِنْ خَلْفِنَا مِنْ قَوْمِنَا ، وسَادَةٌ مِنْ وَرَاءِنَا مِنْ أَهْلِ مِصْرِنَا ، وإنك إن تَصَرَّفْنَا بِالزِّيَادَةِ في أُعْطِيَاتِنَا ، والفَرَائِضَ لِعِيَالَتِنَا ، يَزْدَدُ بِذَلِكَ

(١) أراد بالمستغلق هنا : الذى ليس له الخيار فى رد ما قال ، وهو استعارة من قولهم : استغلقنى فى بيعه ، اذا لم يجعل لى خيارا فى رده .

(٢) هذه التكملة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن البيان والتبيين ج ١ قسم ٢ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٣٧٠ .

(٣) كذا فى البيان والتبيين فى النسخة السالفة الذكر ، والذى فى الأصل : « وتنازلوا » ؛ وهو تصحيف إذ لم نجد من معانيه ما يلائم السياق .

(٤) عل غلولا من باب قعد : خان فى المغنم .

(٥) كذا فى الأصل ؛ والذى فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١١٣ طبع الرحمانية : « ابن وكيع » .

الشَّرِيفُ تَأْمِيلًا ، وَتَكُنْ لَهُمْ أَبَا وَصُولًا ؛ وَإِنْ تَكُنْ مَعَ مَا نَمَتَ [بِهِ] مِنْ وَسَائِلِكَ ،
وَنَدَلِي [بِهِ] مِنْ أَسْبَابِكَ كَالْجَدَلِ لَا يَحِلُّ وَلَا يَرْتَحِلُ ، تَرْجِعُ بِأَنْوْفٍ مَصْلُومَةٍ ، وَجُدُودٍ
عَاشِرَةٍ ، فَمِنْحَنَا وَأَهَالِينَا بِسَجَلٍ مُتَرَجِّعٍ (أَيِ الدَّلْوِ الْمَلَانَةِ) مِنْ سِجَالِكَ الْمَتَرَعَةِ .

وَقَامَ زَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَوَّدَ الشَّرِيفُ ، وَأَكْرَمَ الْحَسِيبُ ،
وَأَزْرَعَ عِنْدَنَا مِنْ أَيَادِيكَ مَا تَسَدَّدَ بِهِ الْخَصَاصَةُ ، وَتَطَرَّدَ بِهِ الْفَاقَةُ ؛ فَإِنَا بِقَفٍّ مِنْ
الْأَرْضِ يَابِسِ الْأَكْخَافِ ، مَقْشَعَرِّ الدَّرْوَةِ ، لَا مُتَجَرٍّ وَلَا زَرَعَ ، وَإِنَا مِنَ الْعَرَبِ الْيَوْمَ
إِذَا أَتَيْتْنَاكَ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ .

فَقَامَ الْأَحْنَفُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ بِيَدِ اللَّهِ ، وَالْحِرْصُ
قَائِدُ الْحِرْمَانِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَا يَغْنَى عَنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قِيلًا وَلَا قَالًا ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ
وَبَيْنَ رَعِيَّتِكَ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ شَيْئًا يَكْفِيكَ وَفَادَةَ الْوُفُودِ ، وَاسْتِمَاحَةَ الْمَتَاحِ ،
فَإِنَّ كُلَّ أَمْرٍ إِذَا جُمِعَ فِي وَعَائِهِ إِلَّا الْأَقْلَ مِنْ عَسَى أَنْ تَقْتَحِمَهُ الْأَعْيُنُ فَلَا يُوفَدُ
إِلَيْكَ .

(١) فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ : « وَتَكُنْ لَذَوَى الْأَحْسَابِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَمَن » : وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ .

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ، وَاللُّغَةُ تَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا ؛ وَانْظُرِ الْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ ج ٢ ص ١١٣ ١٥
طَبَعُ الرَّحْمَانِيَةِ .

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَالَّذِي فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ : كَالْجَدَلِ الَّذِي لَا يَحِلُّ « انْخُ وَكَلْنَا الرِّوَايَتَيْنِ غَيْرِ
وَاضِحَةِ الْمَعْنَى ، وَلَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ فِيمَا لَدَيْنَا مِنَ الْمِثَالِ » .

(٥) الْمَصْلُومَةُ : الْمَقْطُوعَةُ مِنْ أَصْلِهَا .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « فَرَحْنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ إِذْ لَمْ تَرَمْزْ مِنْ مَعَانِيهِ مَا يَنْسَبُ الْمَقَامَ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنِ
الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ؛ « وَمِنْحَنَا » مِنَ الْمِخْ ، وَهُوَ الْإِعْطَاءُ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « نَقَفَ » بِالنُّونِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالتَّقَفُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ كَالْقَفَّةِ .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « نَافَسَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٩) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَالَّذِي فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ : « شَجَرَ » وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كِلَا الرِّوَايَتَيْنِ .

ومن كلام أم الخير بنت الحرّيش البارقية ، — وكانت من الفصحاء —

حكى أنها لما وفدت على معاوية قال لها كيف كان كلاكك يوم قُتل عمّار بن ياسر؟ قالت: لم أكن والله زوّرتُه قَبْلُ ولا رَوَيْتُه بعدا، وإنما كانت كلمات نفّهن لساني حين الصدمة، فإن شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت. قال: لا أشاء ذلك، ثم ألّفت إلى أصحابه فقال: أيكم حفظ كلام أم الخير؟ فقال رجل من القوم: أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد، قال: هانه، قال: نعم، كأتى بها يا أمير المؤمنين عليها برد زبیدی، كَشِيفُ الحاشية، وهى على جمال أرمك، وقد أحيط حولها وبيدها سوطٌ منتشر الضفر^(٣)، وهى كالفجل يهدير في شقشقته تقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إن الله قد أوضح الحق، وأبان الدليل، وتور السبيل، ورفع العلم، فلم يدعكم في عمياء مبهمة، ولا سوداء مدلهمة، فأنتى تريدون رحمكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنين، أم فرارا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتدادا عن الحق؟ أما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ ثم رفعت رأسها إلى السماء وهى تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرغبة، وبيدك يارب أزقة القلوب، فأجمع الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، ورد الحق إلى أهله، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل.

(١) كذا في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٩؛ وزوّرتُه: نفّفته وهذبتة، وهو من قوهم: زور الحديث، إذا أزال زوره، أى عوجه. وفى الأصل: «رويته»؛ وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

(٢) الأرمك: من الرمكة، وهى لون التراب.

(٣) الضفر: الفتل، والمراد به هنا اسم المفعول.

(٤) في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٥٠: «فألى أين».

وَالْوَصَى الْوَفَى، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ؛ إِنَّهَا إِحْنٌ بَدْرِيَّةٌ، وَأَحْقَادُ جَاهِلِيَّةٌ، وَضَغَائُنُ
 أُحْدِيَّةٌ، وَثَبَّ بِهَا مَعَاوِيَةُ حِينَ الْغَفْلَةِ لِيُدْرِكَ بِهَا ثَارَاتِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ؛ ثُمَّ قَالَتْ :
 قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ؛ صَبْرًا مَعَ شَرِّ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ،
 قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَثَبَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ ، وَكَأَنِّي بَكُمْ غَدَا قَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ
 كَحُمُرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ ، فَتَرْتِ مِنْ قَسُورَةٍ ، لَا تَدْرِي أَيْنَ يُسَلِّكُ بِهَا مِنْ فِجَاجِ الْأَرْضِ ، بَاعُوا
 الْآخِرَةَ بِالْأُولَى ، وَاشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ، وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى ، وَنَعَمًا قَلِيلٌ
 لِيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ ، حِينَ تَحِلُّ بِهِمُ النَّدَامَةُ ، فَيَطْلُبُونَ الْإِقَالََةَ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ مَنْ ضَلَّ عَنْ
 الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْكُنِ الْجَنَّةَ نَزَلَ النَّارَ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْأَيْكَاسَ
 اسْتَقْصَرُوا عُمْرَ الدُّنْيَا فَرَفَضُوهَا ، وَاسْتَبْطَئُوا مَدَّةَ الْآخِرَةِ فَسَعَوْا لَهَا ؛ وَاللَّهِ أَيُّهَا النَّاسُ ،
 لَوْلَا أَنْ تَبْطُلَ الْحَقُوقُ ، وَتَعْطَلَ الْحُدُودُ ، وَيَظْهَرَ الظَّالِمُونَ ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ ،
 لَمَا آخَرْنَا وَرُودَ الْمَنَآيَا عَلَى خَفَضِ الْعِيشِ وَطَيْبِهِ ، فَايِلَى أَيْنَ تَرِيدُونَ — رَحِمَكُمُ اللَّهُ — ؟
 عَنْ أَبِي عَمْرِو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَزَوْجِ ابْنَتِهِ ، وَأَبِي آبْنِيهِ ، خَلَقَ مِنْ
 طِينَتِهِ ، وَتَفَرَّعَ عَنْ نَبْعَتِهِ ، وَخَصَّصَهُ بِرَدِّهِ ، وَجَعَلَهُ بَابَ مَدِينَتِهِ ، وَأَعْلَمَ بِحُبِّهِ الْمُسْلِمِينَ ،
 وَأَبَانَ بِبَغْضِهِ الْمُنَافِقِينَ ؛ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِمُعُونَتِهِ ، وَيَمِضِي عَلَى سَنَنِ
 اسْتِقَامَتِهِ ، لَا يَعْرِجُ لِرَاحَةِ اللَّذَاتِ ؛ وَهُوَ مَفْلَقُ الْهَامِ ، وَمَكْسَرُ الْأَصْنَامِ ؛ إِذْ صَلَّى
 وَالنَّاسُ مُشْرِكُونَ ، وَأَطَاعَ وَالنَّاسُ مُرْتَابُونَ ؛ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَ مُبَارِزِي بَدْرٍ ،
 وَأَفْنَى أَهْلَ أُحُدٍ ، وَفَرَّقَ جَمَعَ هَوَازِنَ ، فَيَا لَهَا وَقَائِعَ زَرَعَتْ فِي قُلُوبِ قَوْمٍ تَفَاقًا ، وَرِدَّةً
 وَشِقَاقًا ! وَقَدْ أَجْتَهَدْتُ فِي الْقَوْلِ ، وَبَالَغْتُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ ؛ وَعَلَيْكُمْ
 السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « وَاسْتَظَاهَرُوا الْآخِرَةَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كِلَا الرِّوَايَتَيْنِ .
 (٢) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْأَصْلِ بِثَبُوتِ الْمَلَامِ ؛ وَالَّذِي فِي كُتُبِ الْفَوَائِدِ أَنَّ الْأَكْثَرَ فِي الِاسْتِعْمَالِ
 عَدَمُ إِثْبَاتِهَا فِي جَوَابِ لَوْلَا الْمُنَى .

فقال معاوية : والله يا أُم الخير ما أردت بهذا إلا قتلي ، والله لو قتلتك ما حرجت^(١) في ذلك ، قالت : والله ما يسوءني يا ابن هند أن يجري الله ذلك على يدي من يسعدني الله بشقائه ، قال : هيهات يا كثيرة الفضول ، ماتقولين في عثمان بن عفان ؟ قالت : وما عسيت أن أقول فيه ؟ استخلفه الناس وهم كارهون ، وقتلوه وهم راضون ، فقال : إيها^(٢) يا أُم الخير ، هذا والله أصلك الذي تبين عليه ، قالت : لكن الله يشهد^(٣) وكفى بالله شهيداً ، ما أردت بعثمان نقصاً ، ولقد كان سباقاً إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجات ، قال : فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ، قال : فما تقولين في الزبير ؟ قالت : يا هذا لا تدعني كرجيع الضبع يعرك في المرن^(٤) ، قال : حقاً لتقولن ذلك ، وقد عزمْتُ عليك ، قالت : وما عسيت أن أقول في الزبير ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولقد كان سباقاً إلى كل مكرمة في الإسلام . وإني أسألك بحق الله يامعاوية — فإن قریشاً تحدث أنك من أحلمها — أن تسعني بفضل حلمك ، وأن تُعفيني من هذه المسائل ، وأمض إلى ما شئت من غيرها ، قال : نعم وكرامة ، قد أعفيتك ، وردّها مكرمةً إلى بلدها .

(١) عبارة الأصل : « لأقتلك » ؛ وما أثبتناه عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٥١ والعقد الفريد ج ١ ص ١٦٤ طبع المطبعة العثمانية ؛ وهو الملائم لقوله بعد : « ما حرجت » .
(٢) كذا في صبح الأعشى والعقد الفريد ، وهو المناسب لسياق العبارة . وفي الأصل : « الله » .
(٣) إيها : كلمة زجر بمعنى حسبك .
(٤) المرن : شبه تور من آدم يتخذ للآء ، أو شبه لقن ، أو هو الإجانة التي تعسل فيها الثياب ونحوها ؛ ولعلها تريد بهذه العبارة : لا تدعني أذنس بالذم أهل الطهارة ، وألصق العيوب بمن لا عيب فيه ، يدل على ذلك قولها فيما سيأتي : وما عسيت أن أقول في الزبير ابن عمه رسول الله الخ .

وممن أشتهر بالفصاحة والبلاغة زياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف
الثقفى ، وسند ذكر نبذة من كلامهما فى التاريخ عند ذكرنا لأخبارهما لما ولى كل
منهما العراق ، وما خطب الناس به ، ولندكر فى هذا الموضع من كلام الحجاج
ما لم نوردّه هناك

- قيل : لما قدم الحجاج البصرة خطب فقال : أيها الناس ، من أعياد
داؤه ، فعندى دواؤه ، ومن استطال أجله ، فعلى أن أجله ، ومن ثقل عليه
رأسه وضعت عنه ثقله ، ومن استطال ماضى عمره قصرت عليه باقيه ،
إن للشيطان طيفا ، وللسلطان سيفاً ، فمن سقمّت سريرته ، صحت عقوبته ،
ومن وضعه ذنبه ، رفعه صلبه ، ومن لم تسعه العافية ، لم تضق عنه الهلكة ،
ومن سبقته بادرة فيه ، سبق بدنه بسفك دمه ، إني أنذر ثم [لا] أنظر ، وأحذر
ثم لا أعذر ، وأتوعد ثم لا أعفو ، إنما أفسدكم ترنيق^(١) ولا تكم ، ومن استرخى لبيبه^(٢)
ساء أدبه ، إن الحزم والعزم سلبانى سوطى ، وأبدلانى [به] سيفى ، فقائمى فى يدى ،
ونجّادى فى عنقى ، ودبابه قلادة لمن عصانى ، والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب
من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذى يليه إلا ضربت عنقه .

- قال مالك بن دينار : ربّما سمعت الحجاج يذكر ما صنع فيه أهل العراق
وما صنع بهم ، فيقع فى نفسى أنهم يظلمونه لبيانه وحسن تخليصه للحجج .

(١) الترنيق : الضمف فى الأمر .

(٢) اللبيب : ما يشد على صدر الدابة أو الناقة ، يكون للرحل والمرج يمنعهما من الاسترخاء ، يريد
أن الهوادة واللين إفساد لأدب الرعية .

وخطب الحجاج بعد وقعة دِير الجُمَاجِمِ فقال : يا أهل العراق ، إنَّ الشَّيْطَانَ
 قد آسَبَطَنكُمْ نَحْلَاطَ اللَّحْمِ وَالدَّمِ وَالْعَصَبِ وَالْمَسَامِعِ وَالْأُطْرَافِ وَالْأَعْضَاءِ وَالشَّغَافِ ،
 ثُمَّ أَفْضَى إِلَى الْمَخَاخِ وَالْأَصْمَاخِ ، ثُمَّ أَرْتَفَعَ فَعَشَّشَ ، ثُمَّ بَاضَ فَفَرَّخَ ، فَخَشَاكُمْ تَفَاقًا
 وَشَقَاقًا ، وَأَشْعَرَكُمْ خِلَافًا ، وَأَتَّخَذَ تَمُودَ دَلِيلًا يُتَّبِعُونَهُ ، وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ ، وَمُؤَامِرًا
 تَسْتَشِيرُونَهُ ، فَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَةٌ ، أَوْ تَعْظُمُكُمْ وَقْعَةٌ ، أَوْ يَحْجُزُكُمْ إِسْلَامٌ ، أَوْ يَنْفَعُكُمْ
 بَيَانٌ ؟ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَازِ ؟ حَيْثُ رُمْتُمُ الْمَكْرَ ، وَسَعَيْتُمُ بِالْغَدْرِ ، وَاسْتَجْمَعْتُمُ
 لِلْكَفْرِ ، وَظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ خَذَلَ دِينَهُ وَخَالَفَتْهُ ، وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي ، نَتَسَلَّلُونَ لِي إِذَا ،
 وَتَنْهَزُمُونَ سِرَاعًا ، ثُمَّ يَوْمَ الزَّائِيَةِ [وَمَا يَوْمَ الزَّائِيَةِ] ! بَهَا كَانَ فَشَاكُمْ وَتَنَازُعُكُمْ وَتَتَّخِذُكُمْ
 وَبِرَاءَةُ اللَّهِ مِنْكُمْ ، وَنُكُوصُكُمْ وَلِيَكُمْ عَنْكُمْ إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالْإِبِلِ الشَّوَارِدِ إِلَى أَوْطَانِهَا

(١) دِير الجُمَاجِمِ بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها ؛ على طرف البر السالك إلى البصرة ، وسمى دِير
 الجُمَاجِمِ لأنه كانت تصنع فيه الجُمَاجِمُ ، وهى الأقْدَاحُ من الخشب ، وبهذا الموضع كانت الوقعة بين الحجاج بن
 يوسف الثقفى وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وانهمزم فيها آبن الأشعث .

(٢) فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٥ طبع بولاق : « والأعضاء » والمعنى يستقيم على كلنا
 الروايتين . (٣) الشغاف : حجاب القلب أو حبيته أو سويدائه .

(٤) كذا ورد هذا الجمع فى الأصل وغيره من المصادر التى بين أيدينا لهذه الخطبة ؛ ولم نقف فيما لدينا
 من كتب اللغة والقواعد على ما يفيد أن صمخ يجمع على هذه الصيغة ؛ ولعله : « والأصاخ » بتقديم الألف
 على الميم ؛ أو لعله جمع لصمخ بضم الصاد والميم ، وهو جمع صاخ .

(٥) المؤامر : من قولهم : أمره مؤامرة إذا شاوره .

(٦) فى الأصل : « بالمكر » والباء زيادة من النسخ .

(٧) كذا فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٥ طبع بولاق ؛ وعبارة الأصل : « واستجمعتم الكفر »
 بسقوط اللام ؛ واستجمعتم ، أى اجتمعتم . (٨) فى الأصل : « عدل » ؛ وهو تحريف .

(٩) هذه التكملة ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن العقد الفريد ؛ والزائية : موضع قرب البصرة
 فيه كانت الواقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . (١٠) فى الأصل :

« تهادون » ؛ وهو تحريف . (١١) يريد الشيطان . إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنفال :

« وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » إلى قوله : « فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه » الآية .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

- (١) [النوازع إلى أعطانها] ؛ لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ؛ حتى عَظَمَ السلاح ، وقصمتكم الرماح ، ثم دِيرُ الجماجم ، وما دِيرُ الجماجم ! بها كانت المعارك والملاحم ؛ بضرب يُزيل الهام عن مَقِيلِهِ ، ويَصْرِفُ الخليل عن خليله ؛ يا أهل العراق ، والكُفَرَاتِ بعد الفَجَرَاتِ ، والغَدَرَاتِ بعد الخَتَرَاتِ ، والثَّوَرَةِ بعد الثَّوَرَاتِ ؛ إن بعثتكم إلى تُغُورِكم غَلَّتْمْ وجِبْتُمْ ، وإن أَمِنتُمْ أَرْجَفْتُمْ ، وإن خِفْتُمْ نَافَقْتُمْ ؛ لا تَذْكُرُون حَسَنَةً ، ولا تَشْكُرُون نِعْمَةً ؛ [يا أهل العراق] هل آستخفكم نَاكُثٌ ، أو آستغواكم غَاوٍ ، أو آستفزكم عَاِصٌ ، أو استنصركم ظَالِمٌ ، أو آستعضدكم خَالِعٌ ، إلا آتبعتموه وآويتوه ونصرتموه وزكيتموه ؛ يا أهل العراق ، قلما شَغَبَ شَاغِبٌ ، أو نَعَبَ نَاعِبٌ ، أو زَفَرَ كَاذِبٌ إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؛ يا أهل العراق ، أَلَمْ تَنَهَكُمُ المَوَاعِظَ ، ولم تَرْجُرْكُمُ الوَقَائِعَ . ثم آلتفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، أنا لَكُمْ كَالظَّلِيمِ الرَّاحِ عَنْ فَرَاخِهِ ، يَنْفِي عَنْهَا الْمَدْرَ ، وَيَبَاعِدُ عَنْهَا الْبَحْرَ ، وَيَكُنُّهَا مِنَ الْمَطَرِ ، وَيَحْمِيهَا مِنَ الضَّبَابِ ، وَيَحْرُسُهَا مِنَ الذَّنَابِ ؛ يا أهل الشام ، أُنْتُمْ الْجُنَّةُ وَالرَّدَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْحِذَاءُ .

- ومن مكاتباته إلى المهلب بن أبي صفرة وأجوبة المهلب له
- كتب الحجاج إليه وهو في وجه الخوارج : أما بعد ، فإنه بلغني أنك قد أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ، وإني وليّك وأنا أرى مكان عبد الله

- (١) هذه العبارة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن العقد الفريد .
- (٢) يقال : عظته الحرب كعضته وزنا ومعنى .
- (٣) غلّتم : من الغلول ، وهو الخيانة في الغنيمة .
- (٤) في البيان والتبيين ج ٢ ص ١١٥ طبع الرحمانية : « زافر » ؛ والمعنى يستقيم على كتابي الروايتين .
- (٥) الظليم : ذكر النعام ؛ والراح : الضارب برجله .
- (٦) في الأصل : « عن مراحه » ؛ وهو تحزيف .

ابن حكيم المجاشعي ، وعباد بن حصين الحبطي ، وأخترتك وأنت رجل من الأزد ، وأنا أقسم إن لم تلقهم في يوم كذا أشرعت^(١) إليك صدر الرمح . فأجابه المهلب : ورد على كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الحراج ، وتركت قتال العدو لعجز ، وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم وعباد بن حصين ، ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وغنائهما ، وأنت اخترتني وأنا رجل من الأزد ، ولعمري إن شرا من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهم ، وزعمت أني إن لم ألقهم في يوم كذا أشرعت إلى صدر الرمح ، فلو فعلت لقلبت^(٢) إليك ظهر المحجن .

ووجه إليه الحجاج يستبطئه في مناجرة القوم ، وكتب إليه : أما بعد ، فإنك جببت الحراج بالعلل ، وتحصنت بالخنادق ، وطاولت القوم وأنت أعز ناصرا وأكثر عددا ، وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنا ، ولكنك آتخذتهم أمكلا ، ولإبقائهم أيسر عليك من قتالهم ، فناجزهم وإلا أنكرتني ، والسلام .

فقال المهلب للحجاج : يا أبا عقبة ، والله ما تركت حيلة إلا أحلتها ، ولا مكيدة إلا عملتها ، وليس العجب^(٣) من إبطاء النصر ، وتراخي الظفر ، ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره ، ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغاديههم ، ولا يزالون كذلك إلى العصر حتى قال الحجاج : قد اعتذرت ، وكتب إلى الحجاج : أنا في كتابك

(١) عبارة الأصل : « وإلا انتزعت » ، وفيها زيادة من النسخ وتحريف لا يستقيم بها المعنى ، وما يأتي في جواب المهلب يعين ما أثبتنا .

(٢) يقال : قلبت له ظهر المحجن إذا تغيرت عليه وحلت عن العهد ، والمحجن : الترس .

(٣) في الأصل : « ولا العجب » ، والقواعد تقتضي ما أثبتنا ، فإن « لا » النافية إذا دخلت على المعرفة وجب تكرارها ، ولم تتكرر هنا .

(٤) في الأصل : « ينصره » بنون وصاد مضمومة ، ومعناه لا يناسب ما هنا :

يَسْتَبْطِئُ لِقَاءَ الْقَوْمِ ، عَلَى أَنَّكَ لَا تَظُنُّ بِي مَعْصِيَةً وَلَا جَبِينًا ، وَقَدْ عَاتَبْتَنِي مَعَاتِبَةً
الْجَبَانَ ، وَأَوْعَدْتَنِي وَعِيدَ الْعَاصِي ، فَسَلِّ الْجِرَاحَ وَالسَّلَامَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ تَتَرَاخَى عَنِ الْحَرْبِ حَتَّى تَأْتِيكَ رُسُلِي وَيَرْجِعُونَ بِعَذْرِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّكَ
تُمَسِّكُ حَتَّى تَبْرَأَ الْجِرَاحُ وَتُنْسِيَ الْقَتْلُ^(١) ، وَيَجْمَعُ النَّاسُ ، ثُمَّ تَلْقَاهُمْ فَتَحْمِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ
مَا يَحْمِلُونَ مِنْكَ مِنْ وَحْشَةِ الْقَتْلِ وَأَلَمِ الْجِرَاحِ ، وَلَوْ كُنْتَ تَلْقَاهُمْ بِذَلِكَ الْجِدَّةِ لَكَانَ
الدَّاءُ قَدْ حُسِمَ ، وَالْقِرْنُ قَدْ قُصِمَ ، وَأَعْمَرِي مَا أَنْتَ وَالْقَوْمُ سُوءًا ، لِأَنَّ مِنْ وَرَائِكَ
رَجَالًا ، وَأَمَامَكَ أَمْوَالًا ، وَلَيْسَ لِلْقَوْمِ إِلَّا مَا مَعَهُمْ ، وَلَا يُدْرِكُ الْوَجِيفُ بِالْذَّبِيبِ ،
وَلَا الظَّفَرُ بِالْتَعْذِيرِ^(٢) .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُهَلَّبُ : أَقَامَا بَعْدُ ، فَإِنِّي لَمْ أُعْطِ رِسْلَكَ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ أَجْرًا ، وَلَمْ
أَحْتِجْ مِنْهُمْ مَعَ الْمَشَاهِدَةِ إِلَى تَلْقَيْنِ ، وَذَكَرْتَ أَنَّي أَجْمَعُ الْقَوْمَ ، وَلَا بَدَّ مِنْ رَاحَةٍ
يَسْتَرِيحُ فِيهَا الْغَالِبُ وَيَحْتَالُ الْمَغْلُوبُ ، وَذَكَرْتَ أَنَّ فِي الْإِجْمَاعِ^(٣) مَا يُنْسَى الْقَتْلُ ،
وَيُبْرِي الْجِرَاحَ ، وَهِيَئَاتِ أَنْ يُنْسَى مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، يَا بَنِي ذَلِكَ قَتْلُ مَنْ لَمْ يَجْنِ ،
وَقُرُوحٌ لَمْ تَتَّقَرْفُ^(٤) ، وَنَحْنُ وَالْقَوْمَ عَلَى حَالَةٍ ، وَهُمْ يَرْقُبُونَ حَالَاتِ ، إِنْ طَمِعُوا
حَارَبُوا ، وَإِنْ مَلُّوا وَقَفُوا ، وَنَطْلُبُ إِذَا هَرَبُوا ، فَإِنْ تَرَكْتَنِي فَالدَّاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ مُحْسُومٌ ،
وَإِنْ أَعْجَلْتَنِي لَمْ أُطْعَمْكَ وَلَمْ أُعْصِ ، وَجَعَلْتُ وَجْهِي إِلَى بَابِكَ ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
سَخَطِ اللَّهِ وَمَقْتِ النَّاسِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْمُبْتَلَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا اثْبَتْنَا كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا يَأْتِي فِي جَوَابِ الْمُهَلَّبِ .

(٢) التَّعْذِيرُ : التَّنْقِصُ فِي الْأَمْرِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فِي الْجَمَاعَةِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) تَتَّقَرْفُ بِقَافٍ مَثَلَةٌ : تَتَّقَشِرُ ؛ يَرِيدُ أَنَّهَا لَمْ تَبْرَأْ ؛ وَفِي الْأَصْلِ : « تَتَفَرَّقُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فَالرَّأْيُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وقال المهلب لبنيه : يا بني تَبَاذَلُوا تَحَابُّوا ، فَإِنَّ بَنِي الْأُمِّ يَخْتَلِفُونَ ، فَكَيْفَ
بَنِي الْعَالَتِ^(٢) ، إِنَّ الْبِرَّ يَنْسَأُ فِي الْأَجَلِ ، وَيَزِيدُ فِي الْعَدَدِ ، وَإِنَّ التَّمْطِيعَةَ تُورِثُ الْقِلَّةَ ،
وَتَعْتَمِبُ النَّارَ بَعْدَ الدَّلَّةِ ، وَاتَّقُوا زَلَّةَ اللِّسَانِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ تَزِلُّ رِجْلُهُ فَيَنْتَعِشُ ، وَيَزِلُّ
لِسَانُهُ فَيَهْلِكُ ، وَعَلَيْكُمْ فِي الْحَرْبِ بِالْمَكِيدَةِ ، فَإِنَّهَا أْبْلَغُ مِنَ النَّجْدَةِ .

وَلَمَّا اسْتَخْلَفَ أَبْنَاهُ الْمَغِيرَةَ عَلَى حَرْبِ الْخَوَارِجِ ، وَعَادَ هُوَ إِلَى عِنْدِ مُصْعَبِ^(٣)
ابْنِ الزُّبَيْرِ ، جَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ الْمَغِيرَةَ ، وَهُوَ أَبُو صَغِيرِكُمْ
رَقَّةٌ وَرَحِمَةٌ ، وَابْنُ كَبِيرِكُمْ طَاعَةٌ وَتَجْبِيلًا وَبِرًّا ، وَأَخُو مِثْلِهِ مَوَاسَاةٌ وَمَنَاصَحَةٌ ، فَلْتَحَسِّنْ
لَهُ طَاعَتَكُمْ ، وَلِيَأْنِ لَهُ جَانِبُكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ صَوَابًا قَطُّ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ .

وَخَطَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْغِلْظَةَ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ آلِ صُوحَانَ
فَقَالَ : مَهْلًا مَهْلًا يَا بَنِي مَرْوَانَ ، تَأْمُرُونَ وَلَا تَأْتِمُرُونَ ، وَتَنْهَوْنَ وَلَا تُنْهَوْنَ ، وَتَعِظُونَ
وَلَا تَتَعِظُونَ ، أَفَنَقْتِدِي بِسِيرَتِكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ، أَمْ نَطِيعُ أَمْرِكُمْ بِالسُّنَّتِكُمْ ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ :
إِقْتَدُوا بِسِيرَتِنَا ، فَأَنَّى وَكَيْفَ ، وَمَا الْحُجَّةُ ، وَمَا الْمَصِيرُ مِنَ اللَّهِ ؟ أَتَقْتِدِي بِسِيرَةِ الظَّالِمَةِ
الْفَاسِقَةِ الْجَوْرَةِ الْخَوْنَةِ ، الَّذِينَ آتَخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا ، وَعَبِيدَهُ خَوَلَا ؟ وَإِنْ قُلْتُمْ :
إِصْغُوا نَصِيحَتِنَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَنَا ، فَكَيْفَ يَنْصَحُ لغيرِهِ مَنْ يَغُشُّ نَفْسَهُ ؟ أَمْ كَيْفَ
تَجِبُ الطَّاعَةُ لِمَنْ لَمْ تَثْبُتْ عِنْدَ اللَّهِ عَدَالَتُهُ ؟ وَإِنْ قُلْتُمْ : خَذُوا الْحِكْمَةَ مِنْ حَيْثُ
وَجَدْتُمُوهَا ، وَأَقْبَلُوا الْعِظَةَ مِمَّنْ سَمِعْتُمُوهَا ، فَعَلَامَ وَلَيْنَاكُمْ أَمْرُنَا ، وَحَكْمَانَا
فِي دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ فِينَا مَنْ هُوَ أَنْطَقُ مِنْكُمْ بِاللُّغَاتِ ، وَأَفْصَحُ بِالْعِظَاتِ ؟

(٩٤)

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَنَازَلُوا » وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا فِي الْبَيَانِ وَالنَّبِيْنِ .

(٢) بَنُو الْعَالَتِ : الْأَبْنَاءُ مِنْ أُمّهَاتِ شَتَّى وَالْأَبِ وَاحِدٌ .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَعَلَّ قَوْلَهُ : « عَدَدٌ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّ « عِنْدَ » مِنَ الضَّرُوفِ الَّتِي

لَا تَخْرُجُ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ إِلَّا إِلَى الْجَرْمِ ، وَجَرَّهَا إِلَى الْحَنْ ، كَمَا فِي مَعْنَى اللَّيْبِ .

فَتَخَلَّوْا عَنْهَا ، وَأَطْلِقُوا عِقَالَهَا ، وَخَلُّوا سَبِيلَهَا ، يَنْتَدِبُ إِلَيْهَا آلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ شَرَّدَتْهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَمَزَقَتْهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ ، بَلْ تَثَبَّتْ فِي أَيْدِيكُمْ لَا نَقْضَاءَ الْمُدَّةِ ، وَبُلُوغَ الْمُهْلَةِ ، وَعِظِيمَ الْمِحْنَةِ ؛ إِنَّ لِكُلِّ قَائِمٍ قَدْرًا لَا يَعْدُوهُ ، وَيَوْمًا لَا يَخْطُوهُ ، وَكِتَابًا بَعْدَهُ يَتْلُوهُ ، ” لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا “ ، ” وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ “ . ثُمَّ التَّمَسَّ الرَّجُلُ فَلَمْ يَوْجَدْ .

ومن كلام قَطْرِيٍّ بْنِ الْفُجَاءَةِ — وكان من البلغاء الأبطال ، فمن ذلك خطبته المشهورة التي قال فيها :

أما بعد ، فَإِنِّي أَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّمَا حُلُوَّةٌ خَصِرَةٌ ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ ، وَحَلَّتْ بِالْآمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ ؛ لَا تَقُومُ نَصْرَتُهَا ، وَلَا تُؤَمِّنُ بَخِيعَتُهَا ؛ غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ ، وَحَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، وَنَافِذَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكَالَةٌ غَوَالَةٌ ؛ لَا تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَا عَنْهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَذَّبُوا أَنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ مع أن أمرًا لم يكن معها في حَبْرَةٍ (أى السرور) ، إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَمْ يَلَقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا ، وَلَمْ تَصِلْهُ غَيْثَةٌ رَخَاءً ، إِلَّا هَطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بَلَاءً ؛ وَحَرِيَّةٌ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً ، أَنْ

(١) في الأصل : « قديما » ولعل صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله بعد : « لا يعدوه » .

(٢) لا تقوم ، أى لا تثبت ؛ وفي صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٣ : « لاندوم » .

(٣) في الأصل : « زائدة » وهو تحريف .

(٤) في صبح الأعشى : « منها » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٥) كذا في الأصل وصبح الأعشى ؛ والذي في العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٥ طبع بولاق :

« تطله » بالطاء ؛ وهو أقرب الى سياق العبارة مما هنا ؛ وتطله من الطل بتشديد اللام بمعنى المطر الضعيف .

تُسمى [له] خاذلة متنگره؛ وإن جانب منها أعدوذب واحلولى، أمر عليه منها جانب
 وأوبا، فإن أتت أمراً من غصونها ورقاً أرهقته من نوائبها تعباً، ولم يمس منها أمرؤ
 في جناح أمين إلا أصبح منها في قوادم خوف، غرارة غرور ما فيها، فانية
 فإن من عليها، لا خير في شيء من زادها إلا التقوى، من أقل منها استكثر مما يؤمنه
 ومن استكثر منها استكثر مما يؤوبقه ويطيل حزنه، ويبكى عينه، كم واثق بها قد فجعتته،
 وذى حلم تنبه إليها قد صرعتته، وذى احتيال فيها قد خدعتته، وكم ذى أبهة فيها
 قد صيرته حقيراً، وذى نخوة قد رذته ذليلاً، ومن ذى تاج قد كبتة لليدين والقم،
 سلطانها دول، وعيشها رنق (أى المراء الكدر) وعذبها أجاج، وحلواها صير، وغداؤها
 سمام، وأسبابها رمام، وقطافها سلع، حيثما بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم،
 ومنيعها بعرض أهتضام، وملكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وسليمها منكوب
 وجارها محروب، مع أن وراء ذلك سكرات الموت، وهول المطلع، والوقوف بين
 يدي الحكم العدل "ليجزى الذين أسأوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى"

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٤

(٢) فى الأصل : « وأولى » باللام؛ وهو تحريف .

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل وصبح الأعشى؛ والذى فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٥

طبع بولاق : « وإن لبس أمرؤ من غضارتها ورفاهيتها نعماً أرهقته من نوائبها غماً » .

(٤) فى صبح الأعشى : « على »؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٥) كذا فى الأصل وصبح الأعشى؛ والذى فى العقد الفريد : « وذى تاج » بإسقاط « من »؛

وفى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٠٤ طبع الرحمانية : « وكم من ذى تاج » الخ .

(٦) فى الأصل : « وأسنانها » بنونين؛ وهو تصحيف .

(٧) كذا فى العقد الفريد، والذى فى الأصل : « فظاها » . والقطاف : جمع قطف بكسر القاف،

وهو العنقود . والسامع محرقة : ضرب من الصبر .

(٨) فى الأصل : « وصحتها » وما أثبتناه عن صبح الأعشى، إذ هو المناسب للسياق .

- أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَوْضَحَ مِنْكُمْ آثَارًا ، وَأَعَدَّ عِدِيدًا ، وَأَكْثَفَ جُنُودًا ، وَأَشَدَّ عُقُودًا ، تُعْبَدُوا لِلدُّنْيَا أَىَّ تَعْبُدُ ، وَآثَرُهَا أَىَّ إِثَارًا . وَظَعَنُوا بِالْكَرِّ وَالصَّغَارِ ، فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَمَحَتْ لَهُمْ تَمَسًا بِفِدْيَةٍ ، أَوْ أَغْنَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَهْلَكْتَهُمْ بِخُطْبِ (٢) ؟ بَلْ قَدْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْفَوَادِحِ ، وَضَعَعْتَهُمْ بِالنَّوَابِ ، وَعَقَرْتَهُمْ بِالْفَجَائِعِ ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرَهَا لِمَنْ رَادَهَا وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ ، إِلَى آخِرِ الْمُسْنَدِ (٣) ، هَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّغْبَ ، وَأَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ، أَوْ أَعْقَبْتَهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ؟ أَفَهَذِهِ تَوْثِرُونَ ، أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ؟ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْشَوْنَ ﴾ فَبُئِست الدَّارُ لِمَنْ أَقَامَ فِيهَا ، فَاعْلَمُوا إِذَا أَتَمْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنْكُمْ تَارِكُوهَا لَا بَدَ ، فَإِنَّمَا هِيَ كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ بِاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ [تَعَالَى] : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ .

- وَذَكَرَ الَّذِينَ قَالُوا : مِنْ أَشَدِّ مِنْهَا قُوَّةٌ ثُمَّ قَالَ : لِمَا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأُنْزِلُوا فَلَا يُرْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَكْثَانًا (٦) ، وَمِنَ الْوَحْشَةِ أَلْوَانًا ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانًا ، وَهُمْ فِي جِرَةِ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ، إِنْ

(٩٥)

- (١) تعبدوا للدنيا ، أى صيرتم الدنيا عبيدا لها ، يقال : تعبد فلان فلانا إذا اتخذ عبيدا ؛ وعبرة الأصل : « تعبدوا الدنيا » بإسقاط اللام ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .
(٢) فى الأصل : « وظفّقوا » وهو تحريف .
(٣) الخطب : الشأن والأمر .
(٤) المسند : الدهر .
(٥) فى العتد الفريد : « يدعون » الدال المهملة ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .
(٦) فى الأصل : « أحيانا » بالحاء والياء ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .
(٧) فى الأصل : « حيوانا » وهو تصحيف .

(١) أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قَحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا ؛ [جَمْعٌ] (٢) وَهُمْ أَحَادٌ ، جِيرةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ ،
مُتَنَاءُونَ (٣) ، لَا يَزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ ؛ حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ
أَحْقَادُهُمْ ؛ لَا يُرْجَى نَفْعُهُمْ ، وَلَا يُخْشَى دَفْعُهُمْ ؛ وَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى : ﴿ فَتِلْكَ مَسَاجِدُهُمْ
لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ فَاسْتَبَدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ،
وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلُمَةً ، فَفَارَقَوْهَا كَمَا دَخَلُوهَا ، حُفَاةً
عُرَاةً فُرَادَى ، غَيْرَ أَنْ ظَنَعُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، وَإِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ ، يَقُولُ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ فَاحْذَرُوا مَا حَدَّرَكُمْ
اللَّهُ ، وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ ، عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَرَزَقَنَا
وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ .

وَمِنْ كَلَامِ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ (٤) ، قِيلَ لَهُ : مَا كَانَ
سَبَبُ خُرُوجِ الدَّوْلَةِ عَنْ بَنِي أُمَيَّةٍ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّهُمْ أَبْعَدُوا أَوْلِيَاءَهُمْ ثِقَةً بِهِمْ ، وَأَدْنَوْا
أَعْدَاءَهُمْ تَأَلُّفًا لَهُمْ ، فَلَمْ يَصِرِ الْعَدُوُّ بِالْذَّنُوِّ صَدِيقًا ، وَصَارَ الصَّدِيقُ بِالْإِعَادِ عَدُوًّا .

وَقِيلَ لَهُ فِي حَدِيثِهِ : إِنَّا نَرَاكَ تَأْرَقُ كَثِيرًا وَلَا تَتَامُ ، كَأَنَّكَ مُوَكَّلٌ بِرَعْيِ الْكُوفَةِ ،
أَوْ مُتَوَقِّعٌ الْوَحْيَ فِي السَّمَاءِ (٥) ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ ذَاكَ ، وَلَكِنْ لِي رَأْيٌ جَوَالٌ ، وَغَرِيزَةٌ

١٥ (١) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ج ٢ ص ١٠٥ طَبْعُ الرَّحْمَانِيَّةِ ؛ وَهُوَ الْمُنَاسِبُ لِمَا يَأْتِي بَعْدَهُ ؛ وَالَّذِي
فِي الْأَصْلِ : « جَمَعُوا » .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَقَدْ أُثْبِتَتْهَا عَنِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « مُتَسَاوُونَ » وَمَا أُثْبِتْنَاهُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ ؛ وَانْظُرِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ
وَالْعَقْدَ الْفَرِيدَ .

٢٠ (٤) يَرِيدُ دَوْلَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ ؛ وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ج ٢ ص ٧٥ طَبْعُ الرَّحْمَانِيَّةِ : « صَاحِبُ
الدَّعْوَةِ » .

(٥) لَعَلَّهُ : « مِنْ » .

تامة، وذهن صافٍ، وهمةٌ بعيدةٌ، ونفسٌ تُتوق الى معالى الأمور، مع عيش كعيش
 الحمج والرّاع، وحالٍ متناهيةٍ من الاتّضاع، وإني لأرى بعضَ هذا مصيبةً لا تُجبر
 بسهر، ولا تُتلافى بأرقٍ؛ قيل له : فما الذى يبرّد غليلك، ويشفى إجاج^(١) صدرك؟
 قال : الظّفَرُ بالملك؛ قيل له : فاطلب؛ قال : إن الملك لا يدرك إلا بركوب
 الأهوال؛ قيل : فاركب الأهوال؛ قال : هيئات، العقلُ مانعٌ من ركوب الأهوال؛
 قيل : فما تصنع وأنت تبلى حسرةً، وتدوب كمدًا؟ قال : سأجعل من عقلى بعضه
 جهلاً، وأحاول به خطراً، لأنّال بالجهل ما لا يُنال إلا به، وأدبر بالعقل ما لا يُحفظ
 إلا بقوته، وأعيش عيشاً بين مكان حياتى فيه من مكان موتى عليه، فإنّ الخمول
 أخو العدم، والشهرة أبو الكون .

وكتب إليه عبد الحميد بن يحيى كتاباً عن مروان بن محمد، وقال لمروان :
 قد كتبتُ كتاباً إن نجّع فذاك، وإلا فالهلاك، وكان ليكبر حجمه يُحمل على جمل،
 نفّث فيه حواشى صدره، وضمنه غرائبٌ عجّره^(٢) وبجّره، فلمّا ورد على أبى مسلم
 دعا بنار فطرّحه فيها إلا قدر ذراع فإنه كتب عليه :

محا السيفُ أسطارَ البلاغةِ وأنّحى * ليوث الوغى يقدم من كلّ جانب
 فإن يقدموا نُعمل سيوفاً شحيذةً * يهون عليها العتبُ من كلّ عاتب
 وردّه، فأليس الناسُ من معالجتّه .

وقيل : إنه شجر بينه وبين صاحب مَرٍو كلامٌ أرّبى فيه صاحب مَرٍو عليه ،
 فاحتمله أبو مسلم وقال : مَهْ ، لسانٌ سبق، ووهمٌ أخطأ، والغضب شيطان ،

(١) الإجاج : جمع أجة ، وهى شدة الحر وتوجّهه .

(٢) عجّره وبجّره ، أى كل أموره ، لم يستر عنه شيئاً ، وأصل العجر ، العروق المتعقدة فى الجسد ،
 والبجر ، العروق المتعقدة فى البطن خاصة .

وأنا جرأتك على باحتمالك، فإن كنت للذنب متعمدا فقد شاركك فيه، وإن كنت مغلوبا فالعفو يسعك؛ فقال له صاحب مرو: عظم ذنبي يمنع قلبي من الهدوء؛ فقال ابو مسلم: يا عجبا، أقابلك بإحسان وأنت تسيء، ثم أقابلك بإساءة وأنت تحسن! فقال صاحب مرو: الآن وثقت بعفوك.

ومن كلام جماعة من أمراء الدولتين

خطب يوسف بن عمر فقال: اتقوا الله عباد الله، فكم من مؤمل أملا لا يبلغه، وجامع مالا لا يأكله، ومانع ما سوف يتركه؛ ولعله من باطل جمعه، ومن حق منعه؛ أصابه حراما، وورثه عدوا؛ واحتمل إضره، وباء بوزره، وورد على ربه أسفا لاهفا "خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين".

وقام خالد بن عبد الله القسري^(١) على المنبر خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أيها الناس، نافسوا في المكارم، وسارعوا إلى المغانم، واشتروا الحمد بالجود، ولا تكسبوا بالمطل ذما، ولا تعتدوا^(٢) بالمعروف ما لم تعجلوه، ومهما يكن لأحدكم عند أحد نعمة فلم يبلغ شكرها فالله أحسن لها جزاء، وأجزل عليها عطاء؛ واعلموا أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم؛ فلا تملأوا النعم فتحوّل نقما؛ واعلموا أن أفضل المال ما أكسب أجرا، وأورث ذكرا؛ ولو رأيتم المعروف رجلا رأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين، ولو رأيتم البخل رجلا رأيتموه مشوها قبيحا، تنفر عنه القلوب، وتغض عنه الأبصار؛ أيها الناس، إن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وأعظم الناس عفوا من عفا عن

(١) في الأصل: «القسري» بشين معجمة بعدها ياء مثناة، وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «تعتدوا»؛ وهو تحريف.

قدرة ، وأوصل الناس من وصل من قطعه ، ومن لم يطب حرثه لم يرك نبتة ،
والأصول عن مغارسها تنمو ، وبأصولها تسمو ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

- قيل لما ولي أبو بكر بن عبد الله^(١) المدينة وطال مكثه عليها كان يبأغه
عن قوم من أهلها أنهم ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسعاف
من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات ووجوه الناس في يوم الجمعة أن يقربوا
من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال : أيها الناس ، إني قائل قولاً ، فمن وعاه
وأذاه فعلى الله جزاؤه ، ومن لم يعه فلا يعدو من ذمامها ، إن قصرتم عن تفصيله ،
فلن تعجزوا عن تحصيله ، فأرعوه أبا ركم ، وأوعوه أسماءكم ، وأشعروه قلوبكم ،
فالموعظة حياة ، والمؤمنون إخوة "وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ" ، "وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ" ،
فأتوا الهدى تهتدوا ، واجتنبوا الغي ترشدوا ، "وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ"
لَعَلَّكُمْ تُفَاحِشُونَ" ، والله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، أمركم بالجماعة ورضيها لكم ،
ونهاكم عن الفرقة وسخطها منكم ، "يَا تَقْوَا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"
وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ
بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا" ،
جعلنا الله وإياكم ممن تبع رضوانه ، وتجنب سخطه ، فإنما نحن به وله ، وإن الله
بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين ، واختاره على العالمين ، واختار له أصحابا على

(١) كذا في الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٠ وقد راجعنا أسماء عمال المدينة وولاتها فيما بين
أيدينا من المخاض فلم نقف على هذا الاسم فيمن تولاهما ، والذي وقفنا عليه هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ،
تولى المدينة في زمن سليمان بن عبد الملك انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٩٦ وغيره من كتب التاريخ .

(٢) زيد : فلا يخرج ؛ وتأنيت الضمة في قوله : « ذمها » باعتبار الموعظة أو المقالة .

(٣) كذا في صبح الأعشى ، وهو المناسب لما بعده في الفقرة الثانية . وفي الأصل : « عنه بفضيلة » .

الحق ، ووزراء دون الخلق ، اختصهم به ، وانتخبهم له ، فصداقوه ونصروه ،
وعزروه ووقروه ، فلم يقدموا إلا بأمره ، ولم يحجموا إلا عن رأيه ، وكانوا
أعوانه بعهدده ، وخلفاءه من بعده ، فوصفهم فأحسن صفتهم ، وذكرهم فأثنى عليهم ،
فقال - وقوله الحق - : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ الى
قوله : ﴿ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(١) فمن غاظوه كفر وخاب ، وبخر وخسر ، وقال الله عز
وجل : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا ﴾ الى قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ فمن خالف شريعة الله عليه لهم ،
وأمره إياه فيهم ، فلا حق له في الفىء ، ولا سهم له في الإسلام في أي كثيرة من
القرآن ، ففرقت مارقة من الدين ، وفارقوا المسلمين ، وجعلوهم عِضِينَ ، وتَشَعَّبُوا ^(٢)
أحزابا ، أشابات وأوشابا ، ^(٣) نخالفوا كتاب الله فيهم ، وشاءه عليهم ، وآدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيهم ، نخابوا وخسروا الدنيا والآخرة ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾
﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كُنَّ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ، مالى أرى
عيونا نُخْزَا ، ورقابا صُعْرَا ، وبطونا يُجْرَا ^(٤) ؛ شَجَى لَا يُسِغُهُ الْمَاءُ ، وداء لَا يُشْرَبُ فِيهِ ^(٥)
الدواء ، ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾ كَلَّا والله ، بل هو

(٩٧)

١٥ (١) فى الأصل : «عاطون» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله تعالى فى الآية السابقة :

« يعجب الزراع ليعيظ بهم الكفار » .

(٢) العضون جمع عضة ، وهى الفرقة .

(٣) يريد : أوباش الناس وأخلاقهم .

(٤) الخزر بضم الخاء : جمع أزر ، من الخزر بفتح الخاء والزى ، وهو النظر كأنه فى أحد الشقين .

٢٠ (٥) البحر : العظيمة .

- (١) الْهِنَاءُ وَالطَّلَاءُ حَتَّى يَظْهَرَ الْعَذْرُ، وَيَبُوحَ السَّرُّ، وَيَضَحَ الْغَيْبُ، وَيُسْوَسَ الْجُنُبُ؛
فَإِنَّكُمْ لَمْ تُخَاقُوا عِثَاءً، وَلَمْ تُتْرَكُوا سُدًى؛ وَيَحْكَمْ، إِنْ لَسْتُ أَتَاوِيًا^(٤) أَعْلَمَ، وَلَا بَدَوِيًا
أَفْهَمَ؛ قَدْ حَلَبْتُكُمْ أَشْطَرًا، وَقَلْبَتُكُمْ أَبْطَنًا وَأَظْهَرًا؛ فَعَرَفْتُ أَنْحَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ، وَعَلِمْتُ
أَنْ قَوْمًا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِالْمُسْتَهْزِمِ. وَأَسْرَتُوا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَضَرَبُوا بَعْضُ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [بِبَعْضِ]،^(٥) وَوَلَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ، وَضَرَبُوا
الْأَمْثَالَ، وَوَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَعْوَانًا يَأْذَنُونَ لَهُمْ، وَيُصْغَوْنَ
إِلَيْهِمْ؛ مَهَلًا مَهَلًا قَبْلَ وَقُوعِ الْقَوَارِعِ، وَطَوِيلِ الرِّوَايَةِ، هَذَا لِهَذَا وَمَعَ هَذَا،
فَلَسْتُ أَعْتَنِشُ^(٦) آثِبًا وَلَا تَائِبًا، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ﴾ فَأَسِرُوا خَيْرًا وَأَظْهِرُوهُ، وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخْلَصُوا، فَطَالَمَا مَشَيْتُمُ الْقَهْقَرَى
نَاكِصِينَ، وَلَيَعْلَمَنَّ مِنْ أَدْبَرِ وَأَصْرَ أَنَّهَا مَوْعِظَةٌ بَيْنَ يَدَيِ نِقْمَةٍ؛ وَلَسْتُ أَدْعُوكم إِلَى
أَهْوَاءِ تُتَّبَعُ، وَلَا إِلَى رَأْيٍ يُتَّبَعُ؛ إِنَّمَا أَدْعُوكم إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِ، الَّتِي فِيهَا خَيْرُ
الْآخِرَةِ وَالْأُولَى؛ فَمَنْ أَجَابَ فَإِلَى رُشْدِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَن قَصِيدِهِ؛ فَهَلُمَّ إِلَى الشَّرَائِعِ
الْجَدَائِعِ،^(٨) وَلَا تُؤَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ،

(١) الْهِنَاءُ بِكسر الهاء : القطران ؛ يريد بهذه العبارة أنه سيأخذ في معالجتهم بالموعظة أو العقوبة
حتى يقلعوا عما نهاهم عنه .

(٢) عبارة الأصل : «حتى بطل الغمر» وهو تحريف ؛ والتصويب عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٢
(٣) يسوس بالبناء للجهول : يروض ويدل ؛ يقال : سوست له أمرا إذا روضته وذلته . انظر
اللسان مادة «سوس» . والجنب بضمين الصعب الذي لا ينقاد .

(٤) الأتاوى : الغريب عن القوم .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى .

(٦) لعله يريد بهذه العبارة أنه قد أعد لكل عمل جزاء لا يتجاوز به يدل على ذلك ما قبله وما بعده .

(٧) الاعتنش : التلذذ ؛ والذي في الأصل : «أعيش» ؛ وهو تحريف .

(٨) كذا في الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٢ ؛ ولم نقف عليه في نيرهما ؛ ولم نر من معانيه
ما يناسب السياق ؛ ولعله : «الجوامع» ، أى التى تجمع الناس على اتباعها ، كما يدل عليه ما بعده .

«يُنْسِلُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا»^(١) إِيَّاكُمْ وَبُنْيَاتِ الطَّرِيقِ ، فَعِنْدَهَا التَّرْنِيقُ وَالرَّهَقُ^(٢) ، وَعَلَيْكُمْ بِالْحَادَّةِ ، فَهِيَ أَسَدٌ وَأَوْرَدٌ ، وَدَعَا الْأَمَانِيَّ فَقَدْ أَرَدَتْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ، وَ«لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى» (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) .

هذا ما آتفق إيرادُه من رسائل وخطبُ بُلغَاء الصحابة — رضى الله عنهم — وكلامِ التابعين وغيرهم مما يحتاج الكاتب الى حفظه .

وأما رسائل المتقدمين والمعاصرين التي يحتاج الى النظر اليها دون حفظها — فهي كثيرة جدا ، سنورد من جيدها ما تقف عليه إن شاء الله .

١٠ ذكر شيء من رسائل وفصول الكتاب والبلغاء المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين من المشاركة والمغاربة

وهذه الرسائل والفصول كثيرة جدا ، وقد قدمنا منها فيما مرّ من كتابنا هذا ما حلا ذكْرُه ، وفاح نُشْرُه ؛ وَأَنْسِ بِهِ سَامِعُه ، وَأَيْسَ مِنَ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ صَانِعُه ، وَأوردنا في كل باب وفصلٍ منه ما يناسبه ، وسنورد إن شاء الله في فَنِّ الْحَيَوَانَ وَالنبات عند ذكر كل حيوان أو نبات يستحق الوصف ما سمعناه وطالعناه من وصفه نظما ونثرا ، مع ما يندرج في فنّ التاريخ من الرسائل والفصول والأجوبة والمحاورات

(١) بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ : الطرق الصغار التي تشعب من الجادة ، وهي الترهات ؛ يريد : إِيَّاكُمْ وسلوكه طريق غير طريق الجماعة .

(٢) الرهق : السفه ، أو هو ركوب الشر . والذي في صبح الأعشى : «الترهيق» .

عند ذكر الوقائع ، وإنما نُورده ثم وإن كان هذا موضعه ليكون الكلام فيه شياقةً ،
وتردُّ الوقائع يتلو بعضها بعضاً ، فلا ينقطع الكلام على ما تقف إن شاء الله تعالى
عليه في مواضعه ، فلنورد في هذا الموضع ما هو خارج عن ذلك النمط من كلامهم ،
ولنبداً بذكر شيء من المسكّات البليغة الموجزة ؛

من ذلك ما كتب به عبد الحميد بن يحيى بالوصاة على إنسانٍ فقال : حقُّ موصل
هذا الكتاب عليك حقه على إذ رآك موضعاً لأمله ، ورآني أهلاً لحاجته ، وقد أنجزتُ
حاجته ، فحقّق أمله .

ومنه ما حكى أن المأمون قال لعمر بن مسعدة : أكتب الى فلان كتاب
عنايةً بفلان في سطر واحد ، فكتب : هذا كتابٌ واثقٌ بمن كُتب إليه ، مُعْتَنٍ بمن
كُتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله .

وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون يستعطفه على الجند : كتابي الى أمير المؤمنين
ومن قبلي من أجناده وقواده في الطاعة على أفضل ما تكون عليه طاعةُ جندٍ تأخرت
أرزاقهم ، واختلت أحوالهم . فأمر بإعطائهم رزق ثمانية أشهر .

وكتب أحمد بن يوسف الى المأمون يذكره بمن على بابيه من الوفود فقال :
إن داعي نداءك ، ومنادي جدواك ، جمعاً ببابك الوفود ، يرجون نائلك العتيد ، فمنهم
من يمت بحُرمة ، ومنهم من يدلي بخدمة ، وقد أجحف بهم المقام ، وطالت عليهم
الأيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشهم بسبيبه ، ويحتوش ظنونهم بطوله فعل .
فوقع المأمون في كتابه : أخير متبع ، وأبواب الملوك مواطنٌ لذوى الحاجات ،

(١) في الأصل : «إليه» ؛ والسياف يقتضی ما أنبأنا .

(٢) يدلي : يتوصل . (٣) السيب : العطاء .

فأحص أسماءهم ، وآجل موائنتهم^(١) ، ليصير الى كل أمرئ منهم قدر استحقاقه ،
ولا تكدر معروفًا بالمطل والحجاب ، فإن الأول يقول :

فإنك لن ترى طردًا لحسّر * كإلصاق به طرف الهوان
ولم يجلب مودة ذى وفاء * كمثلي البذل أو بسط اللسان .

وكتب محمد^(٢) إلى يحيى بن هرمة^(٣) — وكان عامله على أصفهان ، وقد تظلم منه
أهلها — : يا يحيى^(٤) ، قد كثر شاكوك ، وقل شاكروك ، فإما عدلت ، وإما
اعتزلت .

وكتب أبو بكر الخوارزمي جوابًا عن هدية : وصات التحفة ، ولم يكن لها
عيب إلا أن باذلها مسرف في البر ، وقابلها مقتصد في الشكر ، والسرف مذموم^(٥)
إلا في المجد ، والاقتصاد محمود إلا في الشكر والحمد .

وكتب ملك الروم إلى المعتصم يتوعده ويتهدده ، فأمر الكتاب أن يكتبوا جوابه ،
فكتبوا فلم يعجبه مما كتبوا شيء ، فقال لبعضهم : أكتب : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،

(١) يريد بهذه العبارة أمره بأن يوضح ما فرض في الديوان لكل واحد منهم ، ويبين ما يستحقه
من العطاء .

(٢) كذا ورد هذا الاسم في الأصل ؛ ولم يرد بعده من الكنى ما يعينه ؛ والذي في المصادر التي بين
أيدينا أن هذا التوقيع لجعفر بن يحيى البرمكي إلى بعض عماله انظر شرح القاموس مادة « وقع » والعقد
الفريد ج ٢ ص ٢٣٢ طبع بولاق ووفيات الأعيان ترجمة جعفر بن يحيى والوفاء بالوفيات للصفدي
المحفوظ منه نسخة مأخوذة بالنصوير الشمسي بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩ تاريخ .

(٣) كذا في الأصل ؛ ولم نقف على هذا الاسم فيمن تولى عمل أصفهان ؛ ولعل صوابه : « هرمة » .

(٤) في الكتب التي بين أيدينا : « يا هذا » .

(٥) في الأصل : « يأذن لها » ؛ وهو تحريف .

أما بعد ، فقد قرأتُ كتابك ، وفهمتُ خطابك ، والجوابُ ما ترى لا ما تسمع ،
 « وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ » .

ومن كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الحمداني -
 قيل : ذَكَرَ الحمداني في مجلس أبي الحسين بن فارس فقال ما معناه : إن البديع
 قد نسيَ حقَّ تعليمنا إياه ، وعَقَّنَا وشمخَ بأنفه عنا ، فالحمد لله على فساد الزمان ،
 وتغيُّرِ نوعِ الإنسان ، فبلغ ذلك البديع ، فكتب الى أبي الحسين :
 نعم أطل الله بقاء الشيخ الإمام ، إنه الحمأ المسنون ، وإن ظنَّت الظنون ؛
 والناس لآدم ، وإن كان العهد قد تقادم ، وأرتبكت الأضداد ، واختلط الميлад ؛
 والشيخ يقول : فسَدَ الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحا ؟ أفي الدولة العباسية وقد
 رأينا آخرها وسمعنا أولها ، أم المدة المروانية وفي أخبارها « لا تكسع الشول بأغبارها » ؛
 أم السنين الحربية^(٥)

(١) الكافر بالإفراد : قراءة الحرمين وأبي عمرو كما سبق بيان ذلك في ص ١٠ ت ١ من
 هذا الجزء .

(٢) كذا في يتيمة الدهرج ٤ ص ١٧٨ طبع دمشق وغيرها من المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة ؛
 والذي في الأصل : « أنا » والحمأ : الطين الأسود . والمسنون : المتغير المنق .

(٣) عبارة الأصل : « وتركيب الأصفاد » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى ، والتصويب عن يتيمة الدهر .
 (٤) تكسع ، من الكسع وهو ترك بقية من اللبن في خلف الناقة يراد بذلك تغزيرها ، وهو أشد لها .
 والشول من النوق : ما مضى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فقل لبنها وخف ضرعها ، واحده شائل .
 والأغبار : جمع غبر بالضم ، وهو بقية اللبن ؛ وهذا صدر بيت للحارث بن حلزة ، وتمامه : « إنك لا تدري
 من الناتج » قال في اللسان مادة « كسع » في تفسير هذا البيت : يقول : « لا تغزر إبلك تطلب بذلك قوة
 نسلها ، وأحلبها لأضيافك ، فاعل عدوا يغير عليها فيكون نتاجها له دونك » . ولعل الكاتب أشار بهذا الى
 بنجل بني مروان وقلة الخير في أيامهم .

(٥) الحربية : نسبة إلى حرب بن أمية بن عبد شمس ، يريد بذلك خلافة معاوية ويزيد أبنه .

والسيفُ يعملُ في الطلّي ^(١) * والرمحُ يركزُ في الكلي ^(٢)
ومبيتُ حجرٍ في الفلا ^(٣) * والحترتات ^(٤) وكربلا ^(٥)

أم البيعة الهاشمية [وعلى يقول : ليت] ^(٦) العشرة [منكم] براس ، من بني فراس ؛
أم الأيام الأموية والتفير ^(٧) إلى الججاز ، [والعيون إلى الأعجاز] ^(٨) ، أم الإمارة العدوية ^(٩)
وصاحبها يقول : هلموا إلى النزول ^(١٠) ، أم الخلافة التيمية وهو يقول : طوبى لمن ^(١١)

(١) في كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان ص ٤١٥ طبع بيروت : « يغمد » .
والطلّي : الأعناق . واحده طلية بضم الطاء .

(٢) هو حجر بن عدى الكندي من أهل العراق ، وقد قتله معاوية بن أبي سفيان في سنة
إحدى وخمسين لإظهاره التشيع إلى علي ولعنه معاوية وأصحابه . والبراءة منهم ، وكان يجتمع عليه كل
من وافقه في هذا الرأي من أهل المصريين ، حتى ولى زياد على العراق فكتب إلى معاوية في أمر حجر
وأكثر ، فأمر معاوية زيادا أن يبعث به إليه مشدودا بالحديد ففعل ، فلما قدم عليه أمر به معاوية فضربت
عنقه ، وكان حجر من أشرف العراق وخياره . انظر تاريخ الطبري في حوادث سنة إحدى وخمسين .

(٣) كذا في يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٧٩ طبع دمشق وغيرها من المصادر التي بين أيدينا كذا
الرسالة ، وبه يستقيم الوزن ؛ وفي الأصل : « والحسين » . وأشار بهذا إلى وقعة الحرة التي كانت بين
جنود يزيد بن معاوية وأهل المدينة سنة ثلاث وستين . وكانت هذه الوقعة في حرة واقم وهي شرق المدينة
وقد قتل فيها من أهل المدينة خلق كثير . انظر تفصيل ذلك في كتب التاريخ .

(٤) كربلاء : موضع في طرف البرية عند الكوفة ، وهو الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله
عنهما في خلافة يزيد بن معاوية .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٧٩

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر . (٧) يريد خلافة عثمان بن

عفان رضي الله عنه لأن أمية رهطه . (٨) يريد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ؛

والعدوية نسبة إلى عدى بن كعب بن لؤي ، وهم رهط عمر . (٩) كذا في الأصل ؛ والذي في يتيمة

الدهر وكشف المعاني والبيان : « وهل بعد النزول إلا النزول » ؛ والنزول : تشقق ناب البعير ،

وذلك في السنة التاسعة ؛ يريد بهذه العبارة : وهل بعد الوصول إلى الغاية إلا الأخذ في التقصان .

(١٠) يريد خلافة أبي بكر رضي الله عنه ؛ والتيمية : نسبة إلى تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، وهم

رهط أبي بكر . (١١) كذا في الأصل ؛ والذي في يتيمة : « وصاحبها » .

مات في نأناة الإسلام؛ [أم]^(٢) على عهد الرسالة ويوم أفتح قيل : أسكني يا فلانة،^(٣)

فقد ذهبَت الأمانة ؛ أم في اِباهلية وليد يقول :

* [وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَحَلْدِ الْأَجْرِبِ ^(٤) *]^(٥)

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول [:

بِلَادُهَا كَمَا وَكُنَّا نَحْبِبُهَا * إِذْ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ زَمَانٌ

٥

أم قبل ذلك ويروى لآدم عليه السلام :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا * فَوَجَّهُ الْأَرْضَ مَغْبَرًا قَبِيحًا

أم قبل ذلك والملائكة تقول لبارئها : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

الدَّمَاءَ ﴾ ما فسد الناس ، ولكن أطرده القياس ؛ ولا أظلمت الأيام ، إنما أمتد

الإظلام ؛ وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح ؛ ويمسى المرء إلا عن صباح ؟

١٠

ولعمري إن كان كرم العهد كتابا يرد ، وجوابا يصدر ، إنه لقريب المنال ، وإني على

توحيجه لى لفقيرو إلى لقائه ، شفيق على بقائه ، منتسب إلى ولائه ، شاكر لآلائه .

وكتب بديع الزمان يستعطفه : إني خدمت مولاي ، والخدمة رقي بغير إشهاد ،

وناصحته ، والمناصحة للود أوثق عماد ؛ ونادمته ، والمنادمة رضاع ثان ؛ وطاعته ،

والمطاعمة [نسب]^(٦) دان ، وسافرت معه ، والسفر والأخوة رضيعا لبان ، وقمت بين

١٥

(١) وردت هذه العبارة في اللسان والأساس هكذا : « طوبى لمن مات في النأنة » ؛ والنأنة :

أول الإسلام ؛ قال الزمخشري : ومعناها الضعف قبل أن يقوى ويعز .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها ؛ انظر رسائل بديع الزمان .

(٣) في المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة : « اسكني » بالناء .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر .

٢٠

(٥) الخلف بفتح الخاء وسكون اللام : الأرداء الأخساء ؛ وصدر البيت : « ذهب الذين يعاش

في أكنافهم » . (٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها ؛ انظر كشف المعاني

والبيان عن رسائل بديع الزمان ص ٣٠٣ طبع بيروت .

يديه ، والقيام والصلاة شريكاً عِناناً ^(١) ، وأُثْنِيَتْ عليه ، والثناءُ عند الله بمكان ، وأَخْلَصْتُ له ، والإخلاصُ مشكورٌ بكلِّ لسان .

ومن كلام أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد — وكان وزيراً كاتباً — كتب عن ركن الدولة بن بويه كتاباً لمن عصى عليه :

كُتِبَ وَأَنَا مَتَرَجِّحٌ بَيْنَ طَمَعٍ فِيكَ ، وَإِيَّاسٍ مِنْكَ ، وَإِقْبَالٍ عَلَيْكَ ، وَإِعْرَاضٍ عَنْكَ ^(٢) ، فَإِنَّكَ تُدَلِّي بِسَابِقِ خِدْمَةٍ ، وَتَمُتُّ بِسَالِفِ حُرْمَةٍ ، أَيْسَرُهَا يُوجِبُ رِعَايَةَ ، وَيَقْتَضِي مَحَافَظَةً وَعِنَايَةً ، ثُمَّ تَشْفَعُهُمَا بِجَادِثِ غُلُولٍ وَخِيَانَةٍ ، وَتُتْبِعُهُمَا بِآزِفٍ خِلَافٍ وَمَعْصِيَةٍ ، وَأَدْنَى ذَلِكَ يُحِيطُ أَعْمَالُكَ ، وَيَحَقُّ كُلُّ مَا يُرْعَى لَكَ ، لَا جَرَمَ أَنَّي وَقَفْتُ بَيْنَ مِيلٍ إِلَيْكَ ، وَمِيلٍ عَلَيْكَ ، أَقْدَمَ رِجَالٍ لِصَمْدِكَ ^(٣) ، [وَأَوْخَرَ] ^(٤) أُخْرَى عَنْ قَصْدِكَ ، وَأَبْسَطَ يَدَا لَأَصْطِلَامِكَ وَاجْتِيَا حِكَ ، وَأَثْنِي ثَانِيَةً ^(٥) نَحْوَ اسْتَبْقَائِكَ وَاسْتِصْلَاحِكَ ، وَأَتَوَقَّفُ عَنْ أَمْتِثَالِ بَعْضِ الْمَأْمُورِ فِيكَ ضَنْناً بِالنِّعْمَةِ عِنْدَكَ ، وَمُنَافَسَةً فِي الصَّنِيعَةِ لَدَيْكَ ، وَتَأْمِيلاً [لَقِيئَتِكَ] ^(٦) وَأَنْصِرَافِكَ ، وَرَجَاءً لِمَرَا جَعَتِكَ وَانْعِطَافِكَ ، فَقَدْ يَعْزُبُ الْعَقْلُ ثُمَّ يَأْوِبُ ، وَيَغْرُبُ اللَّبُّ ثُمَّ يَثُوبُ ، وَيَذْهَبُ الْعِزْمُ ثُمَّ يَعُودُ ، وَيَفْسُدُ الْحَزْمُ ثُمَّ يَصْلُحُ ، وَيَضَاعُ الرَّأْيُ ثُمَّ يَسْتَدْرِكُ ، وَيَسْكُرُ الْمَرْءُ ثُمَّ يَصْحُو ، وَيَكْدُرُ الْمَاءُ ثُمَّ يَصْفُو ، وَكُلُّ ضَيْقَةٍ فَإِلَى رَخَاءٍ ، وَكُلُّ غَمْرَةٍ فَإِلَى أَنْجَلَاءٍ ، وَكَمَا أَنَّكَ أَتَيْتَ مِنْ إِسَاءَتِكَ مَا لَمْ تَحْتَسِبْهُ أَوْلِيَاءُوكَ ، فَلَا تَدَّعُ أَنْ تَأْتِيَ مِنْ إِحْسَانِكَ مَا لَمْ تَرْتَقِبْهُ أَعْدَاؤُكَ ، وَكَمَا

(١) يقال : بينهما شركة عنان ، إذا اشتركا على السواء ، لأن العنان طاقان مستويان .

(٢) في الأصل : « عليك » ؛ وهو تحريف .

(٣) في يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٠ طبع دمشق : « لصدك » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن يتيمة الدهر .

(٥) في يتيمة الدهر : « لاستبقائك » .

(٦) في اليتيمة : « فلا بدع » بالباء الموحدة ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

استمرت بك الغفلة حتى رَكِبْتَ ما رَكِبْتَ ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنبّه
انتباهةً تبصر فيها قبيح ما صنعت ، وسوء ما آثرت ، وسأقيم على رسمى في الإبقاء
والمساطلة ما صلح ، وعلى الآستيناء والمطاولة ما أمكن ، طمعا في إنابتك ، وتحكما^(١)
لحسن الظن بك ، فليست أعدم فيا أظاهره من إعدارك ، وأرادفه من إنذارك ،
احتجاجا عليك ، وأستدراجا لك ، وإن يشاء الله يُرشدك ، ويأخذ بك الى حظك
ويسدّدك ، فإنه على كلّ شيء قدير .

وفي فصل منه : وزعمت أنك في طَرْفٍ من الطاعة بعد أن كنت متوسطها ،
وإن كنت كذلك فقد عرفت حالتها ، وحلبت شطريها ، فناشدتك الله لما صدقت
عما أسألك : كيف وجدت ما زلت عنه ، وتجد ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الأول
في ظلّ ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليل ، وهواء ندى ، وماء روى ، ومهاد وطي ،
وكنّ كنين ، ومكان مكين ، وحصن حصين ، يقيك المتألف ، ويؤمنك المخاوف ،
ويكنفك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحداث ، عززت به بعد الذلة ،
وكثرت بعد القلة ، وارتفعت بعد الضعة ، وأيسرت بعد العسر ، وأثريت بعد المترّبة ،
وأنسعت بعد الضيق ، وأطافت بك الولايات ، وخفقت فوقك الرايات ، ووطئ
عقبك الرجال ، وتعلقت بك الآمال ، وصرت تكاثرو ويكاثر بك ، وتشير ويشار اليك ،

(١) في الأصل : "وتحكيمك بحسن" والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : "غدى" بالغين المعجمة ؛ وفي يتيمة الدهر "عدى" ؛ وهو تحريف في كليهما ؛

وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في الأصل : "ويؤملك" باللام ، وهو تحريف .

(٤) في الأصل : "رمت" وهو تحريف .

(٥) في يتيمة الدهر ج ٣ ص ١١ طبع دمشق : "وظفرت بالولايات" ؛ والمعنى يستقيم على كلنا

ويذكر على المنابر اسمك ، وفي المحاضر ذكرك ؛ فقيم أنت الآن من الأمر ؟ وما العوض مما ذكرت وعددت ، والخلف عما وصفت ؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونفصت منها كفك ، وغمست في خلافها يدك ؟ وما الذي أظلك بعد انحسار ظلها عنك ؟ أظل ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ؟ قل : نعم ، فذاك والله أكنف ظلالك في العاجلة ، وأروحها في الآجلة ؛ إن أقمت على المحادة والعنود^(١) ، ووقفت على المشاقة والجحود .

ومنه : تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كلامي فستنكرها^(٢) ، والميس جسدك فانظر هل يحس ، وأجسس عرقك هل ينبض ، وقش ما حنى عليه أضلاعك هل تجد في عرضها قلبك ؟ وهل حلا بصدرك أن تظفر بفوت مريح^(٣) أو موت مريح ؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده ، وآخر شأنك بأوله .

وكتب الصاحب أبو القاسم كافي الكفاة في وصف كتاب : ومن هو الذي لا يحبّه وهو علم الفضل ، وواسطة الدهر ، وقرارة الأدب والعلم ، وجمع الدراية والفهم ؛ أتمن يرغب عن مكاثرة بمن^(٤) ينسب الربيع إلى خلقه ، ويكتسب محاسنه من طبعه ، ويتوشح بأنواره ، ويتوضّع بآثار لسانه ويده ؟ وصل كتابه ، فارتحت لعنوانه قبل عيانه ، حتى إذا فضضت ختامه أقبلت الفقر تتكاثر ، والدرر تتناثر ؛ والغرر تثرأ كم ، والنكت تتزاحم ؛ فإذا حكمت للفظه بالسابق أنت أختها تنافس^(٥) ،

(١) العنود : من عند عن الطريق إذا مال .

(٢) كذا في البيعة ؛ والذي ، في الأصل : " مستكرها " .

(٣) كذا في الأصل ؛ والذي في يتيمة الدهر : « سريح » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين

والسريح : السريع المعجل . والمزيج : من الإزاحة ، وهي الإبعاد .

(٤) هذه الباء ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها . (٥) لعله : « تنافر » ؛ إذ به

يتم السجع الذي توخاه الكاتب في أكثر رسالته ؛ والتنافر ، التناكم في الفخر .

- وأقبلتُ لديها لتفاخر بها حتى استعفيتُ من الحكومة، ونفصتُ يدي من غبار
الخصومة؛ وأخذتُ أقول : كلكتن صَوَادِرُ عن أصلٍ واحدٍ فتسالمن ، وأرفادُ عن
معدن رافدٍ فتصالحن ، وقد وليتُ النظرَ بينهما من كلِّ لِنَسَجٍ بُرودِهِما ، ووفى بنظمِ
عُقودِهِما ؛ على أنى يامولاي أنشأتُ هذه الأحرفَ وحولى أعمالٌ وأشغالٌ لا يسلم
معهما فكرٌ ، ولا يسلم بينهما طبعٌ ، وتناولتُ قلما كالابنِ العاق ، بل العدو المُشاق ؛
إذا أردته استقال ، وإذا قومته مال ؛ وإذا حثثته وقف ، وإذا وقفته انحرف ؛ أحدل^(٢)
الشَّقَّ ؛ متفاوتِ البري ، معدومِ الجري ؛ محرفِ القَطِّ ، مشبجِ الخطِّ ؛ ثم رأيتُ
العدول عنه ضربا من الانقياد لأمره ، والانخراط في سلكه ، بجهدته على رَغْمِهِ ،
وكدده على صَعْرِهِ ؛ لا جرمَ أن جنابة اللجاج بادية على صفحات الحروف لا تخفى ،
وعادية المحك لائحة على وجوه السطور تتجلى .

- وكتب : والله يعلم أنى أخبرتُ بورود كتابه واستفزني الفرح قبل رؤيته ،
وهز عظمي المرح أمام مشاهدته ؛ فما أدري ، أسمعتُ بورود كتاب ، أم ظفرتُ
برجوع شباب ؟ ثم وصل بعد انتظار له شديد ، وتطلع الى وصوله طويل عريض ؛
فتأملته فلم أدر ما تأملت ، أخطا مسطورا ، أم روضا ممطورا ، أم كلاما منشورا ،
أم وشيا منشورا ؟ ولم أدر ما أبصرتُ في أثائه ، أبيات شعر ، أم عقود دُر ؟ ولم أدر
ما جُمأته ، أغيث حل يواذي ظمآن ، أم غوث سبق إلى لهفان ؟

وكتب : وصل كتاب القاضى فأعظمتُ قدرَ النعمة في مَطْلَعِهِ ، وأجللتُ محلَّ
الموهبة بموقعه ؛ وفضضته عن السحر حلالا ، والماء زلالا ؛ وسرحتُ الطرف منه

(١) فى الأصل : «وارد» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) الأحدل : المائل .

(٣) المشبج : المعنى الخفى . (٤) المحك : التماذى فى اللجاج والغضب .

في رياض رقت حواشيها ، وحلّل تأنق واشيها ، فلم أتجاوز فصلا ^(١) إلا إلى أخطر منه
فضلا ، ولم أخط سطرًا إلا إلى أحسن منه نظماً ونثراً . ^(٢)

وكتب أيضا : وصل كتابك فجعلت وصوله عيداً أفرّخ به أيام بهجتي ، وأفتيح
به مواقيت غبطني ، وعرفت من خبر سلامتك ما سألت الله الكريم أن يصله
بالدوام ، ويرفعه على أيدي الأيام .

وكتب أيضا : وصل كتابه — أيده الله — يضحك عن أخلاقه الأرجة ،
ويتملّل عن عشرته العطرة ، ويخبر عن عافية الله لمن رأيت شمل الحرّية به متظماً ،
وشعب المروءة له ملتماً ، ويحمل من أنواع برّه ما أقصر عن ذكره ، ولا أطمع
في شكره ، ويؤدّي من لطيف اعتذاره في أثناء عتيه ، ما تزداد أسباب المودة تمهيداً
به ، وفهمته ، ورغبت إلى الله بأخلص طوية ، وأمحض نية ^(٣) .

وقال أبو الفرج البغاء من رسالة إلى عدّة الدولة أبي تغلب جاء منها : أصحّ
دلائل الإقبال ، وأصدق براهين السعادة — أطال الله بقاء سيّدنا — ما شهدت
العقول بصحّته ، ونطقت البصائر بحقيقته ، ونعمة الله على الدنيا والدين بما أولاهما
من اختيار سيّدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسرّهما بطلّ عدله ، مفصّحة بتكامل
الإقبال ، مبشرة بتصديق الآمال

محروسة ضمن الشكر الوفي لها * على الزيادة نيل السؤل والدرك

(١) في الأصل : « أخصر » بالصاد ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « ولم أخط » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد : « إلا إلى » .

(٣) في الأصل : « عما » ؛ وسياق العبارة يقتضي ما أثبتنا .

(٤) إلى هنا وردت هذه الرسالة في الأصل ؛ والكلام بفيه سقطت من النسخ ، ولم نقف عليه فيما
بين أيدينا من المظان .

تَحَقَّقَ الْعَصْرُ أَنَّ الْمُلْكَ مِنْذُ نَشَأَ * لَهُ أَبُو تَغْلِبَ اسْمٌ غَيْرُ مُشْتَرَكٍ

وَاسْتَخْلَفَ الْفَلَكَ الدَّوَّارُ هِمَّتَهُ * فَلَوْوَنِي أَغْنَتْ الدُّنْيَا عَنِ الْفَلَكَ

مَأْمُونُ الْهَفُوتَاتِ ، مَتَنَاصِرُ الصِّفَاتِ ؛ رِبْعِيٌّ^(٢) النَّفَاسَةِ ، حَمْدَانِي السِّيَاسَةِ ،
نَاصِرِي الرِّيَاسَةِ ؛ عُطَارِدِي الذِّكَا ، مُوَفِّقُ الْآرَاءِ ؛ شَمْسِي التَّأْثِيرِ ، قَمَرِي التَّصْوِيرِ ،
فَلَكَ التَّدْبِيرِ ؛ لِلصَّدَقِ كَلَامُهُ ، وَلِلْعَدْلِ أَحْكَامُهُ ، وَلِلْوَفَاءِ ذِمَامُهُ ، وَلِلْحَسَامِ غَنَائُوهُ ،
وَلِلْقَدْرِ مَضَائُوهُ ، وَلِلسَّحَابِ عَطَائُوهُ

دَعْوَتُهُ فَأَجَابَتْنِي مَكَارِمُهُ * وَلَوْ دَعَوْتُ سِوَى نِعْمَاهُ لَمْ تُجِبْ

وَجَدْتُهُ الْغَيْثَ مَشْغُوفًا بِعَادَتِهِ * وَالرَّوْضَ يَحْيَا بِمَا فِي عَادَةِ السَّحْبِ^(٣)

أَوْفَاتِهِ النَّسَبُ الْوَضَّاحُ كَانَ لَهُ * مِنْ فَضْلِهِ نَسَبٌ يُغْنِي عَنِ النَّسَبِ

إِذَا دَعَتْهُ مَلُوكُ الْأَرْضِ سَيِّدَهَا : طَرَا دَعْتُهُ الْمَعَالَى سَيِّدَ الْعَرَبِ .

وَكُتِبَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ الْقَاسِمِ الْقَاشَانِيُّ :

مَا أَرْتَضِي نَفْسِي لِمَخَاطَبَةِ مَوْلَايَ إِذَا كُنْتُ مُنْفَى الشَّوَاغِلِ ، فَارَغَ الْخَوَاطِرِ ،
تَحْلَى الْجَوَارِحِ ، مُطْلَقَ الْإِسَارِ ، سَلِيمَ الْأَفْكَارِ ، فَكَيْفَ مَعَ كَلَالِ الْحِدَّةِ ، وَانْغِلَاقِ
الْفَهْمِ ، وَاسْتِبْهَامِ الْقَرِيحَةِ ، وَاسْتَعْجَامِ الطَّبِيعَةِ ؛ وَالْمَعْوَلُ عَلَى النِّيَّةِ ، وَهِيَ لِمَوْلَايَ
بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَكْشُوفَةٌ ، وَالْمَرْجِعُ إِلَى الْعَقِيدَةِ ، وَهِيَ بِالْوَلَاءِ الْمَحْضِ مَعْرُوفَةٌ ؛ وَلَا مَجَالَ
لِلْعُتْبِ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، لِلْعُذْرِ وَرَاءَ هَذِهِ الْخِلَالِ .

(١) يقال : تناصرت الصفات ، إذا صدق بعضها بعضا .

(٢) الرباعي : نسبة إلى الربيع على غير قياس .

(٣) عبارة الأصل : « مشغونا بغادية » ؛ وجوب تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب عن يتيمة

الدهرج ١ ص ١٨٧ طبع دمشق .

(٤) كذا في الأصل . والذي في يتيمة الدهرج ٢ ص ١٠١ طبع دمشق : « أبو القاسم » .

وقال محمد بن العباس الخوارزمي : الحمد لله الذي جعل الشيخ يضرب
في المحاسن بالقدح المَعْلَى ، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى ، ولم يجعل فيه موضعا
لِلَوْلَا ، ولا مجالا لِآلَا ، فإن الاستثناء إذا اعترض في المدح أنصب مأوذه ، وكدر
صفاءه ، وأنطلق فيه حساده وأعداؤه ، ولذلك قالوا : ما أحسن الظبي لولا خذس^(١)
أنفه ! وما أحسن البدر لولا كلف وجهه ! وما أطيب الخمر لولا الخمار ! وما أشرف
الجود لولا الإقتار ! وما أحمد مغبة الصبر لولا فناء العمر ! وما أطيب الدنيا
لو دامت

ما أعلم الناس أن الجود مكسبة * للحمد لكنه يأتي على النسيب .

١٠٣

ذكر شيء من رسائل فضلاء المغاربة ووزرائهم وكتابهم

ممن ذكرهم ابن بسام في كتابه المترجم بالذخيرة

في محاسن أهل الجزيرة

منهم ذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون ، فمن كلامه رسالة كتبها على لسان
محبوبته ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري إلى إنسان استمالها إلى نفسه
عنه ، وهي :

أما بعد ، أيها المصاب بعقليه ، المورط بجهله ، البين سقطة ، الفاحش غلظه ،
العائر في ذيل اغتراره ، الأعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب على الشراب ،
المتهافت^(٢) تهافت الفراش في الشهاب ، فإن العجب أكذب ، ومعرفة المرء نفسه
أصوب ، وإنك راسلتني مستهديا من صلاتي ما صفرت منه أيدي أمثالك ، متصديا من

(١) الحنس بفتح الحاء والنون : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة .

(٢) كذا في سرح العيون ص ١١ طبع بولاق ، وفي الأصل : « إلى » ، والتهافت : التساقط .

خُلِّيَ لِمَا قُرِعَتْ فِيهِ أَنْوْفُ أَشْكَالِكَ ؛ مَرِيلاً خَلِيلَتِكَ مُرْتَادَةً ، مُسْتَعْمِلاً عَشِيقَتِكَ
 قَوَادَةً ؛ كَاذِباً نَفْسَكَ [أَنْكَ] سَتَنَزِلُ عَنْهَا إِلَى ، وَتَخَافُ بَعْدَهَا عَلَى^(٢)
 وَلَسْتُ بِأَقْوَى ذِي هِمَّةٍ * دَعْتَهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ^(٣)

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهَا قَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَضَنْ بِكَ ، وَمَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَغْرُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّهَا أَعْذَرْتُ
 فِي السَّفَارَةِ لَكَ ، وَمَا قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ ؛ زَاعِمَةً أَنَّ الْمَرْوَةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ ،
 وَالْإِنْسَانِيَّةَ أَسْمٌ أَنْتَ جَسْمُهُ وَهَيُولَاهُ ؛ قَاطِعَةً أَنَّكَ أَنْفَرَدْتَ بِالْجَمَالِ ، وَأَسْتَأْثَرْتَ
 بِالْكَمَالِ ، وَأَسْتَعْلَيْتَ فِي مَرَاتِبِ الْجَلَالِ ، وَأَسْتَوَلَيْتَ عَلَى مُحَاسِنِ الْخِلَالِ ؛ حَتَّى
 خَيَّلْتُ أَنَّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَاسَنَكَ فَغَضَضْتَ مِنْهُ ، وَأَنَّ أَمْرَأَةَ الْعَزِيزِ
 رَأَتْكَ فَسَلَّتْ عَنْهُ ؛ وَأَنَّ قَارُونَ أَصَابَ بَعْضَ مَا كَثَرَتْ ، وَالنَّطْفُ^(٤) عَثَرَ عَلَى فَضْلِ^(٥)

- (١) فِي بَعْضِ نَسَخِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ : « دُونَهُ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كِلَا الرَّوَايَتَيْنِ .
 (٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا عَنْ سِرْحِ الْعَيُونِ فِي شَرْحِ رِسَالَةِ ابْنِ زَيْدُونَ لِابْنِ نَبَاتَةَ
 الْمَصْرِيِّ ص ١٤ طَبْعُ بُولَاق .

(٣) الْبَيْتُ لِلنَّبِيِّ

- (٤) وَرَدَتْ هَذِهِ الْفَقْرَةُ فِي الْأَصْلِ قَبْلَ قَوْلِهِ : « قَاطِعَةً » الْخ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي تَأْخِيرَهَا كَمَا فِي سِرْحِ
 الْعَيُونِ ص ٢١

- (٥) النَّطْفُ : هُوَ ابْنُ جَبْرِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْيَرْبُوعِيِّ ؛ وَكَانَ مَقِيماً بِالْبَادِيَةِ مَعَ بَنِي تَمِيمٍ ؛ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ
 عَامِلُ كَسْرَى عَلَى الْيَمَنِ كَانَ يَحْمِلُ ثِيَاباً مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ وَذَهَباً وَمِسْكَ وَجَوْهَراً ، وَيُرْسِلُهُ إِلَى كَسْرَى مَعَ خَفَرَاءَ
 مِنْ بَنِي الْجَعْدِ الْمَرَاذِبَةِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى أَرْضِ بَنِي تَمِيمٍ ، فَيَبِيعُ مَعَهَا هُوْذَةً مِنْ يَجَاوِزُهَا أَرْضُ بَنِي تَمِيمٍ ، فَلَمَّا
 كَانَتْ فِي بَعْضِ السَّنِينَ فِي أَرْضِ بَنِي حَنْظَلَةَ تَعَرَّضَ لَهَا بَنُو يَرْبُوعٍ فَأَغَارُوا عَلَيْهَا وَقَتَلُوا مِنْ بَيْهَا مِنَ الْعَرَبِ
 وَالْفَرَسِ ، وَكَانَ فِيْمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ نَاجِيَةُ بْنُ عَقَالٍ وَالْحَرِثُ بْنُ عَقْبَةَ وَالنَّطْفُ بْنُ جَبْرِ هَذَا ، وَكَانُوا فَرَسَانِ
 بَنِي تَمِيمٍ ، فَهَبُوا الْأَمْوَالَ فَخَصَلَ النَّطْفُ عَلَى شَيْءٍ كَثِيرٍ ، فَضَرَبَ بِهِ الْمَثَلَ . انْظُرْ سِرْحِ الْعَيُونِ ص ٢٥ طَبْعُ
 الْمَطْبَعَةِ الْأَمِيرِيَّةِ . وَالَّذِي فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ « نَطْفُ » نَقْلًا عَنْ ابْنِ بَرِّي أَنَّهُ ابْنُ الْخَيْبَرِيِّ أَحَدُ بَنِي سَلِيطِ
 ابْنِ الْحَرِثِ بْنِ يَرْبُوعٍ ؛ وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ دَرِيدٍ أَيْضًا أَنَّ اسْمَهُ حِطَانُ .

ما ركزت^(١)؛ وكسرى حمل غاشيتك^(٢)، وقيصر رعى ماشيتك^(٣)؛ والإسكندر قتل دارا^(٤)
في طاعتك^(٥)، وأردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك^(٦)؛ والضحاك^(٧)
أستدعى مسالمتك^(٨)، وجذيمة الأبرش^(٩) تمنى منادمتك^(١٠)؛ وشيرين^(١١) نافست بوران^(١٢) فيك^(١٣)؛

(١) هو من الركاز، وهو دفين مال الجاهلية .

(٢) أراد غاشية السرج، وهي غطاؤه .

(٣) هو دارا الأصغر ابن دارا الأكبر ابن أردشير ملك الفرس؛ وكان بينه وبين الإسكندر بن فيليب ملك الروم حرب بسبب إتاوة كانت يدفعها أبو الإسكندر للملوك الفرس، فلما جاء الإسكندر منع هذه الإتاوة، فخاربه دارا، والتقى الجمعان بنصيبين الجزيرة، وانهزم الفرس، وانظر شرح العيون وقد اعتمدنا عليه في أكثر شرحنا لما ورد في هذه الرسالة من الحوادث التاريخية والأبيات والأمثال .

(٤) أردشير : هو ابن بابك من ولد بهمن الملك؛ وأردشير هذا أول الفرس الثانية؛ وكان من أمره وأمر ملوك الطوائف أن الإسكندر لما قتل دارا آخر ملوك الفرس، وفرق من بقى منهم، وسماهم ملوك الطوائف صارت المملكة لليونان، فلما توفي الإسكندر وتناصر ملك اليونان بعد مدة تحرك أردشير - وكان أحد أبناء ملوك الطوائف على اصطخر -، وخرج طالبا للملك، وأوهم أنه يطلب بثأر ابن عمه دارا، وجمع الجموع، وكاتب ملوك الطوائف في ذلك، فنهزم من أطاعه ومنهم من تأخر عنه، فخرج بعساكره فقتل المتأخر، ثم عطف على بقيتهم فقتلهم، وتسمى بعد ذلك شاهنشاه الأعظم، ومعناه : ملك الملوك .

(٥) الضحاك : يزعم قوم أنه ابن الأهبوب بن عوج بن طهمورث بن آدم، وهو ابن أخت جمشيد بن أوشهنج . وقال قوم إنه من العرب من قحطان، واليمانية تدعيه . وملك بعد جمشيد، فطغى وتجبّر وكثر ظلمه وفساده، وطالت مدته في الملك حتى قتل .

(٦) هو جذيمة بن مالك بن عامر التنوخي، وقيل : الأزدي، أول من قاد العرب وملك على قضاة وكانت منازل الحيرة والأنبار، وكان أبرص، فعدل عن هذا الاسم، فقيل : الأبرش بالشين المعجمة، والوضاح .

(٧) شيرين : هي زوجة أبرويز بن هرمز من ولد كسرى أنوشروان .

(٨) بوران : هي بنت أبرويز المتقدم . وقد ملكت بعد شهر يار بن أبرويز .

وَبَلْقَيْسٍ غَايِرَتِ الزَّيَّاءَ عَلَيْكَ ؛ وَأَنَّ مَالِكَ بْنَ نُؤَيْرَةَ إِنَّمَا رَدَفَ لَكَ ؛ وَعُورَةُ بْنُ جَعْفَرٍ
 إِنَّمَا رَحَلَ إِلَيْكَ ؛ وَكَلِيبُ بْنُ رَبِيعَةَ إِنَّمَا حَمَى الْمَرْعَى بِعِزَّتِكَ ؛ وَجَسَّاسًا إِنَّمَا قَتَلَهُ
 بِأَنْفَتِكَ ؛ وَمُهْلَهْلًا إِنَّمَا طَلَبَ نَأْرَهُ بِهَيْمَتِكَ ؛ وَالسَّمُوءَلُ إِنَّمَا وَفَى عَنْ عَهْدِكَ ،

(١) بلقيس : هي ابنة الحرث بن سبأ ، وقصتها في القرآن معروفة في سورة النمل .

(٢) الزباء ، هي ملكة الجزيرة ؛ وتعد من ملوك الطوائف ؛ ولقبت الزباء لكثرة شعرها وطوله ،
 واسمها : بارعة ، أو ميسون ؛ وهي ابنة عمرو بن الظرب . وقد قتله جذيمة الأبرش وأخذ ملكه وقامت
 هي بأخذ نأره . انظر القاموس وشرحه .

(٣) هو مالك بن نؤيرة بن شداد اليربوعي التميمي ، فارس ذي الخمار — وذو الخمار فرسه — وكان
 مالك من فرسان العرب وشجعانهم ، وذوى الردافة في الجاهلية ، وكانت الردافة لبني يربوع أيام آل
 المنذر ؛ وأدرك مالك بن نؤيرة الإسلام وأسلم ، وقتله خالد بن الوليد في حروب أهل الردة في زمن أبي بكر
 رضي الله تعالى عنه . وفي اللسان مادة ردف أن أرداف الملوك في الجاهلية : الذين كانوا يخلفونهم في القيام
 بأمر المملكة بمنزلة الوزراء في الإسلام .

(٤) هو عروة بن عتبة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة ، وأهل بيته ينتسبون إلى جعفر ، فيقال :
 الجعفريون ؛ وكان يعرف بمروءة الرجال لرحلته إلى الملوك ؛ وكان من ذوى العقل والشهامة ، وهو من
 أرداف الملوك .

(٥) هو كليب بن ربيعة بن الحارث الوائلي ؛ ويضرب به المثل فيقال : "أعز من حمى كليب"
 وكان يحكى مواقع السحاب فلا يرعاه أحد غيره ، وكان إذا مرّ بمرعى قذف فيه جروا فيعوى ، فلا يرعى أحد
 من ذلك الكلاب .

(٦) جساس : هو ابن مرّة بن ذهل ، وهو قاتل كليب ؛ وسبب ذلك أن كليبا رأى بين إبله ناقة
 كانت نخالة جساس فأنكرها ورماها بسهم في ضرعها ، فعظم ذلك على جساس وخالته ، فلم يزل جساس
 بكليب حتى قتله .

(٧) مهلهل : هو ابن ربيعة بن الحرث أخو كليب المتقدم ذكره ، ومهلهل لقبه ، واسمه عدى ،
 ولقب مهلهلا لأنه أول من هلهل نسج الشعر ، أى أرقه ؛ وهو خال امرئ القيس بن حجر .

(٨) السموءل : هو ابن عادياء من يهود يثرب ؛ وكان يضرب به المثل في الوفاء فيقال : «أوفى من

والأحنف^(١) إنما أحتبى في بُردك^(٢) ؛ وحاتم^(٣) إنما جاد بوفرك^(٤) ، ولقي الأضياف^(٥) ببشرِك^(٦) ؛
وزيد بن مهلهل^(٧) إنما ركب بفخذيك^(٨) ، والسليك^(٩) بن السلكة^(١٠) إنما عدا على رجليك^(١١) ،
وعامر بن مالك^(١٢) [إنما لاعب الأسنة^(١٣) بيديك^(١٤) ؛ وقيس بن زهير^(١٥)] إنما أستعان بدهائك^(١٦) ،
وإياس بن معاوية^(١٧) إنما استضاء بمصباح ذكائك^(١٨) ؛ وسحبان^(١٩) إنما تكلم بلسانك^(٢٠) ،

٥ (١) الأحنف : هو الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصن السعدى ، وكنيته : أبو بحر ؛ وكان يضرب به المثل فى الحلم والسيادة ؛ وكانت وفاته بالكوفة سنة سبع وستين كما فى وفيات الأعيان والذى فى شذور العقود لابن الجوزى أن وفاته كانت سنة تسع وستين .

(٢) هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى ، وكنيته أبو سفانة بتشديد الفاء ، وأبو عدى ؛ ويضرب به المثل فى الجود . (٣) هو زيد بن مهلهل بن زيدان الطائى ؛ وكان فارسا مظفرا بعيد الصيت ، أدرك الإسلام وأسلم ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وكان قبل ذلك يسمى زيد الخيل باللام ، وإنما سمي بذلك لكثرة خيله . (٤) السليك : هو ابن عمرو بن يثربى ، أحد بنى مقاعس ؛ والسلكة أمه ، وهو جاهلى ؛ وكان من صعاليك العرب ولصوصهم العدائين الذين كانوا لا يلحقون ولا تتعلق بهم الخيل .

١٥ (٥) هو عامر بن مالك بن جعفر من بنى صعصعة ، ويعرف بملاعب الأسنة ، ويكنى أبا براء ، وأمه أم البنين أنجب امرأة فى العرب ، وإنما لقب بملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :
يلعب أطراف الأسنة عامر * فراح له حظ الكتاب أجمع

(٦) هذه النكبة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن النسخ التى بين أيدينا لهذه الرسالة . وقيس بن زهير الذى ذكره : هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسى صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين : داحس والغبراء ، وكان فارسا شاعرا داهية ، يضرب به المثل فىقال : "أدهى من قيس" .

٢٠ (٧) فى الأصل : « بدهابك » بالذال والباء الموحدين ، وهو تحريف .

(٨) هو إياس بن معاوية بن قرّة المزنى ؛ ولى قضاء البصرة فى زمن عمر بن عبد العزيز ، وهو صاحب الفراسة والأجوبة البديعة ، ويضرب به المثل فىقال : « أركن من إياس » ؛ وتوفى فى سنة احدى وعشرين ومائة وهو ابن ست وتسعين سنة .

٢٥ (٩) هو سحبان بن زفر بن إياس الرائلى ، — وائل باهلة — وكان خطيبا مفصحا ، يضرب به المثل فى البيان واللسن ، أدرك الإسلام وأسلم ، ومات سنة أربع وخمسين .

(١) وعمر بن الأهتم إنما سحر ببيانك ؛ وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك ، والحمالات
 في دماء عبس وذبيان أسندت إلى كنفالتك ؛ وأن احتيال هريم لعامر وعلقمة حتى
 رضيا كان عن رأيك ؛ وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع بعد مشورتك ؛

(١) هو عمرو بن سنان الأهتم التيمي المنقري ، وإنما لقب أبوه بالأهتم لأنه هتمت شئته يوم
 الكلاب ؛ وكان عمرو هذا من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام ، وقد
 وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو والزبرقان بن بدر وأسلمها ؛ وتوفي عمرو في سنة سبع وخمسين .
 (٢) بكر وتغلب هما ابني وائل ؛ وأشار بهذه العبارة إلى ما وقع بين الحيين من الحروب المسماة بحرب
 البسوس ، وقد استمرت أعواما كثيرة إلى أن تفانى الحيان ، وسببها قتل جساس بن مرة لكليب كما سبق
 ذكره ، إلى أن راسلهم في الصلح بينهم الحارث بن عمرو بن معاوية الكندي ملك كندة ، وهو جد
 امرئ القيس الشاعر ، فذاكوه عليهم ففلا في بقيتهم .

(٣) الحمالات : جمع حمالة بفتح الحاء ، وهي ما يحملة الرجل عن القوم من دية أو غرامة . وأشار بهذه
 العبارة إلى ما وقع بين عبس وذبيان من الحروب الكثيرة بسبب داحس والغبراء ، وهما فرسان : أولهما لقيس
 ابن زهير من عبس ، والثاني لحذيفة بن بدر من ذبيان ؛ وذلك أن رجلين تراهنا على أي الفرسين أسبق ،
 فلها سبق داحس وهو فرس قيس بن زهير أخذ قيس سبق فرسه من حذيفة ، ثم وقعت بعد ذلك الحروب
 التي سلف ذكرها بين الحيين ، وكان أعظمها يوم الهباءة ، إلى أن أصلح بينهم هريم بن سنان والحارث بن
 عوف وحاملا عن القوم المغارم والديات ، وأديا ذلك للقوم من مالهما .

(٤) هو هريم بن قطبة بن سيار من بني فزارة كما في اللسان مادة «هريم» . والذي في سرح العيون
 « ابن سنان » ؛ وهو تحريف . وكان هريم هذا حكما من حكام العرب يقضى بين ساداتهم فلا يرد
 قضاؤه . وعامر : هو ابن الطفيل بن مالك . وعلقمة : هو علقمة بن علاثة بن جعفر من بني عامر بن
 صعصعة ؛ وكان عامر وعلقمة قد تنافرا إلى هريم بن سيار ليحكم أيهما أفضل وأكرم حسبا ، فكره هريم أن
 يفضل أحدهما على الآخر وسوى بينهما ، وخشى العداوة التي تقع بينهما بسبب تفضيل أحدهما على
 الآخر .

(٥) يقال : نافرته إلى الحكم فنفرني عليه ، أي حاكمته فغلبنى عليه انظر الأساس ؛ وأشار بهذه العبارة
 إلى ما وقع بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهريم بن سيار المتقدم ذكره ، وذلك أن عمر سأله يوما ،
 وقال له : يا أبا عمرو أيهما كنت تنفر ؟ — يعني علقمة وعامرا — ومن كان عندك الأفضل منهما ؟
 فقال هريم : لو قلت الآن فيهما كلمة لعادت جذعة ، يعني الحرب بين الحيين ، فأعجب عمر بهذا القول من
 هريم ، وقال : بحق حكمتك العرب .

وَأَنَّ الْحِجَّاجَ تَقَلَّدَ وِلَايَةَ الْعِرَاقِ بِجَدِّكَ ، وَقَتِيْبَةً فَتَحَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ بِسَعْدِكَ ؛ وَالْمَهْلَبَ^(٣)
أَوْهَى شَوْكَةَ الْأَزَارِقَةِ بِأَيْدِكَ ، وَأَفْسَدَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ بِكَيْدِكَ ؛ وَأَنَّ هِرْمِسَ^(٤) أَعْطَى
بَلِينُوسَ مَا أَخَذَ مِنْكَ ، وَأَفْلَاطُونَ^(٥) أَوْرَدَ عَلَى أَرِسْطُوطَالِيْسٍ مَا حَدَّثَ عَنْكَ ؛

(١) الحجاج : هو ابن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ؛ وكانت ولادته في سنة إحدى وأربعين ،
ونشأ بالطائف ؛ وولى العراق من قبل عبد الملك بن مروان رابع خلفاء بني أمية ، فأخذ الفتن به ، وأوهى
شوكة الخوارج هناك ؛ وتوفي بواسط سنة خمس وتسعين .

(٢) قتيبة : هو ابن مسلم بن عمرو الباهلي ؛ نشأ في الدولة مروانية وترقى الى أن ولى الإمارات ،
وفتح الفتوحات الكثيرة ؛ وكان واليا على خراسان من قبل عبد الملك بن مروان بعد يزيد بن المهلب ،
وهو الذي فتح بلاد ما وراء النهر ؛ وفي وفيات الأعيان انه توفي سنة ست وتسعين . وما وراء النهر :
يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان ، فما كان في شرقيه يقال له : بلاد الهياطلة ، وفي الاسلام سموه :
ما وراء النهر ، وما كان في غربيه فهو : خراسان وولاية خوارزم .

(٣) المهلب : هو ابن أبي صفرة الأزدي العتكي البصري ؛ وقد نشأ في دولة بني أمية ، ثم أمره مصعب
ابن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه عبد الله بن الزبير ، ثم ولاه عبد الله خراسان ؛ وهو الذي قاتل
الخوارج وأوهى شوكتهم ، وكانت وفاته في زمن الحجاج سنة ثلاث وثمانين . والأزارقة : هم الخوارج
القائلون بمذهب نافع بن عبد الله بن الأزرق ، فنسبوا اليه .

(٤) هرمس ، ذكر ابن نباتة في سرح العيون ص ١٠٨ أن هرمس هو الذي يزعم قوم من الصابئة
أنه نبي مرسل ، وأنه إدريس عاينه السلام ويسندون اليه شرائعهم . وبلينوس هو الذي تزعم الصابئة
أيضا أن النبوة له بعد هرمس ؛ وكان بلينوس قد أخذ العلوم والأسرار عن هرمس هذا .

(٥) أفلاطون : هو ابن أرسطس ، الالهى ، معروف بالتوحيد والحكمة ، تتلمذ لسقراط ،
وخلفه بعد موته ؛ وهو أحد المشائين المشهورين ، وهي فرقة ترى مدارس الحكمة في حالة المشي
لرياضة البدن . وأرسطوطاليس : هو ابن نيقوماخوس ؛ وهو المعروف بالمعلم الأول ، وانما سمي
بذلك لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ، وقد تعلم الحكمة من أفلاطون وهو الذي علم الإسكندر
ابن فيليب .

(١) وبطلميوس سَوَى الأَسْطُرلابَ بتدبيرك، وصَوَّر الكَرَّةَ على تقديرِكَ، وأَبْقَرَاطَ عِلْمَ
الْعَلَلِ والأمراض بلطف حَسَنِكَ، وجالينوس عَرَفَ طبائِعَ الحَشائشِ بِدَقَّةِ نَظَرِكَ،
وكلاهما قَدَكَ في العِلاجِ، وسألكَ عن المِزاجِ، وآسْتَوْصَفَكَ تَركِيبَ الأَعْضاءِ،
وآسْتَشَارَكَ في الداءِ والدواءِ، وَأَنْتَ نَهَجْتَ لِأَبِي مَعْشَرٍ طَرِيقَ القَضَاءِ، وَأَظْهَرْتَ

- (١) بطلميوس : هو صاحب كتاب المجسطي الكبير والجغرافيا والأصطرلاب وغير ذلك ، قال جمال الدين بن نباتة في سرح العيون ص ١١٣ إنه أول من شرح القول على هيئات الفلك ، وأخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل ، وأكثر الرواة يقولون : إنه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر . ا ه وأنكر ذلك القفطي في كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٥ طبع لبسك وقال ما نصه : وكثير من الناس ممن يدعى المعرفة بأخبار الأمم يخيله أحد البطالسة الذين ملكوا الاسكندرية وغيرها بعد الاسكندر ، وذلك غلط بين وخطأ واضح الخ . وأما الأسطرلاب بفتح الهمزة وضم الطاء كائن على ضبطه ابن خلكان في ترجمة البديع الاسطرلابي : فقد قالوا : إنه باللغة اليونانية ميزان الشمس ، وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ الأرصاد ومطالع الكواكب .

(٢) أبقراط : هو سابع الأطباء الثمانية المشهورين الذين أولهم أسقنبليوس وآخرهم جالينوس . قال في سرح العيون : كان في زمن بهمن بن اسفنديار وقال القفطي في كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٠ طبع لبسك أنه كان في زمن اردشير من ملوك الفرس جد دارا بن دارا . وهو الذي بث صناعة الطب في الناس ، وعلم الغرباء ، بعد أن كانت هذه الصناعة مقصورة على طائفة يتوارثونها بالتلقين ، ولم يكونوا يكتبون فيها شيئا ، وهو أول من اتخذ البيمارستان ، وذلك أنه عمل بالقرب من داره موصعا مفردا للمرضى ، وجعل لهم خدما يقومون بمداواتهم ، وسماه : إخشيد ، أى مجمع المرضى ، وكذلك لفظ البيمارستان بالفارسية .

(٣) جالينوس : هو آخر الحكماء المشهورين ، ويسمى خاتم الأطباء والمعلمين ، وذلك أنه عند ما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين ومحيت محاسنها ، فانتدب لذلك وأبطل آراءهم وشيد آراء أبقراط والتابعين له ونصرها ، وساح وطلب الحشائش ، وجرّبها ، وقاس أمرجتها وطبائعها ، وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب النفيسة في هذه الصناعة . (٤) في سرح العيون : « حدسك » .

(٥) أبو معشر : هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي المنجم المشهور ، كان في الأول من أصحاب الحديث ببغداد ، وكان يشنع على الكندي الفيلسوف بعلوم الفلسفة ، ويفرى به العامة ، فدرس له الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة ، فدخل في ذلك ، ثم عدل الى أحكام النجوم ، فمهر فيها ، وانقطع شره عن الكندي لأن ذلك من جنس علومه ، وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين ومائتين . والمراد بالقضاء هنا : حكم المنجمين بتأثير الكواكب أخذا من قول الشاعر : « يقضون بالأمر عنها وهي غافلة » أى عن النجوم .

(١) جابر بن حيان على سر الكيمياء ، وأعطيت النظام أصلاً أدرك به الحقائق ، وجعلت
للكندي رسماً استخرج به الدقائق ، وأن صناعة الألمان اخترعك ، وتأليف
الأوتار توليدك وأبتدأك ، وأن عبد الحميد بن يحيى بارى أقلامك ، وسهل بن
(٢) (٣) (٤) (٥)

(١) قال في سرح العيون عند شرحه لهذه العبارة مانصه : « وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف
له ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه ، وهذا دليل على قول أكثر الناس : إنه اسم موضوع وضعه
المصنفون في هذا الفن ، وزعموا أنه كان في زمن جعفر الصادق . (٢) النظام : هو ابراهيم بن سيار
ابن هاني البصري ، وكنيته : أبو إسحاق ؛ وهو شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم ، متقدم في العلوم ، شديد
الغوص على المعاني ؛ وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة ، كما في سرح
العيون . وقال الصفدي في كتاب الوافي بالوفيات إنه توفي سنة ثلاثين ومائتين تقريباً .

(٣) الكندي : هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس ،
وكنيته أبو يوسف ؛ وكان الكندي متبحراً في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ، وهو فيلسوف
العرب وأحد أبناء ملوكها ؛ وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة للهدى والرشيد ، وكان جده
الأشعث بن قيس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وللكندي هذا تأليف مشهورة من المصنفات
الطوال ، ومن الرسائل القصار جملة متعددة ، قال في كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٦٨ طبع
لبسك نقلاً عن ابن جليل الأندلسي في كتابه : يعقوب بن الصباح الكندي كان شريف الأصل بصرياً ،
وكان جده ولي الولايات لبني هاشم ، ونزل البصرة ، وانتقل إلى بغداد ، وهناك تأدب ، وكان عالماً
بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللحن والهندسة وطبائع الأعداد والهيئة ، وله تأليف
كثيرة في فنون من العلم الخ . (٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري ، أحد الكتاب

المجيدون الذين اشتهرت بلاغتهم حتى ضرب بها المثل ، وكان كاتباً لمرwan بن محمد آخر خلفاء بني أمية ،
فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد حتى عثر به أصحاب أبي مسلم ، فسلوه إلى السفاح ، فسلمه إلى
عبد الجبار صاحب شرطته فقتله سنة اثنين وثلاثين ومائة .

(٥) هو سهل بن هارون بن راهبون ، وكنيته أبو عمرو ، من أهل نيسابور ، نزل البصرة فنسب إليها ،
ويقال : إنه كان شعوبياً — والشعوبية : فرقة تبغض العرب ، وتتعصب عليها للفرس — وقد انفرد سهل
في زمانه بالبلاغة والحكمة ، وصنف الكتب معارضا بها كتب الأوائل حتى قيل له : بزرجمهر الإسلام ،
وله اليد الطولى في الظم والنثر ؛ وكان في أول أمره خصيصاً بالفضل بن سهل ، ثم قدمه إلى المأمون ،
فأعجب ببلاغته وعقله ، وجعله كاتباً على خزانة الحكمة ، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرس
وفي معجم الأدباء إياقوت ج ٤ ص ٢٥٩ أنه توفي في سنة مائتين وخمسة عشر .

هارون مدوّن كلامك ، وعمر بن بحر مستمليك ، ومالك بن أنس مستفتيك ، وأنتك
الذي أقام البراهين ، ووضع القوانين ، وحدّ الماهيّة ، وبين الكيفيّة والكميّة ،
وناظر في الجوهر والعرض ، وبين الصّحة من المرض ، وفكّ المعمّى ، وفصل بين
الاسم والمسمّى ، وضرب وقّسم ، وعدل وقوّم ، وصنّف الأسماء والأفعال ، وبوّب
الظرف والحال ، وبني وأعرب ، ونفى وتعجّب ، ووصل وقطع ، وثنى وجمع ، وأظهر
وأضمّر ، وأبتدأ وأخبر ، وأستفهم وأهمّل وقيّد ، وأرسل وأسند ، وبجّث ونظر ،
وتصفّح الأديان ، وربّح بين مذهبي ماني وغيلان ، وأشار بذبح الجعد ، وقَتَلَ بشار^(٥)

(١٠٣)

(١) هو عمرو بن بحر بن محبوب ، ويكنى أبا عثمان ، وهو المعروف بالجاحظ ، وهو إمام الفصحاء
والمتكلمين ، ولد بالبصرة ، ونشأ ببغداد ، واشتغل على أبي إسحاق النخاس بمذهب الاعتزال ، وتأمل كتب
الفلاسفة ، ومال إلى الطبيعيين منهم ، وساد على المتكلمين بفصاحته وحسن عبارته ، وتوفى بالقالج
سنة خمس وخمسين ومائتين .

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر التميمي ، وكنيته أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة وصاحب
كتاب الموطأ . وذكر ابن خلكان في ترجمته أنه ولد في سنة خمس وتسعين ، وتوفى سنة تسع وسبعين ومائة .
(٣) ماني : هو الذي تنسب إليه الطائفة المانوية ، ظهر في أيام سابور بن أردشير ، وتبعه خلق كثير من
المجوس ، وآدعوا له النبوة ، وكان يزعم أن صانع العالم اثنان : فاعل الخير ، وهو النور ، وفاعل الشر ، وهو
الظلمة ، وقد قتل ماني في زمن بهرام بن سابور . وأما غيلان : فهو ابن يونس القدرى الدمشقي ، كان
أبوه مولى لعثمان بن عفان ، وغيلان أول من تكلم في القدر وخلق القرآن ، وقد قتل غيلان في زمن هشام
ابن عبد الملك .

(٤) الجعد : هو ابن درهم مولى بني الحكم ، كان يسكن دمشق ، ويعلم مروان بن محمد آخر خلفاء
بني أمية ، فنسب إليه ، وقيل له : مروان الجعدي ، وكان الجعد يقول بخلق القرآن ، ثم طلب فهرب ،
ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذي نسب إليه الجهمية ، ولم يزل الجعد بن درهم بالكوفة
حتى قتله خالد بن عبد الله القسري ، وإلى العراق من قبل هشام بن عبد الملك .

(٥) هو بشار بن برد الشاعر المعروف ، من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ، وكان جده
من طخارستان من سبي المهلب ، وكان بشار يتهم بالزندقة ، فأمر المهدي أن يضرب بالسياط ضرب التلف ،
فضرب حتى مات ، وكانت وفاته سنة ثمان وستين ومائة ، ودفن بالبصرة .

ابن بُرد ، وأُنك لو شئتَ خرقتَ العادات ، وخالفَت المعهودات ؛ فأحلتَ البحارَ
عذبةً ، وأعدتَ السَّلامَ رَطْبَةً ^(١) ؛ ونقلتَ غداً فصارَ أمسا ، وزدتَ في العناصرِ فكانتَ
نَحْسا ؛ وأُنك المقولُ فيه : ” كُلُّ الصَّيدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ” ^(٢)

و : ليس على الله بمستنكرٍ * أن يجمعَ العالمَ في واحدٍ ^(٣)

والمعنى بقول أبي تمام :

فلو صوّرتَ نفسَكَ لم تزدها * على ما فيكَ من كرمِ الطبايعِ

والمرادُ بقول أبي الطيّب :

ذِكْرُ الْأَنْثَامِ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً * كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْبَاتِهَا

فـ”كَدَمْتَ غَيْرَ مَكْدَمٍ“ ^(٤) وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ فِخْمٍ ؛ وَلَمْ تَجِدْ لُرُوحٍ مَهْزَا ، وَلَا لَشَفَرَةٍ مَحْزَا ؛
بَلْ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ، وَتَمَنَيْتَ الرَّجُوعَ بِخَفَى حُنَيْنٍ ، لِأَنِّي قُلْتُ لَهَا :
” لَقَدْ هَانَ مِنْ بَالَتِ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ “ ^(٥)

وَأَنْشَدْتُ :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صَرْنَ كُلَّهَا * عَجَائِبَ حَتَّى آيَسَ فِيهَا عَجَائِبُ ^(٦)

جزوب
معين التارخ
لأهل التارخ

(١) السلام : الحجارة الصلبة ؛ واحده سلمه بفتح السين وكسر اللام .

(٢) هو مثل يضرب للشئ المرئي على غيره . والفرا : حمار الوحش .

(٣) البيت لأبي نواس .

(٤) الكدم : العض بأدنى الفم ؛ والمكدم : موضع العض ؛ وهو مثل يضرب لمن يطلب شيئاً في غير

مطلبه . وفي بعض نسخ الرسالة : « كدمت في غير » .

(٥) في مجمع الأمثال : « ذل » ؛ يريد : أنه بلغ في الخنارة غايته . وهذا يحز بيت لغاوى بن ظالم

السلمي ؛ وقيل انه للعباس بن مرداس السلمي . وصدر البيت : « أرب يبول الثعلبان برأسه » والثعلبان

بضم الثاء واللام : ذكر الثعالب . انظر اللسان .

(٦) البيت لأبي تمام .

وَنَحَرْتُ وَكَفَرْتُ ، وَعَبَسْتُ وَبَسَرْتُ ؛ وَأَبْدَأْتُ وَأَعَدْتُ ، [وَأَبْرَقْتُ وَأَرَعَدْتُ]^(٣)
 وَ« هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ [وَلَيْتَنِي] » وَلَوْلَا [أَنْ] لِلْجَوَارِ ذَمَّةٌ ، وَلِلضَيَافَةِ حُرْمَةٌ ؛ لَكَانَ
 الْجَوَابُ فِي قَذَالِ الدُّمَسْتَقِ^(٥) ، وَلَكِنْ النُّعْلَ حَاضِرَةً إِنْ عَادَتِ الْعُقْرُبُ ، وَالْعُقُوبَةُ
 مُمْكِنَةٌ إِنْ أَصَرَّ الْمَذْنِبُ ؛ وَهَبَّهَا لَمْ تَلَا حَظَّكَ بَعِينَ كَلِيلَةٍ عَنْ عِيُوبِكَ ، مَلَأُهَا حَبِيبُهَا ،
 وَحَسَنٌ فِيهَا مِنْ تَوَدٍّ ، وَكَانَتْ إِنَّمَا حَلَّتْكَ بِجُلَاكَ^(٦) ، وَوَسَمَتْكَ بِسِيَاكَ ؛ وَلَمْ تُعْرَكَ
 شَهَادُهُ ، وَلَا تَكَلَّفْتُ لَكَ زِيَادَهُ ؛ بَلْ صَدَقْتُكَ سَنَ بَكْرٍهَا فِيمَا ذَكَرْتَهُ عَنْكَ ، وَوَضَعْتُ
 الْهِنَاءَ^(٨) مُوَاضِعَ الثُّقُبِ فِيمَا نَسَبْتَهُ إِلَيْكَ ؛ وَلَمْ تَكُنْ (كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنَتَ بِهِ عَلَيْكَ)^(٩) ،

(١) النخير : صوت من الأنف أكثر ما يكون عند الغضب ، ومنه سمي المنخر .

(٢) بسرت ، من البسر ، وهو القطوب .

(٣) التكلمة عن سرح العيون ؛ وتتمام السجع يقتضى إثباتها . ١٠

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . يشير إلى

بيت ضابئ بن الحارث بن أرطاة البرجمي ، وهو :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حالله

يريد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه .

(٥) أشار بهذه العبارة إلى بيت أبي الطيب المتنبي من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، وهو : ١٥

وكننت إذا كاتبته قبل هذه * كتنبت إليه في قذال الدمستق

يريد أبو الطيب الإشارة بهذا البيت إلى ما وقع بين ملك الروم وسيف الدولة ؛ وذلك أن ملك الروم جهز

جيشا لمحاربة سيف الدولة وجعل أميره الدمستق ، فهزموه سيف الدولة شرهزيمة ، وولى الدمستق بجيشه

هاربا . والدمستق : لقب عندهم للقدمين من رجالهم ، أو هو أسم رجل منهم .

(٦) في الأصل : « لحلاك » باللام ؛ وما أثبتناه عن نسخ الرسالة . ٢٠

(٧) هو مثل يضرب في الصدق . والبكر بفتح الباء : الفتى من الإبل ، ونص المثل : « صدقتني »

بالتذكير .

(٨) الهناء : القطران الذي يطلى به الجرب . وتقال هذه العبارة لمن يضع الأشياء في مواضعها .

(٩) كذا في سرح العيون وغيره من النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . وعبارة الأصل : « لم يكن

(١) فالمُعِيدُ تسمع به لا أن تراه ، هَجِينُ القَذالِ ، أَرَعِبُ السَّبَالِ ؛ طَوِيلُ العنقِ
(٢) (٣) (٤) والعِلَاوَةُ ، مُفْرِطُ الحُمقِ والغباوة ؛ جافِي الطبع ، سَيِّئُ الجَابَةِ والسَّمْعِ ؛ بَغِيضُ الهَيْئَةِ ،
سَخِيفُ الذَّهَابِ والجَيْئَةِ ؛ ظَاهِرُ الوَسْوَاسِ ، مَنِينُ الأنفاسِ ؛ كَثِيرُ المعايِبِ ، مشهورُ
المثالبِ ؛ كَلَامُكَ تَمَتَّةٌ ، وحديثُكَ غَمَمَةٌ ؛ وبياناتُكَ فَهْفَهَةٌ ، وضحكُكَ قَهْقَهَةٌ ؛
ومشيُكَ هَرَوَلَةٌ ، وغِنَاكَ مسألة ؛ ودينُكَ زَنْدَقَةٌ ، وعِلْمُكَ مَحْرَقَةٌ

(٥) مَسَاوِلُ قُسْمَنَ عَلَى الغَوَانِي * لَمَّا أُمْهَرْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ
(٦) حَتَّى إِنَّ بَاقِلًا مَوْصُوفًا بِالْبَلَاغَةِ إِذَا قُرِنَ بِكَ ، وَهَبْتَقَةٌ مُسْتَحَقٌّ لِأَسْمِ الْعَقْلِ
(٧) (٨) (٩) إِذَا نُسِبَ مِنْكَ ، وَأَبَا غُبْشَانَ مَحْمُودٌ مِنْهُ سَدَادُ الْفَعْلِ إِذَا أَضْيَفَ إِلَيْكَ ،

(١) نصه في كتب الأمثال : " تسمع بالمعدي خير من أن تراه " ؛ و يضرب لمن خبره خير من
مرآه ؛ والمقول فيه هذا هو شقة بن ضمرة بن جابر من بني نهشل .

(٢) يقال : فلان هجين القذال ، أى أنه إذا أدبر عرف لؤم نسبه من قذائه لما يبدو منه من الإضرار
حياء . والهجين اللثيم ، أو هو العربي الذي يولد من أمة . والقذال : جماع مؤخر الرأس .

(٣) العلاوة : الرأس ما دام على العنق ؛ و يعدون طول الرأس والعنق من دلائل الحق .

(٤) كذا في الأساس للزمخشري ؛ والذي في الأصل : " والإجابة " ؛ باثبات الهمزة . والجابة
والاجابة بمعنى واحد . يشير بهذا الى قولهم : " أساء سمعا فأساء جابة " . (٥) البيت لأبي تمام .

(٦) هو باقل بن عمرو بن ثعلبة الإيادي ؛ وفي شرح القاموس أنه من ربيعة ؛ و يضرب به المثل في العي .

(٧) هبتقة : هو يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة ، و يلقب بذي الودعات لأنه جعل في عنقه
قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته ، فسئل فقال : لئلا أضل ؛ فضرب به المثل في الحق .

(٨) كذا في الأصل ؛ ولم نقف على ما يفيد صحة هذا التعبير فيما راجعناه من كتب اللغة . وفي النسخ

التي بين أيدينا لهذه الرسالة : « إليك » ولم ننبها مع صحتها لحصول التكرار بها مع ما يأتي بعده .

(٩) في الأصل : « عشان » بإهمال أوله وثانيه ؛ وما أثبتناه عن القاموس مادة « الغبش » ،

قال ما نصه : « وأبو غبشان ويضم : نخاعي كان يلي سدانة الكعبة قبل قرينش ، فاجتمع مع قصي
في شرب بالطائف ، فأسكره قصي ، ثم أشرى المفاتيح منه برق نجر ، وأشهد عليه ، ودفعها لابنه عبد الدار ،
وطير به إلى مكة ، فأفاق أبو غبشان أندم من الكسعي ؛ فضربت به الأمثال في الحق والندم وخسارة

الصفقة . قال في شرحه : « وهو المحترش بن حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو .

(١) وطويساً مأثور عنه يُمنُّ الطائر إذا قيس عليك ؛ فوجودك عدم ، والأغبتا طُ بك ندم ؛
والحبيبة منك ظفّر ، والحنّة معك سقر ؛ كيف رأيت لؤمك لكرمي كفاء ، وضعتك
لشرفي وفاء ؟ وأنى جهلت أن الأشياء إنما تنجذب إلى أشكالها ، والطيور إنما تقع على
ألفها ؟ وهلا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان ، وشعرت أن نادبي المؤمن
والكافر لا يتراءيان ، وقلت : الحبيث والطيب لا يستويان ، وتمثلت :
٥

(٣) أيها المنكح الثريا سهيلاً * عمرك الله كيف يلتقيان

وذكرت أنى علق لا يباع ممن زاد ، وطائرٌ لا يصيده من أراد ، وغرضٌ لا يصيبه
إلا من أجاد ؛ ما أحسبك إلا كنت قد تهيأت للتهنئة ، وترشحت للترفة ؛ أولى لك ،
لولا أن جرح العجاء جبار ، للقيت ما لقي من الكواعب يسار ؛ فما هم إلا بدون
(٤) (٥)

- ١٠ (١) طويس : هو مولى بنى مخزوم ، وكنيته : أبو عبد النعم ؛ كان من المجان الظرفاء ، وكان
يسكن المدينة ، وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية ، وكان يضرب به المثل في الشؤم ، لأنه ولد يوم
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفطم يوم مات أبو بكر ، وختن يوم قتل عمر . وفي القاموس
أنه بلغ الحلم يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم مات علي .

(٢) كذا في بعض نسخ الرسالة ؛ والذي في الأصل : « لا يجتمعان » ؛ وهو مكرر مع ما قبله .

- ١٥ (٣) الشطر الأول من هذا البيت ساقط من الأصل ، وقد أثبتناه عن سرح العيون ، والبيت لعمر بن
عبد الله بن أبي ربيعة . والثريا هي بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وسهيل ، هو ابن
عبد العزيز بن مروان .

(٤) العجاء : البهيمة . والجبار بالضم : الهدر الذي لا قصاص فيه . يشير إلى قوله صلى الله عليه
وسلم : « جرح العجاء جبار » .

- ٢٠ (٥) يسار : هو عبد أسود ، كانت النساء إذا رأينه ضحككن من قبحه ، فكان يظن أنهن يضحكن
إعجاباً منهن به ، فدخل على امرأة مولاه يوماً وأراد مغازلتها ظناً منه أنها قد أحبتّه ، فقالت له : إن للحرائر
طيباً أشمك إياه ، فقال : هاتيه ، فأنت بطيب وموسى ، فأشمته الطيب ثم جدعت أنفه ؛ وكان يلقب :
« يسار الكواعب » .

ما هممت به ، ولا تعرّض إلا لأيسر ما تعرّضت له ؛ أين أدّعاؤك رواية الأشعار ،
وتعاطيك حفظ السير والأخبار ؟

بنو داريم أكفاؤهم آل مسمع * وتكبح في أكفائها الحيطات^(٢)

وهلا عثيت ولم تغترّ ، وما أمتك أن تكون وافد البراجم ، أو ترجع بصحيفة^(٣)
المتلمس ، وأفعل بك ما فعله عقيل بن علفة بالجهني^(٤) إذ جاءه خاطبا فدهن آسته^(٥)
بزيت وأدناه من قرية النمل^(٦) ؟ ومتى كنز تلاقينا ، واتصل ترائينا ؛ فيدعوني اليك^(٧)

(١) في الأصل : « ولا تعرّضت » ؛ والناء زيادة من النسخ . (٢) البيت للفرزدق .

(٣) يشير بهذه العبارة الى المثل القائل : « عث ولا تغتر » وهو مثل يضرب للاحتياط والأخذ بالثقة .

(٤) في بعض نسخ الرسالة : « وما أشك أنك تكون » الخ ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

١٠ ووافد البراجم : رجل من تميم ؛ والبراجم : خمسة من أولاد حنظلة بن مالك ؛ وقد أشار بهذه العبارة الى قصة عمرو بن هند مع بني تميم ، وذلك أنه أحرق منهم تسعة وتسعين رجلا لئلا يثار له عندهم ، وكان قد حلف أن يحرق منهم مائة رجل ، فبينما هو يطلب رجلا منهم يتم به المائة ، إذ مرّ رجل يسمى عمارا ، فشم رائحة القنار ، فظن أن الملك اتخذ طعاما ، فعاد اليه ، فقيل له : ممن أنت ؟ فقال : من البراجم ، فألقى في النار ؛ فضرب به المثل وقيل : « إن الشقّ وافد البراجم » .

١٥ (٥) صحيفة المتلمس : تضرب مثلا لمن يحصل له الضرر من حيث يتوقع النفع . والمتلمس : هو جرير ابن عبد المسيح أحد بني صعصعة ، شاعر مجيد من شعراء الجاهلية ، وقد وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة ، فحنق عمرو عليهما يوما وأراد قتلهما ، فكتب معهما كتابين الى عامله بالبحرين ، وقال لهما : إني كتبت لكما بصلة من عامل بالبحرين ، فاقبضاها منه ، فلما كانا في بعض الطريق فتح المتلمس صحيفته فاذا الملك يأمر عامله بقتله ، فألقاهما في اليم ، ومضى طرفة بكتابه الى عامل البحرين فقتله .

(٦) في الأصل : « علقمة » وهو تحريف ، والتصويب عن تاج العروس مادة علق بالقاف ؛ وعقيل بن علفة هذا شاعر من شعراء الدولة الأموية ؛ وكان أهوج جافيا شديد الغيرة والعجرفة والبذخ بنفسه ، وكان لا يرى أن له كفئا ، وقد خطب اليه عبد الملك بن مروان إحدى بناته فأبى عليه ، وكان له جار جهني ، فخطب الجهنّي إحدى بناته ، ففعل به ما ذكره ابن زيدون .

٢٥ (٧) قرية النمل : مسكنها وبيتها .

ما دعا ابنة الخُسِّ الى عبيدها من طول السواد ، وقرب الوساد ؟ وهل فقدت
الأراقم^(٢) فأُنكح^(٢) في جنب^(٣) ، أو عَضَلَنِي هَمَامُ بْنُ مَرَّةٍ فَأَقُولُ : ” زَوْجٌ مِنْ عُودٍ ، خَيْرٌ
من قُعودٍ “ ؟ ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت^(٤) عن هذه الحِطَّة ، وما رُضيتُ
بهذه الحِطَّة ، في ” النار ولا العار “ و ” المنيَّة ولا الدَّنيَّة “ والحِزَّة تجوع ولا تأكل
بشديها :

فكيف وفي أبناء قومي منكح^(٥) * وفتيان هزان^(٥) الطوالِ الغرانقة

ما كنتُ لأتخطى المسك الى الرماد ، ولا لأمتطى الثور دون الجواد ، وإنما يتيمم
من لا يجد ماء ، ويرعى المشيم^(٦) من عديم الجيم ، ويركب الصعب من لا ذلول

(١) ابنة الخس : هي هند بنت الخس الإيادي ، قديمة في الجاهلية ، وذكروا أنها زنت بعبيدها ،
فلامها الناس في ذلك ، وقالوا : ما حملك على الزنى ؟ فقالت : قرب الوساد ، وطول السواد ؛
والسواد : المسارة .

(٢) الأراقم : حي من تغلب . وجنب : حي من اليمن ؛ وقد أشار بهذه العبارة الى قول مهلهل
ابن ربيعة حين هرب من حرب البسوس لما طالَّت مدتها ، فنزل في طريقه على حي من اليمن ، فخطبوا
اليه ابنته وساقوا له مهرها جلودا ، وغصبوه على الزواج فقال :

أعزز على تغلب بما لقيت * أخت بني الأكرمين من جشم
أنكحها فقدما الأراقم من * جنب وكان الحباء من آدم .

(٣) عضل الولي المرأة : منعها من النكاح . وزوج من عود الخ : قول إحدى بنات همام بن مرة
وكان له أربع بنات ، وكُن يخطبن اليه فيأبى أن يزوجهن .

(٤) في الأصل : « بهذه » ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٥) هزان : بطن من العرب ؛ والغرانقة ، جمع غرنوق وغرنيق ، وهو الشاب الأبيض الجميل .
والبيت للأعشى الأكبر . وقد ورد الشطر الأول منه في تاج العروس هكذا : « فقد كان في شبان
قومك منكح » وذكر أن الأعشى يخاطب به امرأة .

(٦) الجيم : النبات الناهض المنتشر الذي طال ولم يبلغ النهاية .

له ؛ ولعلك إنما غرّك من علمت صبوتى إليه ، وشهدت مساعفتى له ، من أقمار
العصر ، ورياحين مصر ، الذين هم الكواكب علوهم ، والرياض طيب شيم
من تلق منهم تقل : لا قيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى^(٢)
فيحن قدح ليس منها ؛ ما أنت وهم ؟ وأين تقع منهم ؟ وهل أنت إلا واو^(٣)
عمرو فيهم ، وكالوشيفة في العظم بينهم ؟ وان كنت إنما بلغت قعر تابوتك ، وتجافيت^(٤)
لقميمصك عن بعض قوتك ، وعطرت أردانك ، وجررت هميانك ؛ واختلت
في مشيتك ، وحذفت فضول لحيتك ؛ وأصلحت شاربك ، ومططت حاجبك ؛
ودقت خط عذارك ، واستأنفت عقد إزارك ؛ رجاء الا كتاب فيهم ، وطمعا^(٥)
في الاعتداد منهم ؛ فظننت عجزا ، وأخطأت آستك الحفرة ؛ والله لو كساك محرق^(٦)
في الاعتداد منهم ؛ فظننت عجزا ، وأخطأت آستك الحفرة ؛ والله لو كساك محرق^(٧)

- ١٠ (١) فى الأصل : « وهلك » ؛ وهو تحريف . (٢) الشطر الثانى من هذا البيت لم يرد فى الأصل .
وقد أثبتناه عن النسخ التى بين أيدينا لهذه الرسالة وفى شرح العيون أن هذا البيت من جملة أبيات منسوبة
الى رجل اسمه العرنس من بنى بكر بن كلاب يمدح بها بنى بدر الغنويين .
- (٣) فى الأصل : « فحن » ؛ وهو تحريف ؛ يشير بهذه العبارة الى المثل القائل : « حن قدح
ليس منها » يضرب لمن يتشبه بالقوم وليس منهم .
- ١٥ (٤) الوشيفة : قطعة عظم تكون زيادة فى العظم الصميم . ويقال : فلان وشيفة فى قومه ، إذا كان
دخيلاً فيهم وليس منهم . (٥) قال فى شرح العيون فى تفسير هذه العبارة : يعنى لازمت منزلك .
- (٦) يريد : رجاء أن تعد فيهم وتكتب منهم .
- (٧) محرق : هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وهو المعروف بعمر بن هند ؛ وأشار بهذه العبارة الى
ما ذكرنا من أن الوفود اجتمعت مرة عند عمرو بن هند ، فأخرج بردين من لباسه وقال : ليقم أعز العرب
فليأخذهما ، فقام عامر بن أحيمر فأخذهما فقال له عمرو : أنت أعز العرب قبيلة ؟ فقال : العز كله فى معد ،
والعدد فى معد ، ثم فى نزار ، ثم فى مضر ، ثم فى خندف ، ثم فى تميم ، ثم فى سعد ، ثم فى كعب ، ثم فى بهدلة
فمن أنكر هذا فلينافرنى ؛ فسكت الناس ، فقال : هذه عشيرتك كما تزعم ، فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك ؟
فقال : أنا أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، وخال عشرة ؛ ثم أخذ البردين وانصرف (شرح العيون) ؛
وتاج العروس مادة « برد » .

(١) وحلتك مارية بالقرطين ؛ وقلدك عمرو بالصمصامة ، وحملك الحارث على النعامه ؛
 (٢) ما شككت فيك ، ولا تكلمت بملء فيك ؛ ولا سترت أباك ، ولا كنت إلا ذاك ؛
 وهبك ساميتهم في ذروة المجد والحسب ، وجاريتهم في غاية الظرف والأدب ؛ ألسنت
 تأوى الى بيت قعيدته لكاع ؟ اذ كلهم عزب خالى الذراع ؛ وأين من أنفرد به ،
 ممن لا أغاب إلا على الأقل الأخس منه ؟ وكم بين من يعتمدنى بالقوة الظاهرة ،
 والشهوة الوافرة ؛ والنفس المصروفة الى ، واللذة الموقوفة على ؛ وبين آخر قد نزحت
 بيرة ، ونضب غديره ؛ وذهب نشاطه ، ولم يبق إلا ضراطه ؛ وهل كان يُجمع لى فيك
 إلا الحشف^(٤) وسوء الكيلة . ويقترن على بك إلا الغدة والموت فى بيت سلوية^(٥) ؟
 تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال

١٠ (وهذا الشعر لأبى العتاهية يخاطب به سلم بن عمرو ، ويلومه على حرصه ، ويتلوه) :

هَب الدنيا تصير اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى زوال

ما كان أحقك بأن تقدر بذرعك ، وتربع على ظلعك ؛ ولا تكون براقش^(٦) الدالة

(١) مارية : هى ابنة ظالم بن وهب الكندى ، وزوجة الحارث الأ كبر الغسانى أحد ملوك العرب
 بالشام ، وكان فى قرطها أولوتان كبيرتان يتوارثهما الملوك ، وقد وصلنا الى عبد الملك بن مروان ، فأهداهما
 الى ابنته لما زوجها لعمر بن عبد العزيز ، وروى أن مارية أهدتهما الى الكعبة .

(٢) عمرو : هو ابن معد يكرب . والصمصامة : اسم سيفه .

(٣) هو الحارث بن عباد التغلبى . والنعامه اسم فرسه .

(٤) الحشف : اليا بس الردى . من التمر . يضرب للختين السيتين يجتمعان فى شخص ؛ ونص المثل :
 " أحشفا وسوء كيلة " .

٢٠ (٥) أشار به هذه العبارة الى قول عامر بن الطفيل : حين ظهرت فى رقبته الغدة التى مات بها ، وكان
 فى بيت امرأة سلوية ، فقال : أغدة كغدة البعير ، وموت فى بيت سلوية .

(٦) براقش : اسم كلبة نجت قوما قصدوا الغارة على قوم نخفى عليهم مكانهم ، فلما نجت عرفوهم
 فاجتاحوهم فقالت العرب : " أشأم من براقش " .

على أهلها^(١)، وعنز السوء المستثيرة لحتفها^(٢)، فما أراك إلا قد سقط العشاء بك على
السرطان^(٣)، وبك لا بظبي أعفر^(٤)، قد أعذرت إن أغنيت شيئا، وأسمعت لو ناديت حيا،
وقرعت عصا العتاب، وحذرت سوء العقاب . "إن العصا قرعت لذي الحليم"
والشيء تحقره وقد ينمي^(٥) . فإن بادرت بالندامة، ورجعت على نفسك بالملامة،
[كنت^(٦)] قد اشتريت العافية لك بالعافية منك، وإن قلت : "جمعجة ولا طحنا"
و"رب صلف تحت الراعدة"^(٧) وأنشدت :

لا يؤيسنك من مخبأة * قول تغلظه وإن جرحا

فعدت لما نهيته عنه ، وراجعت ما استعفيت منه ، بعثت من يزجرك إلى
الحضراء دفعا^(٨) ، ويستحيك نحوها وكذا وصفعا^(٩) ، فإذا صرت بها عيت أكاروها

(١) يشير بهذه العبارة الى ما ذكروا من أن رجلا وجد عنزا فأراد ذبحها ، فلم يجد سكيناً ، فبينما هو
كذلك ، إذ بحثت الشاة بظلفها في الأرض ، فاستنارت سكيناً فذبحها بها ، فضربت مثلاً لمن يعين على ضرر
نفسه . (٢) في شرح العيون : « سرطان » بدون تعريف ، وهو الذئب ؛ يشير بهذه العبارة الى
المثل القائل "سقط به العشاء على سرطان" يضرب لمن يريد أمراً فيقع على المكروه .

(٣) نص المثل : « به » الخ ويضرب للشامة بالرجل ؛ يريدون نزل به المكروه ولا نزل بظبي أعفر .
(٤) قال ابن نباتة في شرح العيون عند شرحه لهايتين العبارتين : هما مثلاً يضربان في التحذير ، منظومان
في قول الحارث بن وعلة اليشكري وقد قتل بعض سادات قومه أخاه . ثم أورد أبياتاً جاء منها :

وزعمت أنا لا حلوم لنا * إن العصا الخ البيت . وبعده :

لا تأمن قوما ظلمتهم * وبدأتهم بالشر والغشم

ان يابروا نخلا لغيرهمو * والشيء تحقره الخ البيت

(٥) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن شرح العيون .

(٦) جمعجة الخ أى أسمع جمعجة ولا أرى طحنا ؛ قال في شرح العيون في شرح هذا المثل والذي
بعده : هما مثلاً يضربان لمن يتوعد ولا يفعل . والجمعجة : صوت الرحي . والطحن : الدقيق .
فعل بمعنى مفعول ، كذبح وفرق ؛ والصلف : قلة البركة والخير . وسحاب صلف : إذا كان قليل الماء ،
كثير الرعد .

(٧) في الأصل : « الحضرا » بالخاء المهملة ؛ وهو تحريف ؛ والحضراء : المزرعة ؛ أولعله اسم
ضبعة انظر شرح العيون . (٨) في شرح العيون : « اليها » . (٩) الأكارون : الزراعون .

بك ، وتسلط نواطيرها عليك ؛ فمن قرعة معوجة تقوم في قفاك ، وجفلة منتنة يرمى بها
تحت خصاك ؛ لكي تذوق وبال أمرك ، وترى ميزان قدرك .

فمن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يرى .^(٢)

وقال أيضا في رقة خاطب بها ابن جهور — وهي من رسائله المشهورة —
أولها :

يا مولاي وسيدى الذى ودادى له ، واعتدادى به ، واعتمادى عليه —
أبقاك الله ما ضى حد العزم ، وارى زبد الأمل ، ثابت عهد النعمة — إن
سلبتنى أعزك الله لباس إنعامك ، وعطلتنى من حلّ إيناسك ، وغضضت عني^(٣)
طرف حمايتك ؛ بعد أن نظر الأعمى الى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائى عليك ،
وأحس الجمد باستنادى اليك ؛ فلا غرو قد يغص بالماء شارب به ، ويقتل الدواء^(٤)
المستشفى به ، ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منية المتمنى في أمنيته^(٥) والحين^(٦)
قد يسبق جهد الحريص ، وإنى لأتجلد ، وأرى الشامتين أنى لا أتضعضع ، وأقول :

(١) النواطير : جمع ناطور ، وهو حافظ الكرم والنخل .

(٢) البيت للتنبي .

(٣) كذا في النسخ التى بين أيدينا لهذه الرسالة . والذى في الأصل : « إنشادى » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « والحرص » ؛ وهو تحريف . وهذا عجز بيت لعدى بن زيد ؛ وصدره : « قد

يدرك المبطل من حظه » . انظر تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدى ص ٤ طبع بغداد ؛

وقد اعتمدنا على هذا الكتاب في أكثر مخرجنا لما ورد في هذه الرسالة من الأبيات والأمثال والأخبار

فلا حاجة الى التنبيه عليه بعد هذا فيما نقله عنه .

(٥) كذا في الأصل ؛ والذى في نسخ الرسالة : « أنى لريب الدهر لا أتضعضع » . وهذا عجز

بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، وصدره : « وتجلدى للشامتين أريهمو » انظر المفضليات .

هل أنا إلا يد أدمها سوارها، وجبين عضه إكليله، ومشرفي^(٢) الصقّه بالأرض
صاقله، وسمهري^(٣) عرضه على النار مثقفه، وعبد ذهب سيده مذهب الذي يقول :
فقسا ليزدجروا ومن يك حازما * فليقس أحيانا على من يرحم^(٥)
والعتب محمود عواقبه، والنبوة غمرة^(٦) ثم تنجلي، والنكبة^(٧) وسحابة صيف عن قريب تقشع^(٨)
وسيدي إن أبطأ معذور^(٩).

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا * فأفعاله اللاتي سررت^(١٠) ألوف
فليت شعري ما الذنب الذي أذنبت ولم يسعه العفو؟ ولا أخلو من أن أكون
بريئا فأين العدل؟ أو مسيئا فأين الفضل؟ وما أراني إلا لو أمرت بالسجود لآدم
فأبيت واستكبرت، وقال لي نوح: "اركب معنا"، فقلت: "سأوي إلى جبل يعصمني

- ١٠ (١) في بعض نسخ الرسالة : « عض به » .
(٢) المشرفي : نسبة إلى المشارف ، وهي قرى باليمن ؛ أو هي من أرض العرب تدنو من الريف
تنسب إليها السيوف المشرفية .
(٣) السمهري : الرمح الصليب العود ، ويقال إنه منسوب إلى سمهر ، وهو رجل كان يقوم الرماح
فنسبت إليه . والمثقف : المقوم .
١٥ (٤) في نسخ الرسالة : "ذهب به سيده" .
(٥) في الأصل : « له ذخروا » وهو تحريف . والبيت لأبي تمام من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق .
(٦) في تمام المتون : « هذا العتب » .
(٧) في تمام المتون : « وهذه النبوة » .
(٨) تقشعت السحابة : أفلعت . وفي كتب الأمثال : "عن قليل" . وهو مثل يضرب لانقضاء
الشيء بسرعة .
٢٠ (٩) كذا وردت هذه العبارة في الأصل ؛ والذي في النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة : « ولن يريني
من سيدي أن أبطأ سحابه ، وتأخر غير ضنين غناؤه » و بعد هاتين العبارتين كلام طويل لم يرد في الأصل ، فانظره .
(١٠) البيت لأبي الطيب المتنبي من أبيات كتب بها إلى أبي العشائر الحسين بن حمدان يعاتبه في سبب
حرى عليه من غلمانته .

مِنَ الْمَاءِ^(١) وَتَعَاطَيْتُ فَعَقَّرْتُ^(١)، وَأَمَرْتُ بِنَاءِ صَرْحٍ أَعْلَى أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى^(١)، وَعَكَفْتُ^(١) عَلَى الْعِجْلِ^(١)، وَاعْتَدَيْتُ فِي السَّبْتِ^(١)، وَشَرَبْتُ مِنَ النِّهْرِ الَّذِي آتَيْتُ بِهِ جُنُودَ طَالُوتَ^(١)، وَقُدْتُ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ^(١)، وَعَاهَدْتُ قَرِيْشًا عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ^(٢)، وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ^(٣)،

- (١) يشير بهذه العبارات الست إلى قصص ورد ذكرها في الكتاب العزيز : فيشير بالعبارة الأولى إلى قصة ناقة صالح التي ورد ذكرها في قوله تعالى في سورة القمر : (إنا مرسلو الناقة فتنة لهم) إلى قوله : (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) . ويشير بالثانية إلى قوله تعالى في سورة القصص حكاية عن فرعون : (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري) إلى قوله : (لعلني أطلع إلى إله موسى) . ويشير بالثالثة إلى قوم موسى حين اتخذوا العجل وفتنوا به وقد وردت هذه القصة في قوله تعالى في سورة طه : (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري) إلى قوله حكاية عنهم (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) . ويشير بالرابعة إلى قصة بني إسرائيل واعتدائهم في السبت ؛ قال تعالى في سورة البقرة : (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) الآية . ويشير بالخامسة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : (فلما فصل طالوت بالجنود) إلى قوله تعالى : (فشربوا منه إلا قليلا منهم) . ويشير السادسة إلى قصة أصحاب الفيل التي ذكرها الله تعالى في سورة الفيل حين ساروا إلى الكعبة وأرادوا هدمها وعلى رأسهم أبرهة ابن الصباح أمير اليمن من قبل النجاشي . انظر تفصيل هذه القصص في كتب التفسير .

- (٢) يشير بهذه العبارة إلى صحيفة قريش التي تعاهد فيها كفارها على بني هاشم ؛ وذلك أن قريشا لما رأوا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا إلى الحبشة قد أصابوا في هجرتهم أمنا ورخاء، وعزا ومنعة من النجاشي ملك الحبشة ، ورأت فشو الإسلام في القبائل وإسلام عمر بن الخطاب وغيره من أشرافهم اجتمعوا وتعاهدوا فيما بينهم على ألا ينكحوا من بني هاشم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم ، ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة توثيقا وتوكيدا ، فأنحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى شعب أبي طالب ، وظلوا كذلك سنتين أو ثلاث حتى أجهدهم الضيق ، وكان لا يصل إليهم شيء إلا برا يستخفي به من أراد صلته من قريش ، حتى قام في نقض ما في الصحيفة نفر منهم اجتمعوا على ذلك . انظر تفصيل القصة في كتب السيرة .

- (٣) أشار بهذه العبارة إلى بيعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة التي بين منى ومكة ، ومنها ترمى جرة العقبة ؛ وهي ثلاث بيعات : بايعه في الأولى ستة نفر من الأوس ، وبايعه في البيعة الثانية اثنا عشر، منهم الستة الذين بايعوه في الأولى ، وبايعه في البيعة الثالثة ، سبعون وامرأتان ، انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٦٩٣ طبع جوتنجن . وذكر الصفدي في تمام المتون أن الذين بايعوه في البيعة الثالثة ثلاثة وتسعون وامرأتان .

وَنَفَرْتُ إِلَى الْعِيرِ بِبَدْرٍ ^(١) ، وَأَنخَذْتُ بِثَلَاثِ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ ^(٢) ، وَتَخَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ^(٣) ، وَجِئْتُ بِالْإِفْكِ عَلَى عَائِشَةَ ^(٤) ، وَأَبَيْتُ مِنْ إِمَارَةِ أَسَامَةَ ^(٥) ،

(١) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء ، بينه وبين الجار — وهو ساحل البحر — ليلته . وأشار بهذه العبارة إلى وقعة بدر الكبرى . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع أن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام في عير لقريش عظيمة ، فندب الناس إلى الخروج إليها ، فسمع أبو سفيان من بعض الركبان باستنفار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس له ، فاستأجر رجلا ليذهب إلى مكة فيخبر قريشا بذلك ويستنفرهم إلى أموالهم ، فخرج الرجل إلى مكة وأعلمهم الخبر ، فتجهز الناس سراعا باثم كانت وقعة بدر التي نصر الله فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

(٢) كذا في نسخ الرسالة التي بين أيدينا . وفي الأصل : « وانجزأت » ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة . وأحد : جبل أحمر ليس بذى شناخيب — والشناخيب : رهوس الجبال — بينه وبين المدينة قرابة ميل شمالها ، وعنده كانت وقعة أحد التي قتل فيها كثير من المسلمين ، وقتل فيها حزة عم النبي صلى الله عليه وسلم . وقد أشار ابن زيدون بهذه العبارة إلى انخزال عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بثلاث الناس في هذا اليوم ، وتركه لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه . انظر تفصيل ذلك في كتب السيرة .

(٣) أشار بهذه العبارة إلى غزوه صلى الله عليه وسلم لبني قريظة ، وذلك أنه لما انصرف من غزوة الخندق ووضع المسلمون سلاحهم ، أمره الله تعالى بغزو بني قريظة ، فقال لأصحابه : « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة » وسار ومعه أصحابه ، فجاء وقت العصر وهم في الطريق ، فصلاه جماعة منهم حملا لأمره صلى الله عليه وسلم على قصد السرعة ، وصلاه الباقيون بعد مضي وقتها في بني قريظة حملا للأمر على حقيقته ، فلم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا منهم على عمله ، ثم حاصروا عدوهم خمسة وعشرين يوما حتى نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم .

(٤) أشار بهذه العبارة إلى حديث الإفك الذي رميت به أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها من بعض المنافقين ، وقد ذكره الله تعالى في سورة النور فقال : « إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم » الآية .

(٥) كذا في الأصل ، وفي اللسان مادة « أبي » ما يفيد صحة تعدية هذا الفعل بـ « من » حكى ابن سيدة عن الفارسي أنه يقال « أبي زيد من شرب الماء » والذي في نسخ الرسالة « وأنقت » . وأشار بهذه العبارة إلى ما كان قبل وفاته صلى الله عليه وسلم من تأميره أسامة بن زيد بن حارثة على جيش لقتال الروم ، وكان في هذا الجيش كبار المهاجرين الأولين كابي بكر وعمر وأبي عبيدة ، فانتقد جماعة إمرة أسامة على هذا الجيش وفيه أمثال هؤلاء ، وهو شاب لم يبلغ سبع عشرة من عمره ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قول هؤلاء ، فغضب غضبا شديدا وخرج فقال : أيها الناس فامقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ، ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وإيم الله إنه كان خليقا بالإمارة ، وإن ابنه من بعده لخليق بها .

وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فلتة ^(١) * ورويت روى من كتيبة خالد ^(٢) * ومزقت الأديم الذي باركت يد الله فيه ^(٣)، وضخيت بالأشمط الذي عنوان السجود به ^(٤)، وكتبت الى عمر بن سعد [أن] جعجع بالحسين ^(٥)، وبذلت لقطاع .

(١) يشير بهذه العبارة الى ما ورد في كلام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . — وقد بلغه في آخر حجة جها أن قوما يقولون : لو مات أمير المؤمنين انبايعن فلانا ، نخشى عمر أن يكون في هذا إضعاف لبيعة الناس ، فلما قدم المدينة خطب في الناس وجاء في خطبته قوله : وقد بلغنى أن قائلًا يقول لو مات عمر بايعت فلانا ، فلا يغترون امرؤ منكم أن يقول : كانت بيعة أبي بكر فلتة ؛ وليس فيكم من يقطع الأعناق مثل أبي بكر ؛ وإنه كان من خيرنا الخ ما أورده الصنفى في تمام المتون من هذه الخطية . رواه يونس ابن يزيد عن الزهرى مطولا وزاد فيه : قال عمر فلا يغترون امرؤ منكم أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت فإنها قد كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها . (٢) هذا صدر بيت لأبي شجرة السلمى ، وتمامه : ١٠

* واني لأرجو بعدها أن أعمرها * وسبب هذا الشعر أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما فرغ من قتال بنى حنيفة في حرب الردة انحدر بمن معه الى بنى سليم ، وسمعت بنو سليم بذلك فاجتمعوا لقتاله ، واستجلبوا من بقى من العرب مرتدا ، وكان الذى يجمعهم أبو شجرة بن عبد العزى المتقدم ؛ فقاتلهم خالد حتى هزمهم ، وكان أبو شجرة هذا قد أصاب في هذا اليوم من المسلمين ؛ فقال هذا الشعر الذى منه البيت السابق .

(٣) يشير بهذه العبارة الى قول الشاعر فى رثاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ١٥

جزى الله خيرامن امام وباركت * يد الله فى ذاك الأديم المنزق .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قول حسان بن ثابت يرثى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

(٥) جعجع من الجمععة : وهى الحبس والتضييق . يشير بهذه العبارة الى قصة قتل الحسين بن على رضى الله عنهما ، وذلك أنه لما خرج الحسين رضى الله تعالى عنه الى الكوفة بأشارة من أهلها ليبياعوه بالخلافة فى مدة يزيد بن معاوية نذب ابن زياد لقتاله عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فقال الحسين لعمر : إخر منى إحدى ثلاث : إما تركتنى أرجع ، أو سسيرتنى الى يزيد فأضع يدي فى يده فيحكم فى ما يرى ، فإن أبليت فسيرنى الى الترك أقاتلهم حتى أموت ؛ فأرسل عمر بذلك الى ابن زياد ، فهم أن يسيره الى يزيد فقال بعض من حضر : لا أيها الأمير حتى ينزل على حكمك ، فابى الحسين ذلك ، فكتب عبيد الله بن زياد الى عمر : أن جعجع بالحسين انظر تفصيل ذلك فى كتب التاريخ ؛ وكان قتل الحسين رضى الله تعالى عنه فى سنة إحدى وستين كما فى شذور العقود لابن الجوزى المحفوظ منه فى دار الكتب المصرية نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى تحت رقم ٩٩٤ تاريخ . ٢٠

(١) ثلاثة آلاف وعبدا وقينة * وضرب على بالحسام المخدم^(١)
وتمثلت عند ما بلغنى من وقعة الحرة :^(٢)

ليت أشيأى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل^(٣)
قد قتلنا القرن من أشيأهم * وعدلناه ببدر فاعتدل^(٤)^(٥)

و رجعت الكعبة^(٦) ، وصلبت العائذ بها على الثنية ؛ لكان فيما جرى على ما يحتمل
أن يُسمى نكالا ، ويدعى ولو على المجاز عقابا .

وحسبك من حادثٍ بامرئ * يرى حاسديه له راحمين

(١) المخدم : اسم فاعل من خدمه بتشديد الذال أى قطعه . وفي تمام المتن : « المسمم » ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . وقائل هذا البيت عبد الرحمن بن ملجم قاتل على كرم الله وجهه . وقطام التى أرادها : امرأة بالكوفة كانت جميلة رائقة ، وأراد ابن ملجم التزوج منها ، فشرطت عليه أن يكون صداقها ثلاثة آلاف وعبدا وجارية وقتل على بن أبى طالب ، فقبل ذلك ابن ملجم وقال الشعر الذى منه هذا البيت ، وبعده :

فلا مهر أغلى من على وإن غلا * ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم .

(٢) أراد حرة واقم ، إحدى حرقى المدينة ، وهى الشرقية ، وبها كانت وقعة الحرة المشهورة فى سنة ثلاث وستين ؛ وذلك أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وطرّدوا عامله ، وحاصروا بنى أمية بالمدينة ، فبعث اليهم يزيد بالجنود بقيادة مسلم بن عقبة ، فقتل رجائهم ، واستباح أموالهم وأعراضهم ، ثم أخذ البيعة منهم ليزيد .

(٣) الأسل : الرماح . وقائل هذا الشعر عبد الله بن الزبيرى .

(٤) القرن من القوم : سيدهم .

(٥) عدلناه ببدر فاعتدل ، أى قومناه به فاستقام انظر تاج العروس مادة « عدل » .

(٦) أشار بهذه العبارة التى بعدها الى ما صنعه الحجاج بعبد الله بن الزبير وأصحابه ؛ وذلك أنه فى سنة أربع وستين بويع ابن الزبير بالخلافة وانتظم فى بيعته الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان ، فضاق بذلك عبد الملك بن مروان فندب الحجاج بن يوسف لقتاله ، فسار اليه بمكة ، ونصب المجانيق على أبى قبيس ، وظل الحصار ستة أشهر وسبعة عشر ليلة ، وقتل عبد الله بن الزبير فى هذه الوقعة بحجر من هذه المجانيق وكان قتله فى سنة ثلاث وسبعين ثم صلبه الحجاج بعد قتله على الثنية ، وظل مصلوبا سنة كاملة ثم أنزله .

فكيف ولا ذنب إلا نعمة أهداها كاشح، ونبأ جاء به فاسق؛ والله ما غَشَّشْتُكَ
 بعد النصيحة، ولا آنحرفتُ عنك بعد الصاغية، ولا نصَّبتُ لك بعد التشيع فيك،
 ففيم عَيْثُ الخفاءِ بأذمتي، وعاثَ في مودَّتِي؟ وأتَّى غلبني المغلَّب، ونَفَرَ على الضعيف،
 وأَطَمَّتْنِي غيرُ ذاتِ سوار؟ ومالك لم تمنع مني قبل أن أفترس، وتُدركني ولما أمزق،
 [أم كيف لا تتضرَّم جوائح الأَكفاء حسدا لي على الخصوص بك، وتنتقطع أنفاسُ
 ٥

(١) قال الصنفدي في تمام المتن ص ١٨٣ ما نصه : والصاغية كأنها مصدر صغي يصغو صفوا
 وصاغية . ولم نقف على هذا المصدر فيما راجعناه من كتب اللغة . والمراد بالصاغية هنا : الميل .

(٢) نصب له : عاداه . وأشار بهذه العبارة الى فرقة الناصبة : وهم المنحرفون عن علي بن أبي طالب
 رضى الله تعالى عنه ، وإلى الشيعة ، وهم المتمسكون اليه .

(٣) كذا في الأصل . وعبارة نسخ الرسالة : «وعاث العتوق في موائ» ؛ والمعنى يستقيم على كذا
 الروايتين . والموات بتشديد التاء : جمع مائة : وهي الحرمة والوسيلة .

(٤) عبارة نسخ الرسالة : «ونفر على العاجز الضعيف» . وأشار بهذه العبارة والتي قبلها الى بيت امرئ
 القيس ، وهو :

وإنك لم يفخر عليك كتمان * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

يريد أن أشد . على الانسان أن يفخر عليه ضعيف ويغلبه مغلوب .

(٥) يشير بهذه العبارة الى المثل القائل : «لو ذات سوار لطمتني» ويعنون بذات السوار، الحرّة،
 لأن العرب كانت قلها تلبس الإماء السوار ؛ ويروى : «لو غير ذات سوار» . ويريد ابن زيدون
 بهذه العبارة : لو أني أهنت ممن هو كفى لي في الشرف والمنزلة لهان عليّ ، ولكن سعى بي من هودوني ،
 ونال مني من لا يناظرني في شرف ولا منزلة .

(٦) يشير بهذا إلى قول الشاعر :

فإن كنت ما كولا فكن خير آكل * وإلا فأدركني ولما امزق

وقد تمثل به عثمان بن عفان رضى الله عنه يوم الدار في كتاب بعث به الى علي بن أبي طالب يستنجد به على
 من حاصره .

(٧) هاتان العبارتان لم تردا في الأصل ؛ وقد نقلناهما عن نسخ الرسالة .

(١) النَّظْرَاءُ مَنَافَسَةً فِي الْكَرَامَةِ عَلَيْكَ [وَقَدْ زَانِي أَسْمُ خِدْمَتِكَ ، [وَزَهَانِي وَسَمُ نَعْمَتِكَ]
وَأَبْلَيْتُ [الْبَلَاءُ] (٢) الْجَمِيلُ فِي سِمَاطِكَ ، وَقَمْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ عَلَى بِسَاطِكَ .
أَلَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ نَظْمَ قَصَائِدٍ * هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ (٣) أَنْجُمًا
وَهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بُرْدًا طَرَزْتَهُ بِجَامِدِكَ ، وَتَقَلَّدْتَ الْجَوَازُءَ إِلَّا عَقْدًا فَصَلَّتُهُ
بِمَآثِرِكَ ، وَبَثَّ الْمَسْكُ إِلَّا حَدِيثًا أَذْعَتُهُ بِمَفَاخِرِكَ ، (٤) « مَا يَوْمٌ حَلِيمَةً بِسِرٍّ » وَحَاشَ لِلَّهِ
أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ ، وَأَكُونَ كَالذُّبَالَةِ الْمَنْصُوبَةِ تُضَيُّ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ .
وَفِي فَصْلِ مِنْهُ : وَلَعَمْرِي مَا جَهِلْتُ [أَنْ] الرَّأْيَ فِي أَنْ أَتَحَوَّلَ إِذَا بَلَغْتَنِي
الشَّمْسُ ، وَنَبَا بِي الْمَنْزِلُ ، وَأُضْرِبَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، وَلَا
أَسْتَوِطِي الْعِجْزَ فَيُضْرَبُ بِي الْمَثَلُ : « خَامِرِي أُمٌّ عَامِرٌ » (٥) وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ بِأَنْ الْجَلَاءَ

❦

- (١) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة .
- (٢) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة .
- (٣) في الأصل : « من » والسياق يقتضي ما أثبتنا كما في نسخ الرسالة . والسماط : الصف .
- (٤) البيت للبحراني من قصيدة يعاتب فيها الفتح بن خاقان .
- (٥) كذا في النسخ التي بين أيدينا هذه الرسالة . والذي في الأصل : « أضعته » بالضاد المعجمة ، وهو تحريف .
- (٦) هو مثل يضرب لكل أمر متعارف مشهور ، ويضرب أيضا للشريف النابه الذكر ؛ والمراد هنا الأول ، وحليمة : هي بنت الحارث بن أبي شمر ؛ وكان أبوها قد وجه جيشا إلى المذخر بن ماء السماء ، فأخرجت لهم طيبا من مرقن فطيتهم ؛ وهذا اليوم من أشهر أيام العرب .
- (٧) كذا في الذخيرة لابن بسام المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٤٧ أدب ؛ والذي في الأصل : « ما جهات الرأي » بدون « أن » . ويشير بهذه العبارة إلى قول أبي تمام من قصيدة وجه بها إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم :
وإن صريح الرأي والحزم لا مري * إذا بلغته الشمس أن يتحول
- (٨) أم عامر : كنية الضبع ، ويقال لها : أم عمرو أيضا . وهذا المثل يضرب لمن عرف الدنيا في نقضها عقود الأمور بإيراد البلاء عقيب الرخاء ، ثم يسكن إليها مع ما علم من عاداتها ، كما تغتر الضبع بقول القائل : « خامري أم عامر » وهي عبارة يقولها من أراد أن يصيدها لتطمئن إليه ؛ ومعناها : استترى والحقني إلى أقصى مغارك .

(١) سِبَاءٌ ، وَالنَّقْلَةُ مَثَلَةٌ ، لَعَارَفٌ أَنْ الْأَدَبَ الْوَطْنَ الَّذِي لَا يُخَشَى فِرَاقُهُ ، وَالْحَايَظُ الَّذِي لَا يُتَوَقَّعُ زَوَالُهُ ، وَالنَّسَبُ الَّذِي لَا يُجْفَى ، [وَالْجَمَالُ] الَّذِي لَا يُخْفَى ، ثُمَّ مَا قِرَانُ السَّعْدِ لِلْكَوَاكِبِ أَهْبَى أَثَرًا ، وَلَا أَسْنَى خَطَرًا ، مِنْ اقْتِرَانِ غِنَى النَّفْسِ بِهِ ، وَانْتِظَامِهَا نَسَقًا مَعَهُ ، فَإِنَّ الْحَائِزَ لَهَا ، الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا — وَقَلِيلٌ مَا هُمْ — [أَيُّهَا تَوَجَّهَ وَرَدَ مِنْهُلَ بَرٍّ ، وَحُطِّ فِي جَنَابِ قَبُولٍ ، وَضُوحِكَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ ، وَأُعْطِيَ حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ ٥
وَقِيلَ لَهُ : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا * فَهَذَا مَيِّتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقٌ

غَيْرَ أَنَّ الْمَوْطَنَ مَحْبُوبٌ ، وَالْمَذْنَشَأُ مَأْلُوفٌ ، وَاللَّيْبُ يَحِنُّ إِلَى وَطْنِهِ ، [حَنِينَ النَّجِيبِ إِلَى عَطْنِهِ] ، وَالْكَرِيمُ لَا يَجْفُو أَرْضًا فِيهَا قَوَائِلُهُ ، وَلَا يَنْسَى بِلَادًا فِيهِ مَرَاضِعُهُ ، وَأَنْشُدْ قَوْلَ الْأَوَّلِ :

١٠ أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعِجٍ * إِلَى وَسَلْمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا

- (١) الجلاء : الخروج عن الموطن . والسبأ : الأسر .
- (٢) في الأصل : « لا يجتنى » وهو تحريف ، والتصويب عن نسخ الرسالة .
- (٣) في تمام المتن : « زِيَالُهُ » والزِيَالُ بكسر أوله : الفراق .
- (٤) في بعض النسخ : « والنسب » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .
- (٥) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ولا في الذخيرة لابن بسام ، وقد أثبتناها عن بعض نسخ الرسالة .
- (٦) كذا في نسخ الرسالة ، والذي في الأصل : « وحق » بالقاف .
- (٧) يشير بهذا إلى قول عمرو بن الأهتم ، وقيل حاتم الطائي :
أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله * ويخصب عندي والزمان جديب
- (٨) لم ترد هذه العبارة في الأصل ، وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة .
- (٩) منعج : هو واد يأخذ بين حفر أبي موسى والنباج ، ويدفع في بطن فلج . (يا قوت) وسلمى : جبل لطي شرق المدينة ، وغريبه واد يقال له : « رك » به نخل وآبار مطوية بالصخر ، وبجانبه جبلان أحمران ، وأعلاه برقة انظر تاج العروس مادة « سلم » .

بَلَادُهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِي * وَأَقُولُ أَرْضَ مَسِّ جِلْدِي تَرَابُهَا^(١)
 هَذَا إِلَى مُغَالَاتِي فِي تَعَلُّقِ جَوَارِكِ، وَمِنَافَسَتِي فِي الْحِظِّ مِنْ قُرْبِكَ، وَأَعْتَقَادِي أَنَّ^(٢)
 الطَّمَعِ فِي غَيْرِكَ طَبَعٌ، وَالْغِنَى مِنْ سِوَاكَ عَنَاءٌ، وَالْبَدَلُ مِنْكَ أَعُورٌ، وَالْعِوَضُ لَفَاءٌ.^(٣)
 وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي * ضَنْناً بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ^(٤)
 «كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا» وَ«فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ، وَأَسْتَمِجِدُ الْمَرْخَ وَالْعَفَارَ»^(٥)،
 فَمَا هَذِهِ الْبَرَاءَةُ مِمَّنْ تَوَلَّاهُ، وَالْمَيْلُ عَمَّنْ يَمِيلُ إِلَيْكَ؟ وَهَلَا كَانَ هَوَاكَ فَيَمُنُّ هَوَا
 فَيْكَ، وَرِضَاكَ لِمَنْ رِضَاهُ لَكَ؟^(٦)

- (١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالذِّخْرَةُ لِابْنِ بَسَامٍ وَغَيْرِهِمَا مِنْ نَسْخِ الرِّسَالَةِ : وَرَوَاهُ يَاقُوتٌ فِي مَعْجَمِهِ :
- « حُلٌّ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ . وَذَكَرَ يَاقُوتٌ أَنَّ هَاتَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ وَلَمْ يَعْنِهِ .
- (٢) فِي بَعْضِ نَسْخِ الرِّسَالَةِ « إِلَى مُغَالَاتِي بِعَقْدِ » وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ ؛ وَالْمُغَالَاةُ فِي الشَّيْءِ :
 إِغْلَاؤُهُ .
- (٣) الطَّبَعُ : الدَّنَسُ .
- (٤) ذَكَرَ الصَّفْدِيُّ فِي تَمَامِ الْمُتُونِ أَنَّ أَوَّلَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَاجِبِ لَمَّا صَرَفَ عَنْ وِلَايَةِ
 خِرَاسَانَ بِقَتِيْبَةِ بْنِ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيِّ وَكَانَ شَخِيحًا وَشَيْخًا أَعُورٌ ، قَالَ النَّاسُ : هَذَا بَدَلُ أَعُورٍ . وَفِي الْأَصْلِ :
 « أَعُوَازٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيْفٌ .
- (٥) فِي الْأَصْلِ : « لَفَاءٌ » بِالْقَافِ الْمُتَنَاءُ ، وَهُوَ تَصْغِيْفٌ . وَاللَّفَاءُ بِالْفَاءِ الْمُوَحَّدَةُ : التَّرَابُ
 أَوِ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ ، أَوْ هُوَ مَا دُونَ الْحَقِّ
- (٦) ذَكَرَ الصَّفْدِيُّ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ لِعَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ .
- (٧) الْمَرْخُ : مِنَ الْعِضَاءِ ، وَهُوَ يَنْفَرُشُ وَيَطْوِلُ فِي السَّمَاءِ حَتَّى يَسْتَظِلَّ فِيهِ ، وَلَيْسَ لَهُ وَرَقٌ وَلَا شَوْكٌ ،
 وَمِنْهُ يَكُونُ الزَّنَادُ الَّذِي يَمْتَدِّحُ بِهِ ؛ وَالْوَاحِدُ مَرْخَةٌ . وَالْعَفَارُ : شَجَرَةٌ تَشْبَهُ شَجَرَةَ الْغَبِيرَاءِ الصَّغِيرَةِ ، وَنُورُهَا
 كَنُورِهَا ، وَهُوَ شَجَرٌ خَوَارٌ ، وَلِذَلِكَ جَادَ لِلزَّنَادِ ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ بِالْمَرْخِ وَالْعَفَارِ الْمَثَلُ فِي الشَّرَفِ وَعُلُوِّ
 الْمَنْزِلَةِ ، فَيَقُولُونَ : « فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ ، وَأَسْتَمِجِدُ الْمَرْخَ وَالْعَفَارَ » وَفِي الْقَامُوسِ مَادَّةُ « مَجِدٌ » أَنَّ مَعْنَى
 قَوْلِهِمْ : « اسْتَمِجِدُ الْمَرْخَ وَالْعَفَارَ » اسْتَكْثَرْتُ مِنْ النَّارِ .

(١) يا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ * وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ
 أُعِيدُكَ وَنَفْسِي مِنْ أَنْ^(٢) أَشِيمَ خُلْبًا ، وَأَسْتَمِطِرَ جَهَامًا ، وَأَكْدَمَ غَيْرَ مَكْدَمٍ ، وَأَشْكُو^(٣)
 شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعِقْبَانِ وَالرَّخِمِ ؛ وَإِنَّمَا أَبْسَسْتُ لَكَ لَتِدْرَ ، وَحَرَكْتُ لَكَ الْخُورَ^(٤)
 لَتَحِنَّ ؛ وَسَرَيْتُ لَكَ لِيَحْمَدَ الْمَسْرَى^(٥) إِلَيْكَ ؛ بَعْدَ الْيَقِينِ مِنْ أَنَّكَ إِنْ شَدَّتْ عَقْدَ أَمْرِي^(٦)
 تَيْسَرُ ، وَمَتَى أَعَذَرْتَ فِي فِكَ أَسْرَى^(٧) لَمْ يَتَعَذَّرْ ؛ وَعِلْمُكَ يُحِيطُ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ
 النِّعْمَةِ ، وَالشُّفَاعَةُ زَكَاةُ الْمَرْوَةِ ، وَفَضْلُ الْجَاهِ تَعُودُ بِهِ صَدَقَةٌ .

وَإِذَا أَمْرٌ أَسْدَى^(٨) إِلَيْكَ صَنِيعَةً * مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ
 لَعَلَّ أَلْقَى الْعَصَا بِذِرَاكٍ^(٩) ، وَتَسْتَقِرُّ بِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ ، قَدْ سَتَدَّ جَنَى شَكْرِي مِنْ
 غَرْسِ عَارِفَتِكَ ، وَتَسْتَطِيبَ عَرَفَ ثَنَائِي مِنْ رَوْضِ صَنِيعَتِكَ ؛ وَأَسْتَأْنِفَ التَّادِبَ

١٠ (١) في الأصل : « يا مَنْ لَا يَعِزُّ » و « لَا » زيادة من النسخ يختلف بها الوزن والمعنى ؛ وهذا البيت لأبي الطيب المتنبي .

(٢) في الأصل : « مِمَّن » ؛ وهو تحريف .

(٣) الجهام : السحاب لا ماء فيه .

(٤) الإبساس : أن يقال للناقة عند حلبها : بس بس بضم الباء وتشديد السين تسكيناً لها . والمراد

١٥ بهذه العبارة والتي بعدها أنه قد استعطفه بالكلام ولاينه في الخطاب ليعطف عليه ويلين له .

(٥) يشير بهذه العبارة إلى قولهم في المثل : « حرك لها حوارها تحن » والحوار : ولد الناقة ،

ولا يزال حواراً حتى يفصل ؛ ويضرب هذا المثل في تذكير المرء بعض أشجانه ليهتاج .

(٦) كذا في تمام المتون ؛ والذي في الأصل : « إليك » ولم تنبأها مع صحتها لحصول التكرار بها مع

ما بعدها .

٢٠ (٧) يشير بهذه العبارة إلى قولهم : « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو مثل يضرب للرجل

يحمل المشقة لأجل الراحة .

(٨) في الأصل : « أَمْرِي » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٩) البيت لأبي تمام من قصيدة كتب بها إلى إسحاق بن ربيع كاتب أبي دلف .

(١٠) بذراك : أي بظلك ؛ يقال : فلان في ذرا فلان أي في كنفه وظله .

(١) بَأَدِيكَ ، وَالْأَحْتِمَالُ عَلَى مَذْهَبِكَ ؛ فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ لِحِظَةٍ ، وَلَا أَدَعُ لِلْقَادِحِ مَسَاحَ لَفْظَةٍ ؛ وَاللَّهُ مَيَّسِرُكَ ^(٢) مِنْ إِبْطَالِي هَذِهِ الطَّلِبَةِ ^(٣) ، وَإِشْكَائِي ^(٤) مِنْ هَذِهِ الشُّكُوفِ لِصَنِيعَةٍ تَصِيبُ بِهَا طَرِيقَ الْمَصْنَعِ ، وَيَدٌ تَسْتَوْدَعُهَا أَحْفَظُ مُسْتَوْدَعٍ ؛ حَسْبَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ ؛ فَذَلِكَ بِيَدِهِ ، وَهَيْنٌ عَلَيْهِ . وَشَفَعَهَا بِأَبْيَاتٍ فَقَالَ :

الْمَهْوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ * وَالْمُنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النَّسِيمِ
سَرَّتْنَا عَيْشُنَا الرِّقِيقُ الْحَوَاشِي * لَوْ يَدُومُ السُّرُورُ لِلْمُسْتَدِيمِ
وَطَرٌّ مَا أَتَقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى * زَمَنٌ مَا ذِمَامُهُ بِالذَّمِّ
زَارٌ مُسْتَخْفِيًا وَهِيَّاتُ أَنْ يَخْ * تَفَى الْبَدْرُ فِي الظَّلَامِ الْبَهِيمِ
فَوَشَى الْحَلِيَّ إِذْ مَشَى وَهَفَا الطَّيْ * بُ إِلَى حَيْثُ كَاشَحٌ بِالْتَّمِيمِ
أَيُّهَا الْمُؤْذِنِي بِظُلْمِ اللَّيَالِي * لَيْسَ يَوْمِي بِوَاحِدٍ مِنْ ^(٥) ظُلُومِ

(١) كَذَا فِي بَعْضِ نَسَخِ الرِّسَالَةِ . وَفِي الْأَصْلِ : « النَّادِبُ بِكَ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مَيَّسِرُكَ » بِتَقْدِيمِ السَّيْنِ عَلَى الْيَاءِ ؛ وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِقَوْلِهِ فِيمَا يَأْتِي : « لِصَنِيعَةٍ » .

(٣) الْإِبْطَالُ : مَصْدَرُ أَطْلَبَ إِذَا أَعْطَاهُ مَا يُطْلَبُ ؛ يُقَالُ طَلَبْتُ مِنْهُ كَذَا فَأَطْلَبَنِي إِيَّاهُ ، أَيْ أَسْعَفَنِي بِقَضَائِهِ . وَالطَّلِبَةُ بِكَسْرِ اللَّامِ : الْحَاجَةُ . وَعِبَارَةُ الْأَصْلِ : « مِنْ هَذِهِ الطَّلِبَةِ » ؛ وَقَوْلُهُ : « مِنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ ؛ فَإِنْ « أَطْلَبَ » مِنْ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَتَعَدَّى بِنَفْسِهَا ؛ وَلَمْ تَقِفْ عَلَى تَعْدِيَّتِهِ بِالْحَرْفِ أَنْظَرَ اللِّسَانَ وَغَيْرَهُ مِنْ كُتُبِ اللَّفْظَةِ .

(٤) الْإِشْكَاءُ : مَصْدَرُ أَشْكَيْتُهُ إِذَا أَزَلْتَ شِكَايَتَهُ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَجَرَى » ؛ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ الذَّخِيرَةِ لِابْنِ بَسَامٍ الْمُحْفُوظُ مِنْهَا بَعْضُ أَجْزَاءِ مَخْطُوطَةِ بَدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ تَحْتَ رَقْمِ ٢٣٤٧ أَدَب .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « بَوَاجِدُ » بِالْجِيمِ الْمَعْجَمَةِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيْفٌ ؛ يُرِيدُ أَنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَوْذَى فِيهِ وَنَكَبَ لَيْسَ هُوَ الْوَحِيدُ مِنْ دَهْرِ ظُلُومٍ .

ما ترى البدر إن تأملت والشمس * سس ههما يكسفان دون النجوم^(١)
وهو الدهر ليس ينفك ينحو * بالمصاب العظيم نحو العظيم
بؤا الله جهورا أشرف الشؤ دد في السر^(٢) واللباب الصميم
واحد سأل الجميع له النض * بل وكان الخصوص وفق العموم
قلد الغمر^(٣) ذا التجارب فيه * وآكتفى جاهل بعلم عليم^(٤)

(١٠٧)

ومنها في ذكر اعتقاله :

سقم لا أعاد منه وفي الع * مائد أنس يفنى بئر السقيم
نار بغني سرت إلى جنة الأر * ض بياتا فأصبحت كالصريم
بأبي أنت إن تشأتك بردا * وسلاما ككنار إبراهيم^(٥)
للشفيع الثناء ، والحمد في صو * ب الحيا للرياح لا للغيوم

ثم قال : هاكها أعزك الله يبسطها الأمل ، ويقبضها النجل ، لها ذنب التقصير ،
وحرمة الإخلاص ، فهب ذنبا حرمة ، وآشفع نعمة بنعمة ، لتأتى الإحسان من جهاته ،
وتسلك الفضل من طرقاته ، إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل : « كما » وهو تحريف .

(٢) الغمر بفتح أوله وضحه : الجاهل الذي لم يجرب الأمور .

(٣) في الأصل : « والتجارب » ؛ والتصويب عن بعض نسخ الرسالة إذ به يستقيم المعنى .

(٤) في الأصل : « نسابك » ؛ وفي نسخ الرسالة : « أن لسانك » ؛ وكلاهما تحريف لا يظهر له

معنى ؛ ولم يرد هذا البيت في الذخيرة ضمن هذه القصيدة .

(٥) في الأصل : « المعنى » وهو تحريف ، والتصويب عن بعض نسخ الرسالة .

ومن كلام أبي عبد الله محمد بن أبي الحِصَال من جواب لأبن
بَسَام — وكان قد كتب إليه يسأله إنفاذ بعض رسائله ليضمّنها كتابه الذي ترجمه
بالذخيرة، فكتب :

وَصَل من السَّيِّدِ الْمُسْتَرْقِ ، وَالْمَالِكِ الْمُسْتَحَقِّ — وَصَل الله أَنْعَمَهُ لَدِيهِ ،
كَمَا قَصَرَ الْفَضْلَ عَلَيْهِ — كِتَابُهُ الْبَلِيغُ ، وَأَسْتَدْرَاجُهُ الْمَرِيغُ ؛ فَلَوْلَا أَنْ يَصِلَ زَنْدُ^(١)
أَقْدَاحِهِ ، وَيُرَدَّ طَرْفُ افْتِتَاحِهِ ؛ وَتُقَبَّضَ يَدُ أَنْبَسَاطِهِ ، وَتُغْنَى صَفْقَةُ آغْتِبَاطِهِ ؛
لِلزَّمْتُ مَعَهُ قُدْرِي ، وَضَنْ بَسْرِهِ صَدْرِي ؛ لِكُنْه بِنَفْقَةِ سِحْرِهِ يَسْتَنْزِلُ الْعَصْمَ فَتُجَنَّبُ^(٢) ،
وَيَقْتَادُ الصَّعْبَ فَيُصْحَبُ^(٣) ، وَيَسْتَدِيرُ الصَّخُورَ فَتُحَلَّبُ ؛ وَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُ ابْتِدَادِهِ ،
وَقَرَعَ سَمْعِي نِدَاءَهُ ؛ فَرِزْتُ إِلَى الْفِكْرِ ، وَخَفَقَ الْقَلْبُ بَيْنَ الْأَمْنِ وَالْحَذَرِ ؛ فَطَارَدْتُ مِنْ^(٤)
الْفَقْرِ أَوَابِدَ قَفْرِ ، وَشَوَارِدَ عَفْرِ ، تُغَيِّرُ فِي وَجْهِ سَائِقِيهَا ، وَلَا يَتَوَجَّهُ اللَّحَاقُ إِلَى وَجْهِهَا^(٥)
وَلَا حَقِيهَا ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهَا الْإِهَابَةُ وَالْمَهَابَةُ ، وَالْإِجَابَةُ وَالْأَسْتِرَابَةُ ؛ حَتَّى أَيَّاسْتُنِي الْخَوَاطِرُ ،^(٦)

(١) في الأصل : " المريع " بالعين المهملة ؛ وهو تحريف ؛ والمريع : المخادع .

(٢) صلد الزند يصلد بكسر اللام : صوت ولم يخرج نارا .

(٣) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذي في ذراعيه بياض ؛ يقال : هو يستنزل العصم بلفظه ،
أى يذل الصعاب بسحر منطقته وحسن حديثه . وتجنب : أى تنقاد ؛ يقال : جذبت الفرس اذا قدته
الى جنبك فهو جنب ومجنوب .

(٤) في كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب : « فرغت » بالعين المعجمة والراء ؛ والمعنى يستقيم
عليه أيضا .

(٥) كذا في كتاب المعجب ص ١٢٥ طبع ليدن . وتغير من الاغبار ، وهو إثارة الغبار . وفي الأصل :
« تغز » ؛ وفيه نقص وتصحيف .

(٦) الوجيه ولاحق : اسما فرسين نجيبين من خيل العرب ؛ ونقل صاحب تاج العروس عن ابن الكلبي
مادة « وجه » أنهما كانا لغني بن أعصر .

وأخلفتني المَواطِرُ ، إلا زبرجا يَعْقُبُ جوادا ، وبهرجا لا يَحْتَمِلُ انتقادا ؛ [وأنى
 لِمِثْلِي والقَرِيحَةُ مُرْجَاةٌ ^(٢)] والبضاعة مُرْجَاةٌ ؛ ببراءة الخطاب ، وبراءة الكتاب ، ولولا
 دروسُ معالم البيان ، واستيلاءُ العَفَاءِ على هذا اللسان ؛ ما فاز لِمِثْلِي فيه قِدْحٌ ،
 ولا تحَصَّلَ لِي في سوقه رِبْحٌ ؛ ولكنه جوٌّ خال ، ومِضمارٌ جُهَّالٌ ؛ وأنا أعزك الله
 أربأً بقدر الذخيرة ، عن هذه التَّنَفُّ الأَخيرة ؛ وأرى أنها قد بلغت مداها ، واستوفت
 حُلَّالها ؛ وإنما أخشى القِدْحَ في اختيارِك ، والإِخْلَالَ ^(٣) بِمِخْتَارِك ؛ وعذرا اليك —
 أيدك الله — فإنني خَطَطْتُ والنومُ مغازل ، والقُرْآنُ نازل ؛ والريحُ تلعب بالسراج ،
 وتصول عليه صَوْلَةُ الْحَاجِّاجِ .

ثم أخذ في وصف السراج كما ذكرناه في الباب الرابع من القسم الثاني من الفن
 الأول في السفر الأول من هذا الكتاب .

ومن كلام الوزير الفقيه أبي القاسم محمد بن عبد الله بن الجَدِّ ^(٤) ،
 من رسالة خاطب بها ذا الوزارتين أبا بكر المعروف بابن القصيرة — وقد قربت
 بينهما المسافة ولم يتفق اجتماعهما — :

لم أزل — أعزك الله — استنزل قربك براحة الوهم ، عن ساحة النجم ؛
 وأنصب لك شَرَكَ المني ، في خُلْسِ الكرى ^(٥) ، وأعلل فيه نفس الأمل ، بضرب
 سابق المثل :

(١) المراد بالزبرج هنا : السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه .

(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن كتاب المعجب ص ١٢٥ طبع ليدن . ومرجاة :
 من الإرجاء ، وهو التأخير .

(٣) كذا في المعجب ؛ والذي في الأصل : « والاختلا » ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا ضبط هذا الاسم بالقلم في المعجب ص ١٢٤ طبع ليدن .

(٥) في الأصل : « الكرم » ؛ وهو تحريف .

ما أقدر الله أن يُدنى على شَحِيط * مَن دارُهُ الحُزْنُ مِمَّن دارُهُ صَوْلُ^(١)

فما ظَنُّكَ به وقد نزل على مسافة يوم [وطالما نفر عن حِبالة نوم] ، ودنا حتى همَّ^(٢)
بالسلام ، وقد كان من خُدَع الأحلام ، وناهيك من ظمئٍ وقد خُمْتُ حول المَوردِ الحَصَرِ ،
وذَمَّمْتُ الرِّشَاءَ بالقِصَرِ ، ووقف بي ناهضُ القَدَرِ ، وقفَّة العَيرِ بين الوِردِ والصَّدَرِ ،
فهلَّا وُصِلَ ذلك الأملُ بباع ، وسمح الزمنُ باجتماع ، وطُوِيَت بيننا رقعةُ الأُميالِ ،
كما زُوِيَت مراحِلُ أَيَّامٍ وليالٍ ، وما كان على الأَيَّامِ أو غفلت قليلا ، حتى أَشْفَى بِلِقائِكَ^(٣)
غليلا ، وأتَسَمَّ من رَوحِ مشاهدتك نفسا بليلا ، ولئن أقعدتني بعوائقها عن لقاءِ حُرِّ ،
وقضاءِ بَرٍّ ، وسَفَرٍ قَريبٍ ، وظَفَرٍ غَريبٍ ، فما تَحَيَّفْتُ ودادى ، ولا ارتَشَفْتُ مِدَادى ،
ولا غاضت كلامي ، ولا أَحَفْتُ أَقلامِي ، وحسبي بلسان النِّبْلِ رسولا ، وكفى بوصوله^(٤)
أملا وسُولا ، ففي الكتاب بُلْغَةُ الوَطَرِ ، وَيُسْتَدَلُّ على العين بالأَثَرِ ، على أنى إنمَّا^(٥)
وَحَيْتُ وَحَى المُشير باليسير ، وأَحَاتُ فهِمَكَ على المسطور في الضمير ، وإن فرغت^(٦)
للمراجعة ولو بحرف ، أو لَمَحَ طَرَفٌ ، وصلتَ صديقا ، وبَلَلْتَ رِيقا ، وأَسَدَيْتَ يدا ،
وَشَفَيْتَ صدى ، لا زالت أياديك بيضا ، وجاهُك عريضا ، ولياليك أسحارا ،
ومساعيك أنوارا .

- ١٥ (١) الحزن : بلاد بنى يربوع ، وهى أطيب البادية مرعى . وصول : مدينة فى بلاد الخزر فى نواحى
باب الأبواب . (٢) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الذخيرة ليتم بها السجع
الذى التزمه الكاتب فيما أثبت هنا من رسالته . (٣) يقال : ناهيك من كذا بمعنى حسبك ، أى أنه
غاية تنهاك عن طلب غيره . (٤) الرشاء : الحبل ؛ يريد بهذه العبارة تشبيه حاله فى المقاربة وعدم
استطاعة اللقاء بحبل الدلو الذى يقارب الماء ولا يصل اليه لتقصده . (٥) عبارة الأصل : « على
رويت مراحم » وهو تحريف . (٦) يقال : تحيقت الشيء ، أى تنقصته من نواحيه .
٢٠ (٧) فى الأصل : « اقدامى » بالدال ؛ وهو تحريف . (٨) يريد بلسان النبيل ، كتابه اليه .
(٩) الوحى : الكتابة أو الإشارة .

ومن كلام أبي عبد الله محمد بن الخياط من رُقعة طويلة
الى الحاجب المظفر، أولها :

حجَبَ الله عن الحاجب المظفر أعين النائبات ، وقَبَضَ دونه أيدي الحادثات .
وجاء منها : وَرَدَ له كِتَابٌ كَرِيمٌ جَعَلْتُهُ عِوَضَ يَدِهِ الْبَيْضَاءِ فَقَبَّلْتُهُ ، وَلَمَحْتُه بَدَلِ
غُرَّتِيهِ الْغَرَاءِ فَأَجَلَّيْتُهُ ، كِتَابَ أَلْقَى عَلَيْهِ الْحَبْرُ حَبْرَهُ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ السَّحَرُ فَقَرَهُ ، أَنْذَرَ^(٢)
بِبُلُوغِ الْمُنَى ، وَبَشَّرَ بِمَحْصُولِ الْغِنَى ، تُخَيِّرُ لَهُ الْبَيَانَ فُطْبِقُ مَفْصَلَهُ ، وَرَمَادَ الْبَنَانِ^(٣)
فَصَادَفَ مَقْتَلَهُ ، وَوَصَلَ مَعَهُ الْمُلُوكُ وَالْمُلُوكَةُ اللَّذَانِ سَمَّاهُمَا هَدِيَّةً ، وَتَنَزَّهَ كَرَمًا أَنْ
يَقُولَ عَطِيَّةً ، هِمَّةً تَرْجُمُ السَّمَاءَ كَيْنَ ، وَنِعْمَةً تَمَلَأُ الْأُذُنَ وَالْعَيْنَ ، وَمَا حَرَّكَ -- أَيْدِيهِ
اللَّهُ -- بِكُتَابِهِ سَا كُنَّا بِحَمْدِهِ ، وَلَا نَبْهَ نَأْمًا عَنْ قَصْدِهِ ، كَيْفَ وَقَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ
الَّتِي صَارَ بِهَا الْمَغْرِبُ شَرْقًا ، وَحَبَّتِ الرِّيحُ الَّتِي صَارَ بِهَا الْحَرَمَانُ رِزْقًا ، صَاحِبُ لُؤَاءِ
الْحَمْدِ ، وَفَارَسُ مَيْدَانِ الْمَجْدِ .

وهي رُقعة طويلة قد ذكرنا منها في المديح فصلا لا فائدة في إعادته .

ومن كلام أبي حفص عمر بن برد الأصغر الأندلسي ،
فمن ذلك أمانٌ كَتَبَهُ لِمَنْ عَصَى وَعَاوَدَ الطَّاعَةَ :

أما بعد ، فَإِنَّ الْغَلْبَةَ لَنَا وَالظُّهُورَ عَلَيْكَ جَلْبَابُكَ إِلَيْنَا عَلَى قَدَمِكَ ، دُونَ عَهْدِ^(٤)
وَلَا عَقْدٍ يَمْنَعَانِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمِكَ ، وَلِكُنَّا بِمَا وَهَبَ اللَّهُ لَنَا مِنَ الْإِشْرَافِ عَلَى سِرَائِرِ^(٥)

(١) الحبر بكسر الحاء وفتحها : العالم . والحبر بكسر الحاء وفتح الباء : برود يمنية ، واحده حبرة
كعنية ؛ يريد تشبيه الكلام في الحسن والرونق بحسن تلك البرود ووشيتها .

(٢) يستعمل الإنذار بمعنى الإعلام مطلقا سواء أكان بخير أم بشر ؛ والمراد هنا الاول .

(٣) في الأصل : «البيان» بالياء المثناة ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا في الذخيرة لابن بسام ؛ والذي في الاصل : «جلبابك» ؛ والباء زيادة من النسخ

إذ لم تقف فيما لدينا من كتب اللغة على تعدية هذا الفعل بالباء . (٥) في الذخيرة : «أسرار» .

الرَّيَاسَةِ ، وَالْحَفِظَ لَشَرَائِعِ السِّيَاسَةِ ؛ تَأَمَّلْنَا مَنْ سَاسَ جِهَتَكَ قَبْلَنَا فَوَجَدْنَا يَدَ سِيَاسَتِهِ
نَحْرَقَاءَ ، وَعَيْنَ حِرَاسَتِهِ عَوْرَاءَ ، وَقَدَّمَ مَدَارَاتِهِ شَأْلَاءَ ، لِأَنَّهُ غَابَ عَنِ تَرْغِيْبِكَ فَلَمْ تَرْجُهُ ،
وَعَنِ تَرْهِيْبِكَ فَلَمْ تَخْشَهِ ؛ فَأَدَّتْكَ حَاجَتُكَ إِلَى طُلَابِ الْمَطَامِعِ الدُّنْيَا ، وَقِلَّةُ مَهَابَتِكَ
إِلَى التَّهَالُكِ عَلَى الْمَعَاصِي الْوَبِيَّةِ ؛ وَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ تُظْهِرَ فَضْلَ سِيرَتِنَا فِيكَ ، وَتَعْتَبِرَ بِالنَّظَرِ
فِي أَمْرِكَ ، فَمَهَّدْنَا لَكَ التَّرْغِيْبَ لِتَأْنَسَ إِلَيْهِ ، وَظَلَمْنَا لَكَ التَّرْهِيْبَ لِتَفَرَّقَ مِنْهُ ، فَإِنْ
سَوَتْ الْحَالَتَانِ طَبْعَكَ ، وَدَاوَى الثَّقَافُ وَالنَّارُ عُودَكَ ، فَذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْكَ ،
وَبِإِظْهَارِهِ حُسْنَ السِّيَاسَةِ فِيكَ ؛ وَأَمَّا اللَّهُ تَعَالَى بِسُوءِ مَنَّا ، وَمَوَاقِفِهِ بِالرِّفَاءِ
مَعْقُودَةً عَلَيْنَا ، وَأَنْتَ إِلَى جِهَتِكَ مَصْرُوفٌ ، وَبِعَفْوِنَا وَالْعَافِيَةِ مِنَّا مَكْنُوفٌ ، إِلَّا أَنْ
تَطِيشَ الصَّنِيعَةَ عِنْدَكَ فَتَخْلَعَ الرِّبْقَةَ ، وَتَمْرُقَ مِنَ الطَّاعَةِ ، فَلَسْنَا بِأَقُولَ مِنْ بَغْيٍ عَلَيْهِ ،
وَلَسْتُ بِأَقُولَ مَنْ تَرَأَتْ لَنَا مَقَاتِلُهُ مِنْ أَشْكَالِكَ إِنْ بَغَيْتَ ، وَانْفَتَحَتْ لَنَا أَبْوَابُ
اسْتِئْصَالِهِ مِنْ أَمْثَالِكَ إِنْ طَلَبْتَ .

وَمِنْ كَلَامِهِ يِعَاتِبُ بَعْضَ إِخْوَانِهِ :

أَظَلَمَ لِي جَوْ صَفَائِكَ ، وَتَوَعَّرْتُ عَلَى طُرُقِ إِخَائِكَ ؛ وَأَرَاكَ جَلَدَ الضَّمِيرِ عَلَى
الْعِتَابِ ، غَيْرَ نَاقِعِ الْغَلَّةِ مِنَ الْجَفَاءِ ؛ فَلَيْتَ شَعَرِي مَا الَّذِي أَقْصَى بِهِجَةً ذَلِكَ الْوَدَّ ،
وَأَذْبَلَ زَهْرَةَ ذَلِكَ الْعَهْدِ ؛ عَهْدِي بِكَ وَصِلْتُنَا تَفَرَّقَ مِنْ أَسْمِ الْقَطِيعَةِ ، وَمُودَّتُنَا
تَسْأَلُ عَنْ صِفَةِ الْعِتَابِ وَنَسْبَةِ الْجَفَاءِ ، وَالْيَوْمَ هِيَ آتِنُ بِذَلِكَ مِنَ الرُّضِيعِ بِالشَّدَى ،
وَالْخَلِيعِ بِالْكَأْسِ ؛ وَهَذِهِ تُغَرَّةٌ إِنْ لَمْ تَحْرُسْهَا الْمَرَاجِعَةُ ، وَتَذْكُ فِيهَا عَيُونُ الْإِسْتَبْصَارِ
تَوَجَّهْتُ مِنْهَا الْحَيْلُ عَلَى هَدَمِ مَا بَنَيْنَا ، وَنَقِضِ مَا اقْتَنَيْنَا ؛ وَتِلْكَ نَائِحَةُ الصَّفَاءِ ،
وَالصَّارِخَةُ بِمَوْتِ الْإِخَاءِ ؛ لَا أَسْتِنِدُ أَعْزَكَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ إِلَيْكَ — وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ

(١٠٩)

٢٠ (١) فِي الْأَصْلِ : «الاشْبِيطَر» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٢) فِي الذِّخِيرَةِ : «وَالصَّاحَّة» ؛ وَالْمَعْنَى
يَسْتَعْتِمُ عَلَيْهِ أَيْضًا . (٣) كَذَا فِي الذِّخِيرَةِ لِابْنِ بَسَامٍ ؛ وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : «لَا أَسْتَبِدُّ» بِالْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ .

- القلم ، وانزوت أحشاء القرطاس ، وأجر فم الفكر ، فلم يبق في أحدها إسماعد^(١) لى على مكاتبك ، ولا بشاشة^(٢) عند محاولة مخاطبتك — لقوارص عتابك ، وقوارع ملايك [التي أكلت أقلامك]^(٣) ، وأغصت^(٤) كتبك ، وأصجرت^(٥) رسلك ، وضميرى طاو لم يطعم تجنيا عليك ، ونفسى وادعة^(٦) لم تحرك ذنبا إليك ، وعقدى مستحكيم^(٧) لم يمسه وهن فيك ؛ وأنا الآن على طرف الإخاء معك ، فإما أن تبهرنى بحجة فأتصل عندك ، وإما أن تنفى بحقيقة فاستديم خلَّتْكَ^(٨) ، وإما أن تأزم^(٩) على ياسك فأقطع حبلى منك ؛ كثيرا ما يكون عتاب المتصافين حيلة^(١٠) تُسبِر المودة بها ، وتُستثار دفائن الأخوة عنها ، كما يُعرض الذهب على اللهب ، ويصفى^(١١) المدام بالفدام ، وقد يخلص الود على العتب خلوص الذهب على السبك ، فأما إذا أعيد وأبدى ورُدَد وتوالى فإنه يُفسد غرس الإخاء ، كما يفسد الزرع توالى الماء .

ومن كلام أبي الوليد بن طريف من جواب عن المعتمد الى
ذى الوزارتين ابن يحفور صاحب شاطبة بسبب أبى بكر بن عمار :

- (١) فى الأصل : « وأحر » بالخاء المهملة . وفى الذخيرة لابن بسام : « وأحد » وهو تحريف فى كليهما ، صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، وأجر بالجم : من الاجرار ، وهو أن يشق لسان الفصيل للثلا يرضع ؛ ويستعار الاجرار كما هنا لاسكات والمنع من النطق ، قال عمرو بن معد يكرب :
فلو أن قومي أنطقنى رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت
يريد أن رماح قومه أسكنته ومنعته عن الكلام . (٢) كذا فى هامش الذخيرة قسم أول ترجمة
أبى حفص المذكور ، وهو المناسب لقوله بعد « وقوارع » ؛ والذي فى الأصل : « ومصاولة » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى . (٣) هذه العبارة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الذخيرة
إذ لا يستقيم الكلام بدونها . (٤) فى الأصل : « وأغصت » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف .
(٥) فى الذخيرة : « مستوثق » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروایتين . (٦) يقال : تنصل اليه من الجنابة ، أى خرج وتبرأ . (٧) الخلة بضم الخاء : المحبة والصدقة لا خال فيهما .
(٨) تأزم بكسر الزاى المعجمة ، أى تواظب وتدأب . (٩) فى الذخيرة : « دقائق » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروایتين . (١٠) الفدام بكسر الفاء : المصفاة للكوز والإبريق ونحوهما .

(١) وقفتُ على الإشارة الموضوعية من قبلك على إخلاص دَل على وجود السلامة ،
 المستنم فيها الى شرف محبتك وصفاء معتقدك أكرم استنامة ؛ بالشفاعة فيمن
 أساء لنفسه حظ الاختيار ، وسبب لها سبب النكبة والعتار ؛ بغمطه لعظيم النعمة ؛
 وقطعه لعلائق العصمة ؛ وتخبطه في سنن غيه واستهدافه ، وتجاوزته في ارتكاب
 الجرائم وإسرافه ؛ حتى لم يدع للصالح موضعاً ، وخرق ستر الإبقاء بينه وبين مولى
 النعمة عنده فلم يترك فيه مرقعاً ؛ وقد كان قبل آستشراء رأيه ، وكشفه لصفحة
 المعاندة ، وإبدائه غدره في جميع جناياته مقبولا ، وجانب الصفح له معرضا مبذولا ؛
 لكن عدته جوانب الغواية ، عن طرق الهداية ؛ فاستمر على ضلاله ، وزاغ عن سنن
 اعتداله ؛ وأظهر المناقضة ، وتعرض بزعمه الى المساورة والمعارضة ؛ فلم يزل يرغب
 الغوائل ، وينصب الحبائل ؛ ويركب في العناد أصعب المراكب ، ويذهب منه
 في أوعر المذاهب ؛ حتى علقته تلك الأشرار التي نصبها ، وتشبثت به مساوى
 المقدمات التي جرّها وسببها ؛ فذاق وبال فعله ، «ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله»
 ولم يحصل في الأنشطة التي تورطها ، والمحنة التي اشتلت عليه وتوسطها ؛ إلا ووجه
 العفولة قد أظلم ، وباب الشفاعة فيه قد ابهم ؛ ومن تأمل أفعاله الذميمة ، ومذاهبه
 اللثيمة ؛ رأى أن الصفح عنه بعيد ، والإبقاء عليه داء حاضر عتيد .

وفي فصل منه : ففوق لمناضلة الدولة نبالة ، وأعمل في مكايدها جهده
 وأحتياله ؛ ثم لم يقتصر على ذلك بل تجاوزته الى إطلاق لسانه بالذم الذي صدر عن

(١) أورد ابن بسام هذه الرسالة في ترجمة الوزير أبي بكر بن عمار .

(٢) كذا في الأصل ؛ ولعله : «من» . (٣) عبارة الذخيرة : «على أخلص وجود» الخ .

(٤) في الأصل : «عن» وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٥) يرغب : يطلب ويريد . (٦) أبهم الباب ، أغلق .

لؤم نجاره ، والطعن الشاهد بنخب طويته وإضماره ؛ ومن فسّد هذا الفساد كيف
يرجى استصلاحه ، ومن استبطن مثل غله كيف يؤمل فلاحه ؛ ومن لك بسلامة
الأديم^(١) النغل ، وصفاء القلب الدغل ؛ وعلى ذلك فلا أعتقد عليك فيما عرضت به
من وجه الشفاعة غير الجميل ، ولا أتعدي فيه حسن التأويل ؛ ولو وفدت شفاعتك
في غير هذا الأمر الذي سبق فيه السيف العذل ، وأبطل عاقل^(٢) الأقدار فيه الإطاف^(٣)
والحيل ؛ لتلقيت بالإجلال ، وقوبلت ببالغ المبرّة والاهتبال^(٤) .

ومن كلام ذي الوزارتين أبي المغيرة بن حزم^(٥) من رسالة .
لم أزل أزجر للقاء سيدي السائح ، وأستطر الغادي والرائح ؛ وأروم اقتناصه
ولو بشرك المنام ، وأحاول اختلاسه ولو بأيدي الأوهام ؛ وأعاتب الأيام فيه فلا تتعب ،
وأقودها إليه فلا تُصحب ؛ حتى إذا غلب الياس ، وشمت الناس ؛ وضربت بي
الأمثال ، فقيل : أكثر الآمال ضلال ؛ تنبه الدهر من رقده ، وحلّ من عقدته ؛
وقبل متى ، وأظهر الرضى عني ؛ وقال : دونك ما طمح^(٦) فقد ستمح^(٧) ، وإليك فقد دنا
ما قد جمح ؛ فطرت بجناح الارتياح ، وركبت إلى الغمام كواهل الرياح ؛ وقلت :
فرصة تغتم ، وركن يستلم ؛ وطرقت روضة^(٨) [العلم] عميمة الأزهار ، فصيحة الأطيّار ؛

- ١٥ (١) الأديم : الجلد . والنغل : الفساد في الدباغ ؛ وبابه فرح . (٢) لعله « عاجل » بالجميم
كما يدل عليه سياق ما قبله . (٣) الاهتبال : الاغتنام ؛ والمراد اغتنام العمل بها .
(٤) في الأصل : « ابن » والتصويب عن الذخيرة قسم أول ترجمة أبي المغيرة بن حزم .
(٥) في الأصل : « الذابح » بالذال المعجمة والباء الموحدة ؛ وهو تصحيف .
(٦) طمح ، من الطماح بكسر الطاء ، وهو الجماع .
٢٠ (٧) في الذخيرة : « فقد ستمح » بالنون ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .
(٨) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن الذخيرة .

رَّيَّا الجداول، باردة الضحى والأصائل؛ وطفْتُ بكعبة الفضلِ مصونة الحبر، ملثومة^(١)
الحجر، عزيزة المقام، معمورة المشعر الحرام؛ فما شئنا من محاضرة، تجمع بين الدنيا
والآخرة؛ بين يدي نثر يُدنى الإعجاز، ونظم ما أشبه الصدور بالأعجاز؛ وحديث
تُشَقِّف العقول بآرائه، وتُرَوَّى بصافى مائه؛ فحين شَمَخ بالظفر أنفى، وأهتر أنيسل^(٢)
الأميل عطفي — والدهر يضحك سراً، ويتأبط شراً؛ وقد أذهلني الجدل عن سوء
ظني به، وأوهمني نزوعه^(٣) عن ذميم مذهبه — أتت ألوانه، وفسا ظر بانه^(٤)؛ ونادى : ليقيم
من قعد، وينتبه من رقد؛ إنما قترت تلك الفترة، ليكون ما رأيت عليك حسرة؛
وسمحت لك مرة، لتذوق من الأسف عليها كأسامرة؛ فرأيت وقد غطى على
بصري، وعقلت وكنت في عمياء من خبري؛ وقلت : هو الذي أعهدده من لؤمه،
وأعرفه من شؤمه؛ فما وهب، إلا وسلب؛ ولا أعطى، إلا ساعات كإيهام القطا؛
فياله من قادرٍ ما ألام قدرته، وذابح ما أحد شفرته! ولو تسلط علينا، من يظهر
شخصه إلينا، لأدركته رماحنا، [وعصفت به رياحنا]^(٥)؛ لكنه أمير من وراء سجنف،
يسعى بلا رجلٍ ويصول بلا كف .

ومن كلام الوزير الكاتب أبي محمد بن عبد الغفور الى بعض
إخوانه — وكان قد وصف له امرأة ومدحها وحضه على زواجها، وكان لذلك
الصديق امرأة سوداء — فأجابه ابن عبد الغفور :

- (١) كذا في الأصل؛ والحبر: البرود اليمنية؛ ولعل المراد بجبر الكعبة: أسنارها. والذي في الذخيرة
لابن بسام: «الحرم»، والمعنى يستقيم عليه أيضا. (٢) عبارة الذخيرة: «تقف العقول بازائه» .
(٣) في الأصل: «بروغه» بالباء الموحدة والغين المعجمة؛ وهو تصحيف .
(٤) في الأصل: «وفشى طريانه» بالشين المعجمة والطاء المهملة وهو تصحيف . والظربان
بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء دويبة كالهرة منتنة الريح؛ ويقال: فسا بينهم الظربان، أى تفرقوا .
(٥) الزيادة عن الذخيرة؛ وبها يتم السجع الذي التزمه الكاتب في رسالته .

- بينما كنت ناظرا من المرأة في شعرٍ أحمّ^(١)، ورأسٍ أجمّ، لا أخاف معه الدم؛
إذ تقدّم رسولك إليّ، يخطب بنتَ فلانٍ عليّ؛ ويرغب منها في سعة مال، وبراعة
جمال؛ ويقسم إنها لبنةٌ بالزوج بريكة، لا تحوجه عند النوم إلى أريكة؛ ولو يُسرتُ
— وعياذا بالله — لهذا النكاح، لرزقتُ قبل الولد منها آلة النطاح^(٢)؛ ولا حاجة لي بعد
الدعة والسكون، [إلى حرب زبون، وقيراج بالقُرون]^(٣)، ولو حملتُ إلى تاج كسرى
وكنوز قارون؛ فاطلب لهذه السلعة المباركة مشترى غيري، ولا تسقها ولو في النوم
إلى...؛ وأبتعها ولو بأرفع الأثمان إلى نفسك، وأضف عاجها النفيس إلى أنوس^(٤)
عرسك؛ ولا عذر لها في النشوز والإعراض، فإنما يحسن السواد الحالك بالبياض؛
والله يمدك بقرنين قبل الحين، ويضع لك صنعين ويملين^(٥)، فيسقطك بهذا النكاح
الثاني للفم كما أسقطت بالأول لليدين.

(١) الأحم: الأسود. (٢) في الاصل: «النكاح» وهو تحريف. (٣) النكامة عن
الذخيرة لابن بسام. (٤) الكلمة المحذوفة هنا لا تخفى على فطنة القارئ (٥) كذا ضبط هذا
اللفظ بالعبارة في تاج العروس، فنص على أنه بكسر الموحدة. (٦) الصنعين: تثنية صنع بالكسر،
وهو سفود الشواء.

- كل السفر السابع من كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري
رحمه الله تعالى --- ويليه الجزء الثامن منه، وأوله:
ذكر نبذة من كلام القاضي الفاضل

وكان تمام طبعه في يوم الجمعة ٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٧ (١٩ أبريل
سنة ١٩٢٩) .

- ملاحظ المطبعة
بدار الكتب المصرية
محمد نديم

إصلاح خطأ

عثرنا بعد طبع هذا الجزء على يسير من الأغلط المطبعية
فرأينا أن نثبتها هنا ليستدركها القراء .

ص	س	خطأ	صواب
٩	٦	مليء	ملىء (بضمين)
٣٦	١٤	التنديد	التندير
٦٧	٨	هموا	همو
١٣٦	٧	يريككم	يريككم (بضم الميم)
١٣٩	١١	بنوا	بنو
١٣٩	٥ ت	بنوا	بنو
١٥٩	٢٦ ١	الحي	الحيا
١٦١	١	جَرية	جَرية (بكسر الجيم)
١٦٦	٨	وليس	ليس (بدون واو)
١٧٨	٣	انجلى	انجل
٢٣٧	١٥	بشقه	بسبقه

(مطبعة دار الكتب المصرية ٤٤٥/١٩٢٦/٢٥٠٠)

جزوب
معين التاريخ
لأهل التاريخ